

في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر

برهان الدين أبى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامى

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل [1]

مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار و الأوجال، و تخفف الأحمال الثقال، و لا سيما الوقوف بين يدى الملك المتعال، و التجرد فى خدمته فى ظلمات الليال، فانه نعم الإله لقبول الأفعال و الأقوال، و محو ظلل الضلال، و المعين الأعظم على الصبر و الاحتمال، ٥
لما يرد [2] من الكدورات فى دار الزوال، و القلعة و الارتحال، و اسمها المزمل أدل [3] ما فيها على هذا المقال ﴿ بسم الله ﴾ الكافى من توكل عليه فى جميع الأحوال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد و البيان [4] المهدى و الضال [4] ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص حزبه بالسداد فى الأقوال و الأفعال لإيصالهم إلى دار الكمال . ١٠

لما تقدم فى [5] آخر الجن من [6] تعظيم الوحى و أن من تعظيمه

(١) الثالثة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها عشرون .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يراد (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ادق .
(٤-٤) من ظ وم ، وفى الأصل : المهدى والضلال (٥) من ظ وم ، وفى الأصل: من (٦) سقط من م .

حفظ المرسل به من جميع الآفات المفترة عن إبلاغه بما[1] له سبحانه
من إحاطة العلم و القدرة و ندب نبيه الذى ارتقاه لرسالته و الاطلاع
على ما أراده[2] من غيبه صلى الله عليه و سلم اول[3] هذه إلى القيام
بأعباء النبوة بالمناجاة بهذا الوحى فى وقت الأنس و الخلوة بالأحباب،
٥ و البسط و الجلوة لمن دق الباب، للاعتلاء و[3] المتاب، المهيىء لحمل
أعباء الرسالة، و المقوى على أثقال المعالجة[4] لأهل الضلالة. فقال معبرا
بالأداة الصالحة للقرب و البعد المختصة بأنها لا يقال بعدها إلا الأمور
التى هى فى غاية العظمة، أشار إلى انه صلى الله عليه و سلم يراد به
غاية القرب بالأمور البعيدة عن تناول الخلق بكونها خوارق للعادات
١٠ و نواقض للمألوفات المطردات. و أما التزمل[5] فهو و إن كان من
آلات ذلك إلا انه من الأمور العادية، فهو دون ما يراد [6]من التهيئة[6]
لذلك الاستعداد، و بالتزمل[7] لكونه منافيا للقيام فى الصلاة:
﴿يٰأيها المزمل ۙ﴾ أى الذى أخفى شخصه و ستر أمره و ما أمرناه به -
بما أشار اليه التزمل الذى مدلوله التلفف فى الثوب على جميع البدن
١٥ و الاختفاء و لزوم مكان واحد، و لأنه يكون منطرحا / على الأرض ٥٥٦ /
كما قال صلى الله عليه و سلم فى قتلى [احد -[8]]: زملوهم بثيابهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لما (٢) فى م: أراد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: او (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المعاجلة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المتزمل (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الاصل: للتهيئة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالمتزمل (٨) زيد من ظ و م.

و دمائهم

و دمائهم، مع الإشارة إلى الإخفاء ايضا بادغام تاء التفعل، و ربما أشار الإدغام إلى ان الستر بالثوب لم يعم جميع البدن، كما يأتى فى المدثر على أن فيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوة على حمل أعباء ما يراد به، من قولهم: زمل الشيء - إذا رفعه و حمله، و الازدمال: احتمال الشيء، و زملت الرجل على البعير و غيره - إذا حملته عليه، و من زملت الدابة ٥ فى عدوها - إذا نشطت، و الزامل من حمر الوحش الذى كأنه يظلع من نشاطه، و رجل إزميل: شديد، و الزاملة: بعير يستظهر به الرجل لحمل طعامه و متاعه عليه، و يقال للرجل العالم[1] بالأمر: هو ابن زوملتها، و قال ابن عطاء: يا ايها المخفى ما تظهره عليه من آثار الخصوصية ! هذا أوان كشفه، و قال [عكرمة -[2]][3]: يا أيها الذى حمل هذا الأمر، ١٠ و قال السدى[4]: أراد يا ايها النائم، و قال غيره: [5]كان هذا[5] فى ابتداء الوحى بالنبوة، و المدثر فى ابتداء الوحى بالرسالة، ثم خوطب [بعد -[2]] ذلك بالنبى[6] و الرسول: ﴿ قم ﴾ اى فى خدمتنا [7]بحمل أعباء[7] نبوتنا و الازدمال بالاجتهاد فى الاحتمال، و اترك التزمل فانه مناف للقيام[8]. ١٥

و لما كان الاجتهاد فى الخدمة دالا على غاية المحبة، و كانت النية

---

(١) من القاموس، و فى الأصول: العامل (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٦ (٤) راجع المعالم ٧ / ١٣٧ (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: هذا كان (٦) من م، و فى الأصل و ظ: بالنبوة (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: باعباء (٨) من م، و فى الاصل و ظ: فى القيام.

خيرا[1] من العمل، وكان الإنسان مجبولا على الضعف، وكان سبحانه لطيفا بهذه الأمة تشريفا لإمامها صلى الله عليه وسلم، رضى منا سبحانه بصدق التوجه إلى العمل وجعل أجورنا أكثر من أعمالنا، فجعل إحياء البعض إحياء للكل، فأطلق اسم الكل وأراد البعض فقال: ﴿اليّل﴾ أى الذى هو وقت الخلوة والخفية والستر، فصل لنا [2]فى كل ليلة من هذا الجنس[2] وقف بين يدينا[3] بالمناجاة والأنس بما أنزلنا عليك من كلامنا[4] فانا نريد إظهارك وإعلاء قدرك فى البر والبحر والسر والجهر، وقيام الليل فى الشرع معناه الصلاة، فلذا لم يقيده، وهى جامعة لأنواع الأعمال الظاهرة والباطنة، وهى عمادها، فذكرها دال على ما عداها.

وـلما كان للبدن حظ فى الراحة قال مستثنيا من الليل: ﴿الا قليلا لا﴾ اى من كل ليلة، ونودى هذا [النداء لأنه -[5]] صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحى بغار حراء رجع إلى خديجة زوجته رضى الله تعالى عنها يرجف فؤاده فقال: زملونى زملونى! [لقد خشيت على نفسى، فسألته رضى الله عنها عن حاله، فلما قص عليها امره -[5]] قال[6]: خشيت على نفسى يعنى أن يكون هذا مبادئ شعر أو كهانة، وكل ذلك من الشياطين وأن يكون الذى ظهر له بالوحى ليس بملك، وكان صلى الله

(١) من ظ وم، وفى الأصل: خير (٢-٢) من ظ وم، وفى الأصل: من هذا الجنس فى كل ليلة (٣) من ظ وم، وفى الأصل: ايدينا (٤) من ظ وم، وفى الأصل: كرمنا (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ، وفى الأصل وم: وقال.

عليه و سلم يبغض الشعر و الكهانة غاية البغضة، فقالت[1] له و كانت وزيرة صدق[2]: كلا و الله! لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم و تقرى الضيف و تحمل الكل و تعين / على نوائب الحق - و نحو هذا من المقال الذى يثبت، و فائدة التزمل أن الشجاع الكامل إذا دهمه أمر هو فوق قواه ففرق أمره فرجع إلى نفسه، و قصر بصره و بصيرته على حسه، اجتمعت قواه إليه فقويت جبلته الصالحة على تلك العوارض التخييلية فهزمتها فرجع الى أمر الجبلة العلية، و زال ما عرض من العلة البدنية.

/٥٥٧

و قال الإمام أبو جعفر[3] ابن الزبير: لما كان ذكر إسلام الجن قد أحرز غاية انتهى مرماها[4] و تم مقصدها و مبناها، و هى الإعلام باستجابة هؤلاء و حرمان من كان أولى بالاستجابة، و أقرب فى ظاهر الأمر إلى الإنابة، بعد تقدم وعيدهم و شديد تهديدهم، صرف الكلام إلى أمره صلى الله عليه و سلم بما يلزمه من وظائف عبادته و ما يلزمه[5] فى أذكاره من ليله و نهاره، مفتتحا[6] ذلك بأجمل مكالمة و ألطف مخاطبة[7] "يايها المزمل" [8]و كان ذلك[8] تسلية له صلى الله عليه و سلم كما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فقال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: صديقة.
(٣) العبارة من هنا إلى «هى الأعلام» ساقطة من ظ (٤) من م، و فى الأصل: مرامها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يلزم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مفتتحا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: مخاطبته (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

ورد «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» إلى آخره، وليحصل منه الاكتراث بعناد من قدم عناده وكثرت لججه، وأتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض ويعضده وهو قوله تعالى - فاصبر صبرا جميلا -: "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا"

٥ وهذا عين الوارد فى قوله تعالى "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" وفى قوله "نحن أعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار" ثم قال "إن لدينا انكالا" فذكر ما أعد لهم، وإذا تأملت هذه الآى وجدتها قاطعة بما قدمناه، وبان لك التحام ما ذكره، ثم رجع الكلام إلى التلطف به عليه الصلاة والسلام وبأصحابه - رضى الله عنهم أجمعين - وأجزل

١٠ جزاءهم مع وقوع[1] التقصير ممن يصح منه تعظيم المعبود الحق جل جلاله "علم أن لن تحصوه فتاب عليكم[2] فاقرؤا ما تيسر من القرآن" ثم ختم السورة بالاستغفار من كل ما تقدم من عناد الجاحدين المقدم ذكرهم فيما قبل من السور[3] إلى ما لا يفى العباد المستجيبون به مما إشار إليه قوله تعالى "علم أن لن تحصوه" - انتهى .

١٥ ولما كان الليل اسما لما بين غروب الشمس وطلوع الفجر، وكان قيامه فى غاية المشقة، حمل سبحانه من ثقل ذلك، فقال مبينا لمراده[4] بما حط عليه الكلام بعد الاستثناء، ومبدلا من جملة المستثنى والمستثنى

(١) من ظ وم، وفى الأصل: وجوب (٢) زيد فى الأصول: الى قوله .
(٣) من ظ وم، وفى الأصل: السورة (٤) من ظ وم، وفى الأصل: المراد.

منه[1]: ﴿ نصفه ﴾ أى الليل ، فعلم ان المراد بالقليل المستثنى النصف ، و سماه قليلا بالنسبة إلى جميع الليل ، و بالنسبة إلى النصف الذى وقع إحياؤه ، لأن ما يلى بالعمل أكثر مما لا عمل فيه ، و يجوز أن يكون 'نصفه' بدلا من الليل ، / فيكون كأنه قيل : قم نصف الليل إلا قليلا /٥٥٨ و هو السدس او انقص منه إلى الربع ، و جاءت العبارة هكذا لتفيد ٥ أن من قام ثلث[2] الليل بل ربعه فما فوقه كان محيا لليل كله .

و لما كانت الهمم مختلفة بالنسبة الى الأشخاص و بالنسبه إلى الأوقات قال : ﴿ او انقص منه ﴾ أى هذا النصف الذى أمرت بقيامه ، أو من النصف المستثنى منه القليل على الوجه الثانى و هو الثلث ﴿ قليلا ۙ ﴾[3] فلا تقمه حتى لو أحييت ثلث الليل [على الوجه - [4]] الأول او ربعه ١٠ على الوجه الثانى كنت محييا له [كله - [4]] فى[5] فضل الله بالتضعيف ﴿ او زد عليه ﴾ [6] أى على[6] النصف قليلا كالسدس مثلا ، فيكون الذى تقومه الثلثين مثلا ، و على كل تقدير من هذه التقادير يصادف القيام - و هو لا يكون إلا بعد النوم : الوقت الذى يبارك الله بالتجلى [فيه - [4]] فانه صح أنه ينزل - سبحانه [عن - [4]] أن يشبه [7]ذاته شيئا[7] ١٥

(١) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) فى ظ : سدس (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : او زد عليه و هو (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اشيء.

أو نزوله نزول[1] غيره [بل - [2]] هو كناية عن فتح باب السماء الذى هو كناية عن وقت استجابة الدعاء - حين[3] يبقى ثلث الليل - و فى رواية : حين[3] يبقى شطر الليل الآخر - إلى سماء الدنيا فيقول : هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من كذا هل من كذا حتى ٥ يطلع الفجر . و كان هـــذا القيام فى أول الإسلام فرضا عليهم على التخيير بـين[4] هذه المقادير الثلاثة فكانوا يشقون على أنفسهم ، فكان النبى صلى الله عليه و سلم يقوم حتى يصبح مخافـــة أن لا يحفظ القدر الواجب ، و كذا بعض أصحابه رضى الله تعالى عنهم و اشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم ، و كان هذا قبل فريضة الخمس ، فنزل آخرها ١٠ بالتخفيف بعـد سنة « علم ان لن تحصوه » الآيات ، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة .

و لما أمر بالقيام و قدر وقته و عينه ، أمر بهيئة التلاوة على وجه عام للنهار معلم بأن القيام بالصلاة الـــتى روحها القرآن فقال : ﴿ و رتل القرآن ﴾ أى اقرأه على تؤدة [و - [5]] بين حروفه بحيث ١٥ يتمكن السامع من عدها [و - [5]] حتى يكون المتلو شبيها بالثغر المرتل و هو المفلج المشبه بنور الأقحوان[6] ، فان ذلك موجب لتدبره فتكشف له مهماته و ينجلى عليه[7] أسراره و خفياته ، قال ابن مسعود رضى الله عنـه[8] :

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كنزول (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حتى (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : فى (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الافق (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عنه . (٨) راجع المعالم ٥/١٣٨ .

و لا تنثروه نثر الدقل و لا تهذوه هذ الشعر، و لكن قفوا عند عجائبه و حركوا به[1] القلوب و لا يكن هم أحدكم آخر السورة. روى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه و سلم قام حتى أصبح بآية، و الآية[2] "ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم" و لما أعلم سبحانه بالترتيل اعلم بشرفه بالتأكيد بالمصدر ٥ فقال: ﴿ترتيلا ﴾.

و لما كان المراد منه صلى الله عليه و سلم الثبات للنبوة و من امته الثبات[3] فى الاقتداء[3] به فى العمل / و الأمر و النهى، و كان ذلك فى /١٥٩ غاية الصعوبة، و كان الإنسان عاجزا إلا باعانة مولاه، و كان العون النافع إنما يكون لمن صفت نفسه عن الأكدار و أشرقت بالأنوار، ١٠ و كان ذلك إنما يكون بالاجتهاد فى خدمته سبحانه، علل هذا الأمر بقوله مبينا للقرآن الذى أمر بقراءته ما هو و ما وصفه، معلما أن التهجد يعد للنفس من القوى ما به يعالج المشقات، مؤكدا لأن الإتيان بما هو خارج عن جميع أشكال الكلام لا يكاد يصدق: ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ سنلقى ﴾ أى قريبا بوعد لا خلف فيه فتهيأ[4] ١٥ لذلك بما يحق له.

و لما كان المقام لبيان الصعوبة، عبر بأداة الاستعلاء فقال:

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: له (٢) ١١٨/المائدة (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالاقتدى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فهيا.

﴿عليك﴾ و أشار إلى اليسر مع ذلك إشارة إلى " و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " بالتعبير بما تدور مادته على اليسر و الخفة فقال: ﴿قولا﴾ يعني القرآن ﴿ثقيلا ﴾ أي لما فيه من التكاليف الشاقة من [جهة - ١] حملها و تحميلها للدعوين ٢ لأنها تضاد الطبع و تخالف
٥ النفس، و من جهة رزانـــة لفظه لامتلائه بالمعاني مع جلالة ٣ معناه و تصاعده في خفـاء فلا يفهمه المتأمل و يستخرج ما فيه من الجواهر إلا بمزيد فكر و تصفية سر و تجريد نظر، فهو ثقيل على الموافق من جميع هذه الوجوه و غيرها، و على المخالف من جهة أنـه لا يقدر على رده و لا يتمكن من طعن فيه بوجه مع أنـه ثقيل في الميزان و عند
١٠ تلقيه و له وزن و خطر و قدر عظيم، روى في الصحيح ٤ أن النبي صلى الله عليـــه و سلم كان إذا أتاه الوحي يفصم عنه و إن جبينه ليتفصد ٥ عرقا في اليوم الشاتي الشديد البرد، و كان - صلى الله عليه و سلم - إذا أنزل عليه الوحي و هو راكب على ٦ ناقته وضعت جرانها فلا تكاد تتحرك حتى يسرى عنه . قال القشيري : و روى عن ابن عباس رضي الله
١٥ عنهما أن سورة الأنعام ٧ نزلت عليه جملة واحدة ٨ و هو راكب فبركت

---

(١) زيد من ظ و م، وورد الكلمة ناقصة في الأصل مع بياض يسير (٢) من ظ و م ، و في الأصل : جلالته (٤) راجع بدء الوحي (٥) من ظ و م و الصحيح ، و في الأصل : ليقطر (٦) ظ و م : ناقة (٧) زيد في الأصل : لما نزلت سورة الأنعام صلى الله عليه و سلم، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) سقط من ظ و م :

ناقته من ثقل القرآن[1] وهيبته، و هو مع ثقله على الأركان خفيف على اللسان سهل التلاوة و الحفظ على الإنسان.

و لما أفهم هذا أن التهجد فى غاية العظمة، أكد ذلك حاثا على عدم الرضى بدون الأفضل الأجمل الأكمل بقوله، مؤكدا ليخف أمر القيام على النفس: ﴿ان ناشئة اليل﴾ أى ساعاته التى كل واحدة ٥ منها ناشئة و العبادة تنشأ فيه بغاية الخفة، من[2] نشأ أى نهض من مضجعه بغاية النشاط لقوة الهمة و مضاء العزيمة التى جعلتها[3] كأنها نشأت بنفسها، و قال ابن عباس رضى الله عنهما[4]: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، و ما كان قبله فليس بناشئة، و قالت عائشة رضى الله عنها[5]: الناشئة القيام بعد النوم، و قال الأزهرى: الناشئة القيام، مصدر جاء ١٠ على فاعلة كالعافية بمعنى العفو.

و لما كان ذلك / فى غاية الصعوبة لشدة منافرته للطبع، زاد فى ٥٦٠ / التأكيد ترغيبا فيه فقال: ﴿هى﴾ أى خاصة لما لها من المزايا ﴿اشد﴾ أى أثقل و أقوى و أمتن و أرصن[6] ﴿وطأ﴾ أى كلفة و مشقة لما فيها من ترك الراحة و فراق الألف و المحبوب، و أشد ثبات قدم - على ١٥ أنه مصدر وطئ فى قراءة الجماعة - بفتح ثم سكون، و مواطاة بين القلب

---

(١) زيد فى الأصل: هو مع (٢) فى ظ: عمن، و فى م: عن (٣) من ظ و م، وفى الأصل: جعلها (٤) راجع البحر المحيط ٨/ ٣٥٩ (٥) راجع معالم التنزيل ٧/١٣٩ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ارضى.

و اللسان فى الحضور و فى التزام الدين بالإذعان و الخضوع على أنه مصدر واطأ[1] مثل قاتل على قراءة أبى عمرو و ابن عامر بالكسر و المد [و - [2]] هى أبلغ لأن صيغة المفاعلة[3] تكون بين اثنين يغالبان فيكون الفعل أقوى .

٥ و لما كان التهجد يجمع القول و الفعل، و بين ما فى الفعل لأنه أشق ، فكان بتقديم[4] الترغيب بالمدحة أحق ، أتبعه القول فقال : ﴿و اقوم قيلا ۞﴾ أى و أعظم سدادا من جهة القيل فى فهمه و وقعه فى القلوب بحضور القلب و رياقة[5] الليل بهدوء الأصوات و تجلى الرب سبحانه و تعالى بحصول البركات، و أخلص من الرياء و القصود[6] الدنيات.

١٠ و لما بين سبحانه من أول السورة إلى هنا ما به صلاح الدين الذى عصمة الأمر و [بـه - [2]] صلاح الدارين ، و أظهر ما للتهجد من الفضائل، فكان التقدير حتما : فواظب عليه لتناول هذه الثمرات ، قال [معللا - [2]] محققا له مبينا ما به صلاح الدنيا التى هى فيها المعاش ، و صلاحها وسيلة إلى صلاح[7] المقصود ، و هو الدين و هو الذى ينبغى ١٥ له لئلا يكون كلا على الناس ليحصل من الرزق ما يعينه على دينه

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : وطأ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و م الأصل : الفاعلية (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تقديم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : رياضته (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : القصور (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : صلاحها .

و يوسع به على عيال[1] الله من غير ملل و[2] لاضجر و لا كسل[2] و لا مبالغة، مؤكدا لما للنفس من الكسل عنه: ﴿ ان لك ﴾ أى أيها المتهجد[3] أو يا أكرم العباد إن كان الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم ليكون آكد فى إلزام[4] الأمة به ﴿ فى النهار ﴾ الذى هو محل السعى فى مصالح الدنيا. ٥

و لما كان الإنسان يهتم فى سعيه لنفسه حتى يكون كأنه لشدة عزمه و سرعة حركته كالسابح فيما لا عائق له[5] فيه قال: ﴿سبحا طويلا ۝﴾ أى تقلبا ممتد الزمان، قال البغوى[6]: و أصل السبح سرعة الذهاب، و قال الرازى: سهولة الحركة[7].

و لما كان التقدير: فاجتهد فى التهجد، عطف عليه قوله حاثا على ١٠ [8] حضور الفكر[8]: ﴿ و اذكر اسم ربك ﴾ أى المحسن إليك و الموجد و المدبر لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة و ثناء و خضوع و تسبيح و تحميد و صلاة و قراءة و دعاء و إقبال على علم شرعى و أدب مرعى و دم على ذلك، فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عياله (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا كسل و لا ضجر (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: اكرام (٥) سقط من ظ و م (٦) راجع المعالم ٧ / ١٤٠ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الحركات (٨ - ٨) من ظ و م، وفى الأصل: حصول التفكر.

و الإخلاص، و ذلك عون[1] لـك على مصالح الدارين، اما الآخرة فواضح، و أما الدنيا فقد أرشد النبي / صلى الله عليه و سلم أعز الخلق عليه [2] فاطمة ابنته [2] رضى الله عنها لما سألته خادما يقيها التعب إلى التسبيح و التحميد و التكبير عند النوم.

/ ٥٦١

٥ و لما كان الذكر قد يكون مع التعلق بالغير، أعلم أن الذاكر [3] فى الحقيقة [3] إنما هو المستغرق فيه سبحانه و به يكون تمام العون فقال: ﴿ و تبتل ﴾ أى اجتهد فى قطع نفسك عن كل شاغل، و الإخلاص فى جميع أعمالها بالتدريج قليلا قليلا، منتهيا: ﴿ اليه ﴾ و لا تزل على ذلك حتى يصير لك ذلك خلقا فتكون نفسك كأنها منقطعة بغير قاطع

١٠ و مقطعة تقطيعا كثيرا بكل قاطع، فيكون التقدير - بما أرشد إليه المصدر "تبتلا" و بتلها ﴿ تبتيلا [5] ﴾ فأعلم بالتأكيد بالمصدر المرشد إلى الجمع بين التفعل و التفعيل بشدة [4] الاهتمام و صعوبة المقام، و هو من البتل و هو القطع، صدقة [5] بتلة [5] أى مقطوعة عن صاحبها، و لذلك قال زيد ابن أسلم [6]: التبتل رفض الدنيا و ما فيها و التماس ما عند الله تعالى،

١٥ و البتول مريم عليها السلام لانقطاعها إلى الله تعالى، عن جميع خلقه. و كذا فاطمة الزهراء البتول أيضا [7] لانقطاعها عن [8] قرين و مثيل و نظير [8]، فالمراد

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عونا (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: ابنته فاطمة (٣-٣) فى م: بالحقيقة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لشدة (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بتبتيله (٦) فى المعالم ٧ / ١٤٠: ابن زيد (٧) زيدت الواو فى م (٨-٨) من م، و فى الأصل: نظير و قرين، و فى ظ: قرين و نظير.

بهذا

بهذا [١] هو المراد بكلمة التوحيد المقتضية للاقبال عليه و الإعراض عن كل ما سواه، و ذلك بملازمة الذكر و خلع الهوى، و الآية من الاحتباك و [٢] هو ظاهر [٢]: ذكر فعل التبتل دليلا على حذف مصدره، و ذكر مصدر بتل دليلا على حذف فعله [٣].

و لما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم، بين أنه سبحانه الذى ٥ أنعم بسكن الليل الذى أمر بالتهجد فيه [و - [٤]] منتشر النهار الذى أمر بالسبح [٥] فيه، فقال واصفا الرب المأمور بذكره فى قراءة ابن عامر و يعقوب و الكوفيين غير حفص معظما له بالقطع فى قراءة الباقين بالرفع: ﴿ رب المشرق ﴾ أى موجد محل الأنوار التى بها ينمحى هذا الليل الذى أنت قائم فيه و يضىء بها الصباح "و عند الصباح يحمد القوم ١٠ السرى" بما أنالهم [٦] من الأنوار فى مرائى قلوبهم و ما زينها به من شهب المعانى كما أوجد لهم فى [٧] آفاق أفلاكهم [٧] من شموس المعانى المثمرة لبدور الأنس فى مواطن القدس، فلا يطلع كوكب فى الموضع الذى هو ربه إلا باذنه، و هو رب كل مكان، و ما أحسن ما قال الإمام الربانى تقى الدين ابن دقيق العيد: ١٥

كم ليلة فيك وصلنا السرى   لا نعرف الغمض و لا نستريح

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : هذه (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : ظاهره. (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فعل (٤) زيد من ظ وم (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بالتسبيح (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نالها (٧-٧) من ظ وم و فى الأصل : الآفاق املاكهم .

و اختلف الأصحاب ماذا الذى يزيح من شكواهم او يريح
فقيل تعريسهم ساعة[1] و قلت بل ذكراك و هو الصحيح

و لما ذكر مطالع الأنوار، لأنها المقصود لما لها من جلى الإظهار، و وحد لأنه أوفق لمقصود السورة الذى هو[2] / محطة لانجماح المدلول عليه ٥٦٢/
٥ بالتزمل، أتبعه مقابله فقال: ﴿ و المغرب ﴾ أى الذى يكون عنه الليل و [الذى - [3]] هو محل السكن[4] و موضع الخلوات و لذيذ[5] المناجاة، فلا تغرب شمس و لا قمر و لا نجم إلا بتقديره سبحانه، و إذا كان رب ما فيه هذه الصنائع التى هى أبدع ما يكون كان ربه ما دون ذلك.

١٠ و لما علم بهذا أنه المختص بتدبير الكائنات، المتفرد بايجاد الموجودات، كان أهلا لأن يفرد بالعبادة و جميع التوجه[6] فقال مستأنفا: ﴿ لآ اله ﴾ أى معبود بحق ﴿ الا هو ﴾ أى ربك الذى دلت تربيته لك على مجامع العظمة و أنهى صفات الكمال و التنزه عن كل شائبة نقص. و لما علم تفرده سبحانه كان الذى ينبغى لعباده أن لا يوجه [أحد - [3]] منهم
١٥ شيئا من رغبته لغيره فلذلك سبب عنه قوله: ﴿ فاتخذه ﴾ أى خذه بجميع جهدك و ذلك بافرادك إياه بكونه تعالى ﴿ وكيلا ه ﴾ أى على كل من خالفك بأن تفوض جميع امورك إليه فانه يكفيكها كلها و يكلؤها

---

(١) من ظ و م و فوات الوفيات ١ / ٤٨٨، و فى الأصل: ساعته (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: السكون. (٥) من ظ و م، وفى الأصل: محل (٦) من ظ وم، و فى الأصل: التوحيد.

غاية الكلاية فانه المتفرد بالقدرة عليها ، ولا شيء اصلا فى يد غيره ، فلا تهتم بشيء اصلا ، و ليس ذلك بأن يترك الإنسان كل عمل ، فان ذلك طمع فارغ بل بالإجمال فى طلب كل ما ندب الإنسان إلى طلبه ، ليكون متوكلا فى السبب لا من دون[١] سبب ، فانه يكون حينئذ كمن يطلب[٢] الولد من غير زوجة ، و هو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الأسباب ، ٥ و لو لم يكن [فى - ٣] إفراده بالوكالة إلا أنه يفارق[٤] الوكلاء بالعظمة و الشرف و الرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس [دونك وأنت تتوقع أن يكلمك كثيرا فى مصالحك و ربك أعظم العظماء وهو يامرك أن تكلمه كثيرا فى مصالحك وتساله طويلا ، و وكيلك من الناس - ٣] إذا حصّل مالك سألك الأجرة و هو سبحانه يوفر مالك و يعطيك الأجر ، ١٠ و وكيلك من[٥] الناس ينفق عليك من مالك و هو سبحانه يرزقك و ينفق عليك من ماله ، و من تمسك بهذه الآية عاش حرا كريما ، و مات خالصا شريفا ، و لقى الله تعالى عبدا صافيا مختارا تقيا ، و من شرط الموحد أن يتوجه إلى[٦] الواحد و يقبل على الواحد و يبذل له نفسه عبودية و يأتمنه على نفسه و يفوض إليه اموره و يترك التدبير ١٥ و يثق به و يركن إليه و يتذلل لربوبيته ، و يتواضع لعظمته و يتزين ببهائه و يتخذه عدة لكل نائبة دنيا و آخرة .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بدون (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : طلب .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يعاق - كذا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٦) زيد فى ظ : الله .

و لما كانت الوكالة لا تكون إلا فيما يعجز، و كان الأمر بها مشيرا [إلى - ١] أنه لابد أن يكون [عن - ١] هذا القول الثقيل خطوب طوال و زلازل و أهوال، قال: ﴿ و اصبر ﴾ و أشار إلى عظمة الصبر بتعديته بحرف الاستعلاء فقال: ﴿ على ما ﴾ و خفف ٥ الأمر بالإشارة إلى أنهم لا يصلون ٢ إلى غير الأذى بالقول، [و عظمه - ١] باستمرارهم عليه فقال: ﴿ يقولون ﴾ أى المخالفون المفهومون من الوكالة من مدافعتهم الحق بالباطل فى حق الله و خلقك.

و لما كانت مجانبة البغيض إلا عند / الاضطرار مما يخفف من أذاه قال: ﴿ و اهجرهم ﴾ أى أعرض عنهم جهارا دافعا للهرج مهما ١٠ أمكن ﴿ هجرا جميلا ﴾ بأن تعاشرهم بظاهرك و تباينهم بسرك و خاطرك، فلا تخالطهم إلا فيما أمرك الله به على ما حده لك من دعائهم إليه سبحانه و من موافاتهم فى أفراحهم و أحزانهم فتؤدى حقوقهم و لا تطالبهم بحقوقك لا تصريحا و لا تلويحا.

و لما كان فى أمره هذا بما يفعل ما يشق جدا بما فيه من احتمال ١٥ علوهم، أعلم بقرب فرجه ٣ بتهديدهم بأخذهم سريعا فقال: ﴿ و ذرنى ﴾ أى اتركنى على أى حالة اتفقت منى فى معاملتهم، و أظهر فى موضع الإضمار تعليقا للحكم بالوصف و تعميما فقال: ﴿ و المكذبين ﴾ أى العريقين فى التكذيب فانى قادر على رحمتهم و تعذيبهم.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا يصلوك (٣) من ظ و م، و فى الأصل: نوجه.

و لما

و لما ذكر وصفهم الذى استحقوا به العذاب، ذكر الحامل عليه تزهيدا فيه و صرفا عن معاشرة أهله لئلا تكون المعاشرة فتنة فتكون حاملة على الاتصاف به وجارّة إلى حب الدنيا فقال: ﴿ اولى النعمه ﴾ أى أصحاب التنعم بغضارة العيش و البهجة التى أفادتهموها[1] النعمة - بالكسر و هى الإنعام و ما ينعم به من الأموال و الأولاد، و الجاه الذى ٥ أفادته النعمة - بالضم و هى المسرة التى تقتضى الشكر و هم أكابر قريش و أغنياؤهم .

و لما كان العليم القدير إذا قال مثل هذا لولى من أوليائه عاجل عدوه، قال محققا للراد بما أمر به من الصبر من هذا فى النعم الدنيوية بأن زمنها قصير: ﴿ و مهلهم ﴾ أى اتركهم برفق و تأن و تدريج ١٠ و لا تهتم[2] بشانهم .

و لما سره بوعيدهم الشديد بهذه العبارة[3] التى مضمونها أن اخذهم بيده صلى الله عليه وسلم و هو سبحانه يسأل فى تأخيره[4] لهم، زاد فى البشارة بقوله: ﴿ قليلا ﴾ أى من الزمان و الإمهال إلى موتهم أو الإيقاع بهم قبله، و كان بين نزول هذه الآية و بين وقعة بدر يسير[5] - قاله المحب الطبرى، ١٥ و فيه بشارة له صلى الله عليه و سلم بالبقاء بعد أخذهم كما كان، و انه ليس محتاجا فى أمرهم إلى غير وكلهم سبحانه و تعالى بالقائهم عن باله صلى الله

(١) من م، وفى الأصل: افادتموها، وفى ظ: افادتتموها (٢) من ظ وم، وفى الأصل: تقيم (٣) من م، و فى الأصل و ظ: العبارات (٤) من ظ وم، وفى الأصل: تأخيرهم (٥) من ظ وم، وفى الأصل: سير - مع يسير من البياض .

عليه و سلم و تفريغ ظاهره و باطنه لما[1] هو مامور به من الله سبحانه و تعالى من الإقبال على الله سبحانه ، ففى الآية أن من اشتغل بعدوه[2] وكله الله إلى نفسه ، فكان ذلك كالمانع من[3] أخذ الله [له -[4]] . فاذا توكل عليه فقد أزال [ذلك المانع - [4]] .

٥ و لما كان هذا مناديا بعذابهم ، و كان وصفهم بالنعمة مفهما لأنهم معتادون بالمآكل الطيبة ، و كان منع[5] اللذيذ من المآكل لمن اعتاده لا يبلغ فى نكاية النفس بحد[6] نكاية البدن إلا بعد تقدم إهانة ، استأنف قوله بيانا لنوع ما افهمه التهديد من مطلق العذاب ، و أكد لأجل تكذيبهم[7]:

/٥٦٤ / ﴿ ان ﴾ و أشار إلى شدة غرابته و جلالتــه و عظمته و خصوصيته

١٠ و تحقق حضوره بقوله : ﴿ لدينآ ﴾ دون "عندنا". و لما كان اشد ما على الإنسان منعه مما يريد من الانبساط به بالحركات ، قال ذاكرا ما يضاد ما هم فيه من النعمة و العز : ﴿ انكالا ﴾ جمــع نكل بالكسر و هو القيد الثقيل الذى لا يفك أبدا إهانة لهم لاخوفا من فرارهم ، جزاء على تقييدهم [أنفسهم[4]] بالشهوات عن اتباع الداعى و إيساعهم فى المشى

١٥ فى فضاء الأهوية . و لما كان [ذلك -[4]] محرقا للباطن أتبعه حريق الظاهر فقال : ﴿ و جحيما لا ﴾ أى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد بمــا كانوا

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : الى ما (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بعذره .
(٣) فى م : فى (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مانع .
(٦) فى ظ : حد (٧) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

يتقيدون [به - [1]] من تبريد الشراب[2]، و التنعم برقيق اللباس و الثياب، و تكلف أنواع الراحة.

و لما أتم ما يقابل تكذيبهم، أتبعه ما يقابل النعمة فقال: ﴿ و طعاما ذا غصة ﴾ أى صاحب انتشاب فى الحلق كالضريع و الزقوم يشتبك فيه فلا يسوغ[3]: لا ينزل و لا يخرج بما[4] كانوا يعانونه من تصفية ٥ المآكل و المشارب[5]، و إفراغ الجهد[6] فى الظفر بجميع[6] المآرب. و لما خص عم فقال: ﴿و عذابا اليما ﴾ أى [مؤلما - [7]] شديد الإيلام لا يدع لهم عذوبة بشىء من الأشياء أصلا بما كانوا يصفون به أوقاتهم و يكدرون على من يدعوهم إلى ما ينفعهم بالخلاص من قيود المشاهدات و العروج[8] من حضيض الشهوات إلى أوج الباقيات الصالحات. ١٠

و لما ذكر هذا العذاب ذكر ظرفه فقال: ﴿ يوم ترجف ﴾ اى تضطرب و تتزلزل زلزالا شديدا ﴿ الارض ﴾ أى كلها ﴿ و الجبال ﴾ التى هى أشدها. و لما كان التقدير: فكانت الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، عطف عليه قوله: ﴿ و كانت الجبال ﴾ أى التى هى مراسى الأرض و أوتادها، و عبر عن شدة الاختلاط ١٥ و التلاشى بالتوحيد فقال: ﴿ كثيبا ﴾ أى رملا مجتمعا، فعيل بمعنى

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الشرب (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كما. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المشرب (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الظفر فى جميع (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العروض.

مفعول، من كثبه - إذا جمعه، و مادة كثب [بتركيبيها كثب - [1]]
و كبث تدور على الجمع مع القرب، و تلزمه القلة، فان حقيقة القرب
قلة المسافة زمانا أو[2] مكانا، و النعومة، من كثبت التراب: درسته،
وكثب عليه - بمعنى حمل أو كر، معناه قارب ان يخالطه[3]، و كثيب الرمل:
٥ قطعة تنقاد محدودبة[4] - ناظر إلى القلة من معنى قطعة، و كل ما انصب[5] كذلك
أيضا لان الانصباب [6] عادة يكون[6] لما قل، و أما [7] نعم كثاب [8] بتقديم
الثاء و بتأخيرها أيضا أي كثير لمجاءته الكثرة من الصيغة، و الكاثبة
من الفرس هو [9] أضيق موضع[9] في عرضها، و الكثبة من الأرض:
المطمئنة بين[10] الجبال - لأنها تكون صغيرة غالبا، و[11] الكباث كسحاب [11]:
١٠ النضيج[12] من ثمر الأراك، و قيل: [13] ما لم ينضج[13]، و قيل: حمله إذا كان
متفرقا، فان أريد النضيج منه فتسميته به لأنه مجتمع، و إن أريد
/ما لم ينضج فهو من مقاربة النضج، و إن أريد المتفرق[14] فلقرب بعضه /٥٦٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و في الأصل و ظ «و» (٣) من ظ و م، وفي الأصل: يخلطه (٤) من ظ وم، وفي الأصل: محدودة (٥) في ظ: انتصب.
(٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: يكون عادة (٧) من ظ وم، وفي الأصل: لما (٨) في ظ: كثائب (٩ - ٩) من ظ و م، و في الأصل: موضع ضيق.
(١٠) من ظ و م، و في الأصل: من (١١ - ١١) من ظ و م، و في الأصل: الكتاب كالسحاب (١٢) زيد في الأصل: منه فتسميته به لانه مجتمع، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (١٣-١٣) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط.
(١٤) من ظ و م، و في الأصل: المتفرقة.

من بعض لأن الإراك نفسه صغير الشجر، و كبث اللحم - كفرح : بات مغموما فتغير او أروح [1]أى جمع[1] على إنائه الذى هو فيه إناء آخر، أو جمع ما هو فيه حتى تضايق فهو من الجمع لهذا، و أما الكنبث كقنفذ و الثاء مؤخرة : الصلب الشديد، فهو فى الغالب من جمع أجزائه و تداخل بعضها فى بعض، وتكبيث[2] السفينة أن تجنح إلى ٥ الأرض، هو من الجمع و القرب معا، و أما كثب كنانته - بمعنى نكثها، فكان فعل استعمل هنا للازالة، أى أزال اجتماعها أو بمعنى أنه قربها من رميه بتسييرها لسرعة التناول.

و لما كان الكثيب ربما أطلق مجازا على[3] ما ارتفع و إن لم يكن ناعما قال : ﴿ مهيلا ﴾ أى رملا سائلا رخوا لينا منثورا، من هاله - إذا ١٠ نثره، و قال الكلبي : هو الذى إذا أخذت منه شيئا تبعك[4] ما بعده. و لما ذكر العذاب و وقته و قدمهما ليكون السامع أقبل لما يطلب منه، أتبعهما السبب فيه مشيرا إلى ما به إصلاح أمر الآخرة التى فيها المعاد و إليها [5]المنتهى و المآب[5]، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم[6] : ﴿ انآ ارسلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اليكم ﴾ يا أهل مكة شرفا ١٥ لكم خاصة، و إلى كل من بلغته الدعوة عامة ﴿ رسولا ﴾ [أى -[7]]

(١-١) من ظ وم، و فى الأصل : بجمع (٢) من ظ وم، وفى الأصل : تبكيث. (٣) من ظ وم. وفى الأصل : الى (٤) من ظ، و فى الأصل : معك، وفى م : ينفك (٥-٥) من ظ وم، وفى الأصل : المآب و المنتهى (٦) فى ظ : تعذيبهم. (٧) زيد من ظ و م.

جدا [و - [1]] هو محمد صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين و إمامهم صلى الله عليه و سلم ﴿ شاهدا عليكم ﴾ أى بما تصنعون ليؤدى الشهادة عند طلبها منه [2] بما هو الحق [2] يوم ننزع من كل امة شهيدا و هو يوم القيامة .

٥ و لما كانت هذه السورة من أول ما نزل و الدين ضعيف و اهله فى غاية القلة و الذلة ليعتبر بهم من آل [به - [1]] أمره إلى ان كان [3] فى زمان صار فيه الدين غريبا كغربته إذ ذاك ، و كان فرعون أعتى [4] الناس فى زمانه و اجبرهم ، و أشدهم خداعا و أمكرهم ، [و - [1]] كانت بنو إسراءيل فى غاية الذل له و الطواعية لأمره ، و مع ذلك فلما أرسل الله

١٠ إليه موسى عليه السلام الذى ذبح فرعون أبناء بنى إسراءيل لأجل أن يكون فى جملة من ذبحه لأنه قيل له انه يولد لبنى [5] اسراءيل مولود يكون هلاك القبط على يده أظهره به و أهلكه على قوته و أنجى منه بنى إسراءيل على ضعفهم ، قال [تعالى - [1]] تنبيها لقريش و العرب و غيرهم على أن من كان الله معه لا ينبغى أن يقاوى [6] و لو أنه أضعف

١٥ الخلق ، و تنبيها لهم على الاعتبار بحال [7] هذا الطاغية الذى يزيد عليهم بالملك و كثرة الجنود و الأموال [8] : ﴿ إنآ ارسلنا ﴾ أى بما لنا من

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : صار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعز (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى بنى (٦) فى ظ : يقاويه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بحالة (٨) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

العظمة ﴿ الى فرعون ﴾ أى ملك مصر ﴿ رسولا ه ﴾ و لعله نكره للتنبيه على أنه ليس من قوم فرعون[١] فلا مانع له منه من حميم و لا شفيع يطاع[٢]، ليعلم أنه[٣] من كانت / له قبيلة تحامى عنه أولى بالنصرة . / ٦٦

و لما كان الإرسال سببا للقبول أو الرد قال : ﴿ فعصىٰ فرعون ﴾ أى بما له من تعوج الطباع ﴿ الرسول ﴾ أى الذى تقدم أنا أرسلناه ٥ إليه فصار معهودا لكم بعد ما أراه من المعجزات البينات[٢] و الآيات الدامغات ـ بما أشار إليه مظهر العظمة ، و لذلك سبب عن عصيانه قوله : ﴿ فاخذنٰه ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و بين انه [٤]أخذ قهر و غضب[٤] بقوله : ﴿ اخذا وبيلا ه ﴾ أى [٥]ثقيلا شديدا متعبا[٥] مضيقا ردئ العاقبة ، من قولهم[٦] : طعام وبيل - إذا كان وخما لا يستمرئ أى لا ينزل[٧] فى ١٠ المرى و لا يخف عليه ، و ذلك[٨] بأن أهلكناه و من معه أجمعين لم ندع منهم أحدا ، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى « الم نشرح » قاعدة إعادة النكرة[٩] و المعرفة .

و لما علم بهذا أنه سبحانه شديد الأخذ ، و أنه لا يغنى ذا الجد منه الجد ، سبب عن ذلك قوله محذرا لهم الاقتداء بفرعون :

---

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : مصر (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : ان (٤-٤) من ظ وم ، وفى الأصل : اخذه قهرا و غضبا و كيدا. (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : شديدا مثقلا متعقبا (٦) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يترك. (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : كذلك (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : التنكير.

﴿ فكيف تتقون ﴾ أى توجدون الوقاية التى تقى انفسكم، و [لما - [1]]
كان التنفير[2] من سبب التهديد أهم لأنه أدل على رحمة المحذر و أبعث
على اجتنابه، قال مشيرا بأداة الشك إلى أن كفرهم بالله مع ما نصب
لهم من الأدلة العقلية المؤيدة بالنقلية ينبغى أن لا يوجد بوجه، و إنما
٥ يذكر على سبيل الفرض و التقدير : ﴿ ان كفرتم ﴾ أى أوقعتم الستر
لما غرس فى فطركم من أنوار الدلائل القائدة إلى[3] الإيمان فبقيتم على
كفركم - على أن العبارة مشيرة إلى أنــه عفا عنهم الـكفر الماضى فلا
يعده[4] عليهم رحمة منه و كرما و لا يعد عليهم إلا ما أوقعوه بعد مجىء
الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ يوم ﴾ [اى - [1]] هو مثل فى الشدة
١٠ بحيث [أنه - [1]] يقال فيه ﴿ يجعل ﴾ لشدة أهواله و زلزاله و أوجاله
﴿ الولدان ﴾ اى عند الولادة أو بالقرب منها ﴿ شيبا ﴾ جمع أشيب
و هو من ابيض شعره، و ذلك كناية عن كثرة الهموم فيه لأن
العادة جارية بأنها إذا تفاقمت أسرعت بالشيب، و المعنى إنكار أن يقدروا
على أن يجعلوا لهم وقاية بغاية جهدهم تقيهم عذاب ذلك اليوم الموصوف
١٥ بهذا الهول الأعظم، و ذلك حين يقول الله : « يا آدم قم فابعث[5] بعث
النار من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعين » و أسند الجعل إلى اليوم
لكونه واقعا فيه كما جعله المتقى، و إنما المتقى العذاب الواقع فيه .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : التنكير (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بعيد (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و ابعث .

و لما كان هذا امرا عظيما، صور بعض اهواله زيادة فى عظمه فقال[1]: ﴿ السمآء ﴾ أى على عظمها و علوها و شدة إحكامها. و لما كان المراد الجنس[2] الشامل للكل ذكر فقال: ﴿ منفطر ﴾ أى منشق متزايل من هيبة الرب تزايل المتفرط من السلك، و لو أنث لكان ظاهرا فى واحدة من السماوات، و فى اختيار التذكير ايضا لطيفة/ أخرى، ٥ /٥٦٧ و هى إفهام الشدة الزائدة فى الهول المؤدى إلى انفطاره[3] ما هو فى غاية الشدة لأن الذكر فى كل شيء أشد من الأنثى، و ذلك كله تهويلا لليوم المذكور[4] ﴿ به ﴾ أى بشدة ذلك اليوم و باؤه للآلة، و يجوز كونها بمعنى «فيه» أى يحصل فيه التفطر و التشقق بالغمام و نزول الملائكة و غير ذلك من التساقط و الوهى على شدة وثاقتها[5] فما ظنك ١٠ بغيرها. و لما كان هذا عظيما، استأنف بيان هوانه[6] بالنسبة إلى عظمته سبحانه و تعالى فقال: ﴿ كان ﴾ أى على [كل - [7]] حال و بكل اعتبار ﴿ وعده ﴾ أى وعد الله الذى تقدم ذكره فى مظاهر العظمة، فالإضافة للصدر إلى الفاعل ﴿ مفعولا ﴾ اى سهلا مفروغا[8] منه فى أى شيء كان، فكيف إذا كان بهذا اليوم الذى هو محط الحكمة، ١٥

(١) زيد فى الأصل: مشيرا اليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: لذكر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الانفطاره.
(٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: وثاقها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هوله (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: مظروفا.

أو الضمير لليوم فالإضافة إلى المفعول، إشارة إلى ان الوعد الواقع به و فيه لابد منه، و معلوم أنه لا يكون إلا من الله.

و لما كان ما مضى من هـذه السورة من الاحكام و الترغيب و الترهيب مرشدا[١] إلى معالى الأخلاق منقذا من كل سوء، قال مستأنفا ٥ مؤكدا تنبيها على عظمها و أنها مما ينبغى التنبيه عليه: ﴿ان هذه﴾ أى القطعة[٢] المتقدمة من هذه السورة ﴿تذكرة ﴾ أى تذكير عظيم هو أهل لأن يتعظ بـه المتعظ و يعتبر به المعتبر، و لا سيما ما ذكر فيها بأهل الكفر من أنواع العقاب. و لما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن و القبيح، و اختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد، ١٠ فلم يبق له مانع من جهة اختيار الأصلح و الأحسن إلا قسر المشيئة التى لا اطلاع له عليها و لا حيلة [له -[٣]] فيها، سبب عن ذلك قوله: ﴿فمن شآء﴾ أى التذكر[٤] الاتعاظ ﴿اتخذ﴾ أى أخذ[٥] بغاية جهده ﴿الى ربه﴾ أى خاصة، لا إلى غيره ﴿سبيلاً ﴾ أى طريقا يسلبه حظوظه لكونه لا لبس فيه، فيسلك على[٦] وفق ما جاءه من التذكرة، ١٥ و ذلك الاعتصام حال السير بالكتاب و السنة على وفق ما اجتمعت عليه الأمة، و متى زاغ عن ذلك هلك.

و لما كان ربما تغالى بعض النـاس فى العبادة و شق على نفسه،

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: برشد (٢) من ظ وم، وفى الأصل: العظيمة. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التذكير (٥) من م، وفى الأصل و ظ: اخذا (٦) زيد فى الأصل: غير، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و ربما شق على غيره، أشار سبحانه و تعالى إلى الاقتصاد تخفيفا لما
يلحق الإنسان من النصب، مشيرا إلى ما يعمل حالة اتصال الروح
بالجسد و هي حالة الحياة، لأن منفعتها التزود من[1] كل خير لما أدناه[2]
هول المقابر، فان الروح في غاية اللطافة، و الجسد في غاية الكثافة،
لأنها من عالم الأمر، و هو ما يكون الإيجاد فيه بمرة واحدة من غير ٥
تدريج و تطوير، و الجسد من عالم الخلق فهي غريبة فيه تحتاج إلى
التأنيس، و تأنيسها بكل ما يقربها / إلى العالم الروحاني المجرد عن علائق
الأجسام، و ذلك بصرف [3]القلب كله[3] عن هذه الدنايا و التلبس
بالأذكار و الصلوات و جميع الأعمال الصالحات، فان ذلك هو المعين
على اتصالها بعالمها العالي العزيز الغالي[4]، و أعون ما يكون على ذلك ١٠
الحكمة، و هي العدل في الأعمال و الاقتصاد في الأقوال و الأفعال، فقال
مستأنفا الجواب عن تيسير السبيل و بنائه على الحنيفية السمحة بحيث صار
لا مانع منه إلا يد القدرة: ﴿ ان ربك ﴾ أي المدبر لأمرك على
ما يكون إحسانا إليك و رفقا بك و بأمتك ﴿ يعلم انك تقوم ﴾ أي
في الصلاة كما أمرت به أول السورة. ١٥

و لما كانت كثرة العمل ممدوحة و قلته بخلاف ذلك، استعار
للأقل [قوله ـ[5]] : ﴿ ادنىٰ ﴾ اى[6] زمانا أقل، و الأدنى[7] مشترك

(١) من ظ و م، و في الأصل « و » (٢) من ظ و م، و في الأصل : اردناه من.
(٣-٣) في م : القلب، وما بين الرقمين ساقط من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد
من ظ و م (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ، و في الأصل و م : أدنى.

بين الأقرب ، و الأدون للانزل[1] رتبــة لأن كلا منهما[2] يلزم منه قلة المسافة ﴿ من ثلثي الّيل ﴾ في بعض الليــالى ﴿ و نصفه و ثلثه ﴾ [أى -[3]] و أدنى من كل منهما في بعض الليالى - هذا على قراءة الجماعة ، و المعنى على قراءة ابن كثير و الكوفيين بالنصب تعيين النصف و الثلث

٥ الداخـل تحت الأدنى[4] من الثلثين ، و هو على القراءتين مطـابق لما وقع التخيير فيه في أول السورة بين قيام النصف بتمامه أو الناقص منه و هو الثلث أو الزائـد عليـه و هو الثلثان ، أو الأقل من الأقل من النصف و هو الربع .

و لما ذكر سبحانه قيامه صلى الله عليه و سلم ، أتبعه قيام أتباعه ،

١٠ فقال عاطفـا عـــلى الضمير المستكن[5] في "تقوم" و حسنه الفصل : ﴿ و طآئفة ﴾ أى و يقوم كذلك جماعة فيها أهلية التحلق باقبـالهم[6] عليك[7] و إقبال بعضهم على بعض . و لما [8]كانت العادة أن[8] الصاحب ربما أطلق [على - [9]] من مع الإنسان بقوله دون قلبه عدل إلى قوله : ﴿ من الذين معك ﴾ أى بأقوالهم و أفعالهم ، أى على الإسلام[10] ، و كأنه

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : لك انزل (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : منها.
(٣) زيد من ظ وم (٤) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فحذفناها.
(٥) من ظ وم ، وفى الأصل : المستتر (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : باقبالها.
(٧) زيد فى الأصل : باقبالهم عليهـا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٨-٨) فى ظ وم : كان (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : الانسان.

اختار هذا دون ان يقول "من المسلمين" لأنه يفهم ان طائفة لم تقم بهذا[1] القيام[1] فلم يرد[2] ان يسميهم مسلمين، و المعية أعم.

و لما كان [القيام - [3]] على هذا التفاوت مع الاجتهاد فى السبق فى[4] العبادة دالا على عدم العلم بالمقادير على ما هى عليه قال تعالى: ﴿و الله﴾ أى تقومون هكذا لعدم[5] علمكم بمقادير الساعات على ٥ التحرير و الحال أن الملك المحيط بكل شيء قدرة و علما وحده ﴿يقدر﴾ أى تقديرا عظيما هو فى غاية التحرير ﴿الّيل و النهار﴾ فيعلم كل دقيقة منهما على ما هى عليه لأنه خالقهما[6] و لا يوجد شيء منهما إلا به "الا يعلم من خلق"[7].

و لما علم من هذا المشقة عليهم فى قيام الليل على هذا الوجه علما ١٠ و عملا، ترجم ذلك بقوله: ﴿علم﴾ أى الله سبحانه ﴿ان لن تحصوه﴾ أى تطيقوا التقدير علما و عملا، و منه قوله صلى الله عليه و سلم / «استقيموا و لن تحصوا»، ﴿فتاب﴾ اى فتسبب عن هذا العلم أنه سبحانه / ٥٦٩ رجع بالنسخ عما كان أوجب ﴿عليكم﴾ بالترخيص لكم فى ترك القيام المقدر أول السورة، أى رفع التبعة[8] عنكم فى ترك القيام على ذلك ١٥

(١ - ١) فى ظ: هذا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فلم يراد (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: على (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لعلم (٦) من م، و فى الأصل و ظ: خلقهما (٧) زيد فى الأصل: الى آخره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: نسعته.

التقدير الذى قدره كما رفع عن التائب ، و كأنه سماه توبة و إن لم يكن ثم معصية إشارة إلى أنه من شأنه لثقله أن يجر إلى المعصية

و لما رفعه سبب عنه أمرهم بما يسهل عليهم فقال معبرا عن الصلاة بالقراءة لأنها أعظم أركانها إشارة إلى أن التهجد مستحب لا واجب :

٥ ﴿ فاقرءوا ﴾ أى فى الصلاة أو غيرها فى الليل و النهار ﴿ ما تيسر ﴾ أى سهل و هان إلى الغاية عليكم و لان و انقاد لكم ﴿ من القراٰن ط ﴾ أى الكتاب الجامع لجميع ما ينفعكم، قال القشيرى : يقال: من خمس آيات إلى ما زاد، و يقال: من عشر آيات إلى ما يزيد[١]، قال البغوى[٢] : قال قيس بن أبى حازم: صليت خلف ابن عباس رضى الله عنهما بالبصرة ،

١٠ فقرأ فى أول ركعة بالحمد و أول آية من البقرة، ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد و الآية الثانية . و قيل: إنه أمر بالقراءة مجردة إقامة [لها - [٣]] مقام ما كان يجب عليهم من الصلاة بزيادة فى التخفيف ، و لذلك روى أبو داود[٤] و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه

١٥ و سلم : من قام [٥] بعشر آيات [٥] لم يكتب من الغافلين، و من قام بمائة آية كتب من القانتين ، و من قام بألف آية كتب من المقنطرين[٦] . قال المنذرى : من سورة الملك إلى آخر القرآن ألف آية .

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل : زاد (٢) راجع المعالم ١٤٢/٧ (٣) زيد من ظ وم .
(٤) راجع السنن ٢٠٥/١ (٥ - ٥) من ظ وم والسنن ، وفى الأصل : بآيات .
(٦) من ظ و م والسنن، و فى الأصل : المقطين .

و لما كان هذا نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة
لعلمه سبحانه بعدم إحصائه، فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيانا
لحكمة أخرى للنسخ فقال: ﴿علم ان﴾ اى أنه ﴿سيكون﴾ [1] يعنى
بتقدير لا بد لكم [2] منه ﴿منكم مرضىٰ لا﴾ جمع مريض، و هذه السورة
من أول ما أنزل عليه صلى الله عليه و سلم، ففى هذا بشارة بأن أهل ٥
الإسلام يكثرون جدا .

و لما ذكر عذر المريض و بدأ به لكونه أعم و لا قدرة للمريض
على دفعه، أتبعه السفر للتجارة لأنه يليه فى العموم، فقال مبشرا
مع كثرة أهل الإسلام باتساع الأرض لهم: ﴿و ءاخرون﴾
[أى - [3]] غير المرضى ﴿يضربون﴾ أى يوقعون الضرب ﴿فى الارض﴾ ١٠
أى يسافرون لأن الماشى بجد واجتهاد يضرب [4] الأرض برجله، ثم استأنف
بيان علة الضرب بقوله: ﴿يبتغون﴾ أى يطلبون طلبا شديدا، و أشار
إلى سعة ما عند الله بكونه فوق أمانيهم فقال: ﴿من فضل الله لا﴾
أى بعض ما أوجده الملك الأعظم لعباده و لا حاجة [5] به إليه [5] بوجه
من الربح فى التجارة او تعلم العلم ﴿و ءاخرون﴾ أى منكم أيها المسلمون ١٥
﴿يقاتلون﴾ أى يطلبون و يوقعون قتل أعداء الله، و لذلك بينه بقوله:

---

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، وفى الأصل: له اليكم .

﴿ فى سبيل الله صلى ﴾ أى ذلك القتل مظروف لطريق[1] الملك الأعظم ليزول عن سلوكه المانع لقتل قطاع الطريق المعنوى و الحسى، و أظهر و لم يضمر تعظيما للجهاد و لئلا يلبس بالعود إلى المتجر، و هو ندب لنا من الله إلى رحمة العباد و النظر فى أعذارهم، فمن لا يرحم لا يرحم،
٥ قال البغوى[2]: روى إبراهيم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: أيما رجل جلب شيئا من مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبد الله "و آخرون يضربون فى الارض يبتغون" الآية. و عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما [أنه -[3]] قال: ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله احب إلىّ من أن
١٠ أموت بين شعبتى رجل اضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله.

و لما كانت هذه أعذارا أخرى مقتضية للترخيص أو أسبابا لعدم الإحصاء، رتب عليها الحكم السابق، فقال مؤكدا للقراءة بيانا لمزيد عظمتها: ﴿ فاقرءوا ﴾ أى كل واحد منكم ﴿ ما تيسر ﴾ أى لكم ﴿ منه لا ﴾ أى القرآن، أضمره[4] إعلاما بأنه عين السابق، فصار الواجب قيام شيء
١٥ من الليل على وجه التيسير، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس. و لما كان صالحا لأن يراد به الصلاة لكونه أعظم أركانها و أن يراد [به -[3]] نفسه من غير صلاة زيادة فى التخفيف، قال ترجيحا لإرادة هذا الثانى

(١) من م، و فى الأصل و ظ: بطريق (٢) راجع معالم التنزيل ٧ / ١٤٢.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مضى.

أو

أو تنصيصا على إرادة الأول: ﴿ و اقيموا ﴾ أى أوجدوا إقامة ﴿ الصلوٰة ﴾ المكتوبة بجميع الأمور التى تقوم بها من أركانها و شروطها و مقدماتها و متمماتها و هيئاتها و محسناتها و مكملاتها .

و لما ذكر بصفة الخالق التى هى [أحد - [1]] عمودى الإسلام البدنى و المالى، أتبعها العمود الآخر و هو الوصلة بين الخلائق فقال: ٥ ﴿ و اٰتوا ﴾ من طيب أموالكم التى أنعمنا بها عليكم ﴿ الزكوٰة ﴾ أى المفروضة، و لما كان المراد الواجب المعروف، أتبعه سائر الانفاقات المفروضة و المندوبة، فقال: ﴿ و اقرضوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال التى منها[2] الغنى المطلق، من أبدانكم و أموالكم فى أوقات صحتكم و يساركم ﴿ قرضا حسنا[4] ﴾ من نوافل الخيرات كلها ١٠ فى جميع شرعه رغبة تامة و على هيئة جميلة فى ابتدائه و انتهائه و جميع أحواله، فانه محفوظ لكم عنده[3] مبارك فيه ليرده عليكم مضاعفا[4] أحوج ما تكونون إليه .

و لما كان هذا الدين جامعا، و كان هذا القرآن حكيما لأن منزله[5] له صفات الكمال[6] فأمر فى هذه الجمل بأمهات الأعمال اهتماما بها[7]، ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها (٣) زيد فى الأصل : و انه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : و انتم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : يكون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الكلام (٧) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

أتبع ذلك أمرا عاما بجميع شرائع الدين فقال: ﴿ و ما تقدموا ﴾ و حث على إخلاص النية بقوله: ﴿لانفسكم ﴾ أى خاصة سلفا لأجل ما بعد الموت لا تقدرون على الأعمال ﴿ من خير ﴾ أى أىّ[1] خير كان من عبادات [2] البدن و المال[2] ﴿ تجدوه ﴾ محفوظا لكم ﴿ عند الله ﴾ اى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿هو ﴾ أى[3] لا غيره[4] ﴿ خيرا ﴾ أى لكم، و جاز وقوع الفصل بين غير معرفتين لأن «أفعل[5] من» كالمعرفة، و لذلك يمنع دخول أداة التعريف[6] عليها.

و لما كان [كل -[7]] من عمل خيرا جوزى عليه سواء كان عند الموت [8] او فى[8] الحياة سواء كان كافرا أو مسلما[9] مخلصا أو لا، إن كان مخلصا كان جزاؤه فى الآخرة و إلا ففى الدنيا، [قال -[7]]: ﴿ و اعظم اجرا ﴾ أى مما لمن أوصى فى مرض الموت، [و كان -[7]] بحيث يجازى [به -[7]] فى الدنيا.

و لما كان الإنسان إذا عمل ما يمدح عليه و لا سيما إذا[10] كان المادح

---

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م و فى الأصل: المال و البدن. (٣) زيد فى الأصل: الله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: يدخر لكم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل، الافعال، و فى ظ: افعال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الصرف. (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: ام (٩) من ظ و م، وفى الأصل: المسلم (١٠) فى م: ان، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « بوجه على ».

له ربه ربما أدركه الإعجاب، بين له أنه لا يقدر بوجه على أن يقدر الله حق قدره، فلا يزال مقصرا فلا يسعه إلا العفو بل الغفر فقال حاثا على أن يكون ختام الأعمال بالاستغفار و الاعتراف بالتقصير فى خدمة المتكبر الجبار مشيرا إلى حالة انفصال روحه عن بدنه و أن صلاحها الراحة من كل شر: ﴿ و استغفروا الله[1] ﴾ أى اطلبوا و أوجدوا ٥ ستر الملك الأعظم الذى لا تحيطون بمعرفته [فكيف - ١] بأداء حق خدمته لتقصيركم عينا و اثرا بفعل ما يرضيه و اجتناب ما يسخطه.

و لما علم من السياق و من التعبير بالاسم الأعظم أنه سبحانه بالغ فى العظمة إلى حد يؤيس من إجابته، علل الأمر بقوله مؤكدا تقريبا لما يستبعده من يستحضر عظمته سبحانه و شدة[2] انتقامه و قوة ١٠ بطشه: ﴿ ان الله ﴾ و أظهر إعلاما بأن[3] صفاته لا تقصر آثارها على المستغفرين و لا على مطلق السائلين ﴿ غفور ﴾ أى بالغ الستر لأعيان الذنوب و آثارها حتى لا يكون عليها عتاب و لا عقاب ﴿ رحيم ع ﴾ أى بالغ الإكرام بعد الستر إفضالا و إحسانا و تشريفا و امتنانا، و قد اشتملت هذه السورة على شرح قول النبى صلى الله عليه و سلم فيما أوتى ١٥ من جوامع الكلم «[اللهم - ١] أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى و أصلح لى دنياى التى فيها معاشى و اصلح لى آخرتى التى إليها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قدرة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ان.

منقلبي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من [1] كل شر [1]، كما أشير إلى كل جملة منها في محلها، و لقد رجع آخر السورة - بالترغيب في العمل و ذكر جزائه - على أولها الآمر بالقيام بين يديه و باشارة [2] الاستغفار إلى عظم المقام و إن جل العمل و دام و إن كان بالقيام في ظلام الليالي و الناس نيام، فسبحان من له هذا الكلام المعجز لسائر الأنام لإحاطته بالجلال و الإكرام، [3] فسبحانه من إله جابر القلوب المنكسرة [3].

(١ - ١) من ظ و م، و في الأصل: مشر (٢) من ظ و م، و في الأصل: بالاشارة الى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة المدثر[1]

مقصودها الجد و الاجتهاد فى الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار، و إثبات البعث فى أنفس المكذبين الفجار، و الإشارة بالبشارة لأهل الادكار، بحلم العزيز / الغفار، و اسمها المدثر[2] أدل ما فيها على ذلك، ٥ / ٧٢
و ذلك واضح لمن تأمل النداء[3] و المنادى به و السبب ﴿ بسم الله ﴾ [4]الملك الأعلى الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمتى الإيجاد و البيان الأبرار و الفجار ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل اصفيائه بالاستبصار، و التوفيق إلى ما يوصل إلى دار القرار.

لما[5] ختمت "المزمل" بالبشارة لأرباب[6] البصارة بعد ما بدئت ١٠
بالاجتهاد[7] فى الخدمة المهيئ للقيام بأعباء الدعوة، افتتحت هذه [بمحط - [8]] حكمة الرسالة و هى النذارة لأصحاب[9] الخسارة، فقال معبرا بما فيه بشارة بالسعة فى المال و الرجال و الصلاح و حسن الحال فى الحال و المآل، و معرفا بأن المخاطب فى غاية اليقظة بالقلب و إن

---

(١) الرابعة و السبعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ست و خمسون (٢) زيد فى الأصل و ظ : على، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٣) من م، و فى الأصل و ظ : النداز (٤) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، وفى الأصل و ظ : و لما (٦) من ظ و م، و فى الأصل : لأهل (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، وفى الأصل : لأرباب.

ستر القالب: ﴿ يٰٓايها المدثر ﴾ المشتمل بثوبه، من تدثر[1] بالثوب: اشتمل به، و الدثار - بالكسر ما فوق الشعار من الثياب، و الشعار ما لاصق البدن "الأنصار شعار و الناس دثار" و الدثر: المال الكثير، و دثر الشجر: أورق، و تدثير الطائر: إصلاحه عشه، و التعبير بالأداة ٥ الصالحة للقرب و البعد يراد به غاية القرب بما عليه السياق و إن كان التعبير بالأداة فيه نوع ستر[2] لذلك مناسبة للتدثر[2]، و اختير التعبير بها[3] لأنه لا يقال بعدها إلا ما جل و عظم من الأمور، و كان الدثار لم يعم بدنه الشريف بما دل عليه التعبير بالإدغام دون[4] الإظهار الدال على المبالغة لأن المراد إنما كان ستر العين ليجتمع القلب، فيكفى فى ١٠ ذلك ستر الرأس و ما قاربه من البدن، و الإدغام شديد المناسبة للدثار.

و لما كان [فى - [5]] حال تدثره قد لزم موضعا واحدا فلزم من ذلك إخفاء نفسه الشريفة، أمره صلى الله عليه و سلم بالقيام، و سببه عنه الإنذار إشارة إلى أن ما يراد[6] به من أنه يكون أشهر الخلق بالرسالة العامة مقتض لتشمير الذيل و الحمل على النفس بغاية الجد ١٥ و الاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار، فهو مناف للتدثر بكل اعتبار فقال: ﴿ قم ﴾ أى مطلق قيام، و لا سيما من محل تدثرك بغاية العزم و الجد.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تدثره (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من م، و فى الأصل وظ: به (٤) من ظ وم، و فى الأصل: بدون (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يرا.

و لما كان الأمر عند نزول هذه السورة فى أوله و الناس قد عمهم[1] الفساد، ذكر أحد وصفى الرسالة إيذانا بشدة الحاجة إليه فقال مسببا عن قيامه: ﴿فانذر ﴾ أى فافعل الإنذار لكل من يمكن إنذاره فأنذر من كان راقدا فى غفلاته، متدثرا بأثواب[2] سكراته، لاهيا عما أمامه من أهوال يوم القيامة، و كذا من كان مستيقظا و لكنه ٥ متدثر بأثواب تشويفاته و أغشية فتراته، فانه [يجب - [3]] على كل[4] مربوب أن يشكر ربه و إلا عاقبه بعناده له أو غفلته عنه[5] بما أقله الإعراض عنه، و حذف المفعول إشارة إلى عموم الإنذار لكل من يمكن منه المخالفة عقلا و هم جميع الخلق، و ذلك / أنه صلى الله عليه / ٥٧٣ و سلم كان[6] نزل عليه جبريل عليه السلام بـ "اقرأ باسم ربك[7]" و نحوها ١٠ [8] فكان بذلك نبيا[8] ثم نزلت[9] عليه هذه [الآية - [10]] فكان بها رسولا، و ذلك أنه نودى و هو فى جبل حراء، فلما سمع الصوت نظر[9] يمينا و شمالا فلم ير شيئا، فرفع راسه[11] فاذا جبريل عليه الصلاة و السلام جالس على عرش بين السماء و الأرض، ففرق [8] من ذلك [8] أشد الفرق،

---

(١) فى م: عم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى اثواب (٣) زيد من ظ و م.
(٤) زيد فى الأصل: من كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٦) زيد فى الأصل: اذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: الذى خلق خلق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨ - ٨) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م.
(٩) من ظ و م. و فى الأصل: نزل (١٠) زيد من ظ (١١) من ظ و م، و فى الأصل: طرفه.

فبادر المجيء إلى البيت ترجف بوادره[١] و قال: دثرونى دثرونى، لقد خشيت على نفسى، صبوا علىّ ماءا باردا.

و لما كان الإنذار يتضمن مواجهة الناس بما يكرهون، و ذلك عظيم على الإنسان، و كان المفتر عن[٢] اتباع الداعى أحد أمرين: تركه
٥ بما يؤمر به، و طلبه عليه الأجر، كما أن الموجب لاتباعه عمله بما دعا إليه، و بعده عن أخذ الأجر عليه، أمره بتعظيم من أرسله سبحانه فانه إذا عظم حق تعظيمه صغر كل شيء دونه، فهان عليه الدعاء و[٣] كان له معينا على القبول فقال: ﴿و ربك﴾ أى [٤]المربى لك[٤] خاصة ﴿فكبر ۝ﵓ﴾ أى [٥]و قم[٥] فتسبب عن قيامك بغاية الجد[٦] و الاجتهاد أن تصفه وحده
١٠ بالكبرياء قولا و اعتقادا على كل حال، و ذلك تنزيهه عن الشرك أول كل شيء، و كذا عن كل ما لا يليق به من وصل و فصل، و من سؤال غيره، و الاشتغال بسواه.

[و -[٧]] قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: ملاءمتها[٨] لسورة المزمل واضحة، و استفتاح السورتين من نمط واحد، و ما ابتدئت
١٥ به كل واحدة منهما من جليل خطابه عليه الصلاة و السلام و عظيم تكريمه "[٩]يايها المزمل[٩]" "يايها المدثر" و الأمر فيهما بما يخصه "قم اليل الا قليلا نصفه" الآى، و فى الأخرى "قم فانذر

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فواده (٢) من ظ و م، و فى الأصل: على (٣) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥ - ٥) من م، و فى الأصل و ظ: فقم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الجهد (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لملايمتها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من م.

و ربك فكبر" اتبعت فى الاولى بقوله "فاصبر على ما يقولون" و فى
الثانية بقوله "و لربك فاصبر" و كل ذلك قصد واحـد ، و أتبع أمره
بالصبر فى المزمل بتهديد الكفار و وعيدهم "و ذرنى و المكذبين" الآيات،
وكذلك فى الأخرى "ذرنى و من خلقت وحيدا" الآيات ، فالسورتان
واردتان فى معرض واحد و قصد متحد - انتهى . ٥

و لما كان تنزيه العبد عن الأدناس لأجل تنزيه المعبود ، قال
آمرا بتطهير الظاهر و الباطن باستكمال القوة النظرية فى تعظيمه سبحانه
ليصلح أن يكون من أهل حضرته و هو أول مأمور بـه من رفض
العادات المذمومة: ﴿و ثيابك فطهر ﴾ اى و قم لخص ثيابك الحسية
بابعادها عن النجاسات بمجانبة عوائد المتكبرين من تطويلها ، و بتطهيرها ١٠
لتصلح للوقوف فى الخدمة بالحضرة القدسية ، و[1] المعنوية و هى كل ما
اشتمل على العبد من الأخلاق المذمومة و العوائد السقيمة من الفترة[2]
عن الخدمة و الضجر و الاسترسال مع شيء من عوائـد النفس ، و ذلك
يهون باستكمال القوة النظرية .

و لما أمر بمجانبة القذر فى الثياب و أراد الحسية و المعنوية ،/ وكان ١٥ / ٧٤
ذلك ظاهرا[3] فى الحسية، و جعل ذلك كناية عن تجنب الأقذار كلها
لأن من جنب ذلك [ملبسه - [4]] أبعده عن نفسه من باب الأولى ،

(١) زيد فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ
و م ، و فى الأصل : المعمرة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ظاهر (٤) زيد من
ظ و م .

حقق العموم و أكد فقال: ﴿و الرجز﴾ اى كل قذر فانه سبب الدنايا التى هى سبب العذاب، قال فى القاموس: الرجز بالكسر و الضم: القذر و عبادة الأوثان [و العذاب] و الشرك. ﴿فاهجر ﴿٥﴾﴾ أى جانب جهارا و عبادة، ليحصل لك الثواب كما كنت تجانبها سرا و عادة، فحصل ٥ لك الثناء الحسن حتى أن قريشا إنما تسميك الأمين و لا تناظر لك أحدا منها.

و لما بدأ بأحد سببى القبول[1]، اتبعه الثانى المبعد عن قاصمة العمل من الإعجاب و الرياء و الملل فقال: ﴿و لا تمنن﴾ [أى -[2]] على أحد بدعائك له أو بشىء تعطيه له على جهة الهبة أو القرض بأن تقطع لذة ١٠ من أحسنت إليه بالتثقيل عليه بذكرك على جهة الاستعلاء و الاستكثار بما فعلته معه، [3]أو لا[3] تعط شيئا حال كونك ﴿تستكثر ﴿٦﴾﴾ أى تطلب أن تعطى أجرا أو أكثر مما أعطيت - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[4]، و هو من قولهم، منّ - إذا أعطى، و ذلك لأن الأليق بالمعطى من الخلق أن يستقل ما أعطى، و يشكر الله الذى وفقه له، [و -[2]] بالآخذ أن ١٥ يستكثر [ما أخذ -[2]]، فأمر النبى صلى الله عليه و سلم أن لا يفعل شيئا لعلة أصلا، بل لله خالصا، فانه إذا زال الاستكثار حصل الإخلاص، لأنه لا يتعلق همه بطلب الامتثال، فكيف بالاستقلال، فيكون [العمل -[2]] فى غاية الخلوص لا يقصد به ثوابا أصلا، و لا يراد لغير وجه الله تعالى، و هذا هو النهاية فى الإخلاص.

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: القول (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: او (٤) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٦٩.

و لما كان الإنذار شديدا على النفوس يحصل به من المعالجات ما الموت دونه، لأن ترك المألوفات أصعب شيء على النفوس، و كذا ترك الفوائد، قال أمرا بالتحلي بالعاصم[١] بعد التخلي عن القاصم، معلما [٢]بأن الأذى[٢] من المنذرين أمر لابد منه فيدخل[٣] في الطاعة على بصيرة، فاقتضى الحال لذلك أن الإنذار يهون بالغنا[٤] عن الفانين و الكون ٥ مع الباقي وحده، فأشار إلى ذلك بتقديم الإله معبرا عنه بوصف الإحسان ترغيبا فقال: ﴿ و لربك ﴾ أي المحسن إليك، المربي لك، المدبر لجميع مصالحك وحده ﴿ فاصبر ﴾ [أي - [٥]] على مشاق التكاليف أمرا و نهيا و أذى [٦]المشركين و شظف[٦] العيش و جميع البلايا[٧]، فانه يجزل عطاءك من خير الدارين بحيث لا يحوجك إلى أحد، و يحوج ١٠ الناس إليك، و يهون عليك حمل المشاق في الدارين و لا سيما أمر يوم البعث، فان [من - [٨]] حمل العمل في الدنيا حمله[٩] العمل في الآخرة .

و لما كان المقام للانذار، و كان من رد الأوامر تكذيبا كفر، و من تهاون بها [١٠]ما أطاع[١٠] و لا شكر، حذر من الفتور عنها بذكر ١٥

(١) من ظ و م، و في الأصل: بالمعاصي (٢-٢) من م، و في الأصل و ظ: بالأذى - كذا (٣) في م: ليدخل (٤) من ظ و م، و في الأصل: بالقا - كذا. (٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: للشركين و شظفا (٧) من ظ، و في الأصل و م: العطايا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و في الأصل: حمل (١٠-١٠) من ظ و م، و في الأصل: لا اطلاع .

ما للمكذب بها، فقال مسببا عن ذلك باعثا على اكتساب الخيرات من غير كسل و لا توقف، مذكرا بأن الملك [١] التقم القرن و أصغى بجبهته انتظارا [١] للأمر بالنفخ، مشيرا بالبناء للفعول إلى هوانه لديه و خفته عليه مؤذنا بأداة التحقق أنه لابد من وقوعه: ﴿ فاذا نقر ﴾ أى نفخ ٥ و صوّت بشدة و صلابة و نفوذ و إنكاء ﴿ فى الناقور ﴾ أى الصور و هو القرن الذى اسرافيل عليه / [٢] السلام ملتقمه الآن و هو مصغ /٥٧٥ لانتظار الأمر بالنفخ فيه للقيامة، و يجوز أن يراد الأيام [٣] التى يقضى فيها بالذل على الكافرين كيوم بدر و الفتح و غيرهما كما جعلت الساعة و القيامة كناية عن الموت، فقال صلى الله عليه و سلم ١٠ « من مات فقد قامت قيامته » عبر عنه بالنقر إشارة إلى أنه فى شدته [٤] كالنقر فى الصلب فيكون عنه صوت هائل، و أصل النقر القرع الذى هو سبب الصوت فهو أشد من صدعك لهم بالإنذار للحذار من دار البوار، فهنالك ترد الأرواح إلى أجسادها، فيبعث الناس فيقومون من قبورهم كنفس واحدة، و ترى عاقبة الصبر، و يرى أعداؤك عاقبة ١٥ الكبر، و التعبير فيه بصيغة المبالغة و جعله فاعلا كالجاسوس إشارة إلى زيادة العظمة حتى كأنه هو الفاعل على هيئة هى فى غاية الشدة و القوة، و حذر النبى صلى الله عليه و سلم أصحابه رضى الله عنهم من النفخ فى

(١-١) من ظ، و فى الأصل: الملتقم القران و اضع جبهته، و ليست العبارة واضحة فى م (٢) جاءت صفحة من الأصل مطموسة فانتسخناها من ظ.
(٣) من م، و فى ظ: للايام (٤) فى م: شدة.

الصور و قربه فقالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله و نعم الوكيل . و يجوز أن يكون التسبب عن الأمر بالصبر، أى اصبر فلأخذن بثأرك فى ذلك اليوم بما يقر عينك، فيكون تسلية له صلى الله عليه و سلم و تهديدا لهم .

و لما ذكر هذا الشرط هل (؟) الذى صوره [بصوره -[1]] هائلة، ٥ أجابه بقوله: ﴿ فذلك ﴾ أى الوقت الصعب الشديد العظيم الشدة جدا البالغ فى ذلك مبلغا يشار إليه إشارة ما [هو - [1]] أبعد بعيد، و هو وقت النقر، ثم أبدل من هذا المبتدأ زيادة فى تهويله قوله: ﴿ يومئذ ﴾ أى وقت إذ يكون ذلك النقر[2] الهائل ﴿ يوم عسير ۙ ﴾ أى بالغ العسر ﴿ على الكفرين ﴾ أى الذين كانوا يستهينون بالإنذار و يعرضون عنه ١٠ لأنهم راسخون فى الكفر الذى هو ستر ما يجب إظهاره من دلائل الوحدانية . و لما كان العسر قد يطلق على الشيء [و - [1]] فيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسيرا، بين أنه ليس كذلك بقوله: ﴿ غير يسير ۝ ﴾ لجمع فيه بين إثبات الشيء و نفى ضده تحقيقا لأمره و دفعا [3] للمجاز عنه[3] و تأييدا لكونه و لأنه غير منقطع بوجه، و تقييده ١٥ بالكافرين يشعر بتيسره على المؤمنين .

و لما آذن هذا بأن أكثر الخلق يوافى يوم القيامة على كفره و خبث طويته[4] و سوء أمره و كان ذلك مما يهم لشفقته صلى الله عليه

(١) زيد من م (٢) من م، وفى ظ: النقير (٣-٣) من م، و فى ظ: للمجازنة.
(٤) من م، و فى ظ: طينته .

و سلم على الخلق ، و لما يعلم من نصبهم[1] للعداوة ، هون امرهم عليه و حقر شأنهم لديه بوعده بالكفاية بقوله مستأنفا منبها على أسباب الهلاك التى أعظمها الغرور و هو شبهة زوجتها شهوة : ﴿ ذرنى ﴾ أى آتركنى على أى حالة اتفقت ﴿ و من ﴾ أى مع كل من ﴿ خلقت ﴾ أى أوجدت ٥ من العدم و أنشأت فى أطوار الخلقة ، حال كونه ﴿ وحيدا ﴾ لا مال له و لا ولد[2] / و لا شىء ، و حال كونى أنا واحدا شديد الثبات فى صفة الوحدانية لم[3] يشاركنى فى صنعه[4] أحد فلم يشكر هذه النعمة بل كفرها بالشرك بالله [5]سبحانه القادر على إعدامه بعد ايجاده[5] .

/ ٥٧٦

و لما كان المطغى للانسان المكنة[6] التى قطب دائرتها المال قال : ١٠ ﴿ و جعلت له ﴾ [أى -[7]] باسباب أوجدتها أنا وحدى[8] لا حول منه[9] و لا قوة بدليل أن غيره اقوى منه بدنا و قلبا و أوسع فكرا و عقلا و هو دونه فى ذلك ﴿ مالا ممدودا ﴾ أى مبسوطا واسعا ناميا[8] [كثيرا جدا -[7]] عاما لجميع أوقات وجوده ، و المراد به كما يأتى الوليد ابن المغيرة ، قال ابن عباس رضى الله عنهما[10] : كان له بين مكة و الطائف ١٥ إبل[9] و حجور و نعم و جنان و عبيد و جوار .

(١) من م ، و فى ظ : نصحهم (٢) و إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : صنعى .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : له (١٠) راجع البحر المحيط ٣٧٣/٨ .

[و لما كان اول ما تمتد إليه النفس بعد كثرة المال الولد،
و كان أحب الولد الذكر -[1]] ، قال : ﴿ و بنين ﴾ و لما كان الاحتياج
إلى فراقهم و لو زمنا يسيرا شاقا ، و كان الزمهم[2] له و اغنامم عن
الضرب فى الأرض نعمة أخرى قال : ﴿ شهودا ﴾ اى حضورا معه
لغناه عن الأسفار بكثرة المال و انتشار الخدم [و - [1]] قوة الأعوان، ٥
و هم مع حضورهم فى الذروة من الحضور بتمام العقل و قوة الحذق،
فهم فى غاية المعرفة بما يزيدهم الاطلاع[3] عليه حيثما أرادهم وجدهم و تمتع
بلقيام ، و مع ذلك فهم[4] اعيان المجالس و صدور المحافل كأنه لا شاهد
بها غيرهم . منهم خالد الذى من الله باسلامه ، فكان سيف الله تعالى
و سيف رسوله صلى الله عليه و سلم . ١٠

و لما كان [هذا كناية - [1]] عن سعة الرزق و عظم الجاه،
و كان من بسط له فى المال و الولد و الجاه تتوق نفسه إلى إتمام ذلك
بالحفظ و التيسير، قال مستعطفا لمن كان هكذا[5] بالتذكير بنعمه :
﴿ و مهدت ﴾ اى بالتدريج و المبالغة ﴿ له ﴾ أى وطأت و بسطت
و هيات فى الرئاسة بأن جمعت له إلى ملك الأعيان ملك المعانى التى ١٥
منها القلوب، و أطلت عمره، و أزلت عنه موانع الرغد فى العيش،
و وفرت اسباب الوجاهة له حتى دان لذلك الناس، و أقام ببلده
مطمئنا يرجع إلى رأيه الأكابر، قال ابن عباس رضى الله عنهما[6]:

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل : الزامهم (٣) من ظ ، و فى الاصل و م :
للاطلاع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل :
كهدا (٦) راجع البحر المحيط ٨ /٣٧٣ .

وسعت له ما بين اليمن إلى الشام[1] فأكملت له من سعادة الدنيا ما أوجب التفرد في زمانه من أهل بيته و نخذه بحيث كان يسمى الوحيد و ريحانة قريش فلم يزع هذه النعمة العظيمة : [و ن[2]] أكد ذلك بقوله : ﴿ تمهيدا ﴾ .

٥ و لما كان قد فعل به ذلك سبحانه ، فأورثته هذه النعمة من البطر و الاستكبار على من خوله فيها ضد ما كان ينبغي له من الشكر و الازدجار[3] ، قال محققا أنه سبحانه هو الذي وهبها له و هو الواحد القهار ، مشيرا بأداة التراخي[4] إلى استبعاد الزيادة له على حالته هذه من عدم الشكر : ﴿ ثم ﴾ /[5] أي بعد الأمر العظيم الذي ارتكبه من /٥٧٧

١٠ تكذيب رسولنا صلى الله عليه و سلم ﴿ يطمع ﴾ أي بغير سبب يدلي[6] به إلينا مما جعلناه سبب[7] المزيد من الشكر : ﴿ ان ازيد ﴾ أي فيما آتيته من دنياه أو آخرته و هو يكذب رسولي[8] صلى الله عليه و سلم .

و لما كان التقدير : إنه ليطمع في ذلك لأن المال و الجاه يجران الشرف و العظمة بأيسر سعي ، هذا هو المعروف المتداول المألوف ،

١٥ استأنف زجره عن ذلك بمجامع الزجر ، علما من أعلام النبوة ، و برهانا قاطعا على صحة الرسالة ، فقال ما لا يصح أن يقوله غيره سبحانه

---

(١) في ظ : اشمال (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الادخار .
(٤) من ظ و م ، و في الأصل : الزيادة (٥) جاءت العبارة هنا مطموسة في الأصل فانتسخناها من ظ (٦) من م ، و في ظ : يدل (٧) من م ، و في ظ : سببها (٨) من م ، و في ظ : رسول الله :

لأنه[1] مع انه لا تردد فيه و لا امتراء طابق الواقع، فلم يزد بعد ذلك شيئا، بل لم يزل في نقصان حتى هلك و تمت كلمات ربك صدقا و عدلا، لا مبدل لكلماته: ﴿ كلا ﴾ أي و عزتنا و جلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلا، و أما النقصان فسيرى إن استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع، و ليزدجر و ليرتجع[2]، فانه حمق محض، ٥ و زخرف بحت، و غرور صرف . و لما ردعه هذا الردع المقتضي و لابد للاذعان و صادق الإيمان ممن لم يستول عليه الحرمان، علله بقوله مؤكدا لإنكارهم العناد[3] و المعاد: ﴿ انه ﴾ أي هذا الموصوف ﴿ كان ﴾ بخلق كأنه جبلة [له - [4]] و طبع لا يقدر على الانفكاك عنه ﴿ لأيتنا ﴾ على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية إلى الوحدانية، ١٠ لا لغيرها من الشبه القائدة إلى الشرك ﴿ عنيدا[5] ﴾ اى بالغ العناد على وجه لا يعد عناده لغيرها بسبب مزيد قبحه عنادا، و العناد - كما قال الملوى: من كبر في النفس أو يبس في الطبع أو شراسة في الأخلاق أو خبل في العقل، و قد جمع ذلك كله إبليس، لأنه خلق من نار. و هي من طبعها اليبوسة و عدم الطواعية، و حقيقته ميل عن الجادة، و مجاوزة ١٥ للحد مع الإصرار و اللزوم، و منه مخالفة الحق مع المعرفة بأنه حق .

و لما كان هذا محرا للتشوف إلى[5] بيان هذا الردع، و كان العناد غلظة في الطبع و شكاسة في الخلق يوجب[5] النكد و المشقة جعل

---

(١) سقط من م (٢) في م: ليرجع (٣) من م و في ظ: العنادة (٤) زيد من م. (٥) في ظ بياض ملأناه من م .

جزاءه[1] من جنسه فقال: ﴿ سأرهقه ﴾ اى الحقه بعنف و غلظة وقهر إلحاقا يغشاه و يحيط به بوعيد لا خلف فيه ﴿ صعودا ﴾ [2] أى شيئا[2] من الدواهي و الأنكاد كأنه عقبة، فان الصعود لغة العقبة شاق المصعد جدا، وروى الترمذي[3] عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم

٥ أنه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى، و فى رواية[4]: انه كلما وضع يده فى معالجة الصعود ذابت، فاذا رفعها عادت و كذا رجله، و قال الكلبي[4]: إنه صخرة ملساء فى[5] / النار يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، و يضرب من خلفه بمقامع[6] الحديد فيصعدها[7] فى أربعين [عاما - [8]]، فاذا بلغ ذروتها أسقط إلى[9] أسفلها ١٠ ثم يكلف أن يصعدها، فذلك دأبه أبدا.

/٥٧٨

و لما حصل التشوف إلى بعض ما عاند بـه الآيات، قال مبينا لذلك مؤكدا لاستبعاد العقلاء لما صنع لبعده عن الصواب و معرفة كل ذى لب أنه كذب: ﴿ انه ﴾ أى هـذا العنيد ﴿ فكر ﴾ أى ردد[10] فكره و اداره تابعا لهواه لأجل الوقوع على شيء يطعن به فى ١٥ القرآن ﴿ و قدر ﴾ أى أوقع تقديرا للامور التى يطعن بها فيه وقايتها

---

(١) من م، وفى ظ: جزاء (٢ - ٢) ما بين الرقمين بياض فى ظ ملأناه من م. (٣) راجع الجامع ٢/١٦٨ (٤) راجع المعالم ٧/١٤٦ (٥) و إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٦) من ظ و المعالم، و فى الأصل: مقامع (٧) من ظ وم والمعالم، و فى الأصل: فصعد (٨) زيد من ظ و م و المعالم (٩) من م و المعالم، و فى الأصل و ظ: فى (١٠) من ظ و م، و فى الاصل: رد.

فى نفسه ليعلم أيها اقرب [1] إلى القبول [1] . و لما كان تفكيره و تقديره قد أوقع غيره فى الهلاك بمنعه من حياة الإيمان أصيب هو بما منعه [2] من حياة نافعة فى الدارين ، و ذلك هو الهلاك [3] الدائم . و لما كان الضار إنما هو الهلاك لا كونه من معين ، سبب عن ذلك بانيا للفعول قوله مخبرا [و - [4]] داعيا دعاءا مجابا لا يمكن تخلفه : ﴿فقتل﴾ أى هلك و لعن ٥ و طرد فى دنياه هذه . و لما كان التقدير غاية التفكير ، و كان التفكير ينبغى أن يهديه إلى الصواب ، فقادم إلى الغى ، عجب منه فقال منكرا عليه معبرا بأداة الاستفهام إشارة إلى أنه مما يتعجب منه و يسأل عنه : ﴿كيف قدر لا﴾ أى على أى كيفية أوقع تقديره هذا . و إذا أنكر [مطلق - [4]] الكيفية لكونها لا تكاد ابطالانها تتحقق ، كان إنكار ١٠ الكيف أحق .

و لما كان وقوعه فى هذا الطعن عظيما [جدا لما فيه من الكذب المفضوح و من معاندة من هو القوى المتين المنتقم القهار العظيم - [4]] و من غير ذلك من الوجوه المبعدة عن الوقوع فيه ، أكد المعنى زجرا عن مثله و حثا على التوبة منه ، فقال معبرا بأداة البعد دلالة على عظمة ١٥ هذا القتل بالتعبير بها و بالتكرار : ﴿ ثم قتل ﴾ اى هلك و لعن هذا العنيد هلاكا و لعنا هو فى غاية العظمة فيما بعد الموت فى البرزخ و القيامة ﴿ كيف قدر لا ﴾ و لما كان [5] الماهر بالنظر إذا فكر وصحح فكره [6] نظر فى

(١-١) فى ظ : للقبول (٢) فى ظ : يمنعه (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : النعيم .
(٤) زيد من ظ وم (٥) زيد فى ظ : الانسان (٦) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فحذفناها .

لوازمه قال مشيرا إلى طول ترويه: ﴿ثم نظر ﴾ اى فيما يدفع به امر القرآن مرة بعد أخرى، و فى ذلك إشارة إلى قبح أفعاله، فظهور الحق له مع إصراره[1] فان تكرار النظر فى الحق لا يزيده على كل حال إلا ظهورا، و فى الباطل لا يزيده إلا ضعفا و فتورا.

٥ و لما كان من فعل كذلك[2] فظهر له فساد رأيه و وقف مع حظ نفسه يصير يعبس[3] و يفعل أشياء تتغير لها خلقته من غير اختياره قال: ﴿ ثم عبس ﴾ اى قطب وجهه و كلح فتربد وجهه مع تقبض جلده[4] ما بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر[5] فى شيء و هو لا يجد فيه فرجا لأنه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبى صلى الله عليه و سلم

١٠ مطعنا ﴿و بسر ﴾ إتباع لعبس تأكيدا / لها، و ربما افهمت أنه سبر[7] / ٥٧٩ ما قاله و وزنه بميزان الفكر و تتبعه تتبعا مفرطا[8] حتى رسخت فيه قدمه، كذا قالوا إنها إتباع إن أريد به التأكيد، و إلا فقد وردت مفردة، قال فى القاموس: بسر - إذا عبس، و بسر الحاجة: طلبها فى غير اوانها، و بسر الدين: تقاضاه قبل محله. فكأنه لما طال عليه التفكير صار

١٥ يستعجل حصوله إلى مراده، و يقال: بسر - إذا ابتدأ الشيء، فكأنه[9] لما عبس خطر له السحر فابتدأ فى إبداء ما سنح له من امره، قال ابن برجان:

---

(١) فى ظ: اضطراره (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك (٣) من م، و فى الأصل و ظ: يعيش (٤) فى م: الجلد (٥) فى ظ و م: التفكر (٦) جاءت العبارة هنا مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٧) من م، و فى ظ: بصر (٨) من م، و فى ظ: فيه - كذا.

البسور هيئة فى الوجه تدل على تحزن فى القلب .

و لما كان هذا النظر على هذا الوجه أمدح شيء للنظور فيه إذا لم يوصل[١] منه إلى طعن، و كان ظاهره أنه لتطلب الحق، فكان الإصرار معه على الباطل فى غاية البعد، قال دالا على ذلك من المدح و عدم وجدان الطعن معبرا بأداة البعد: ﴿ ثم ﴾ اى بعد هذا التروى العظيم ٥ ﴿ادبر﴾ [أى -[٢]] عما اداه إليه فكره من الإيمان بسلامة المنظور فيه و علوه عن المطاعن، لحاد عن وجوه الأفكار إلى أقفائها ﴿واستكبر ﴾ أى [و -[٢]] أوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاد من هو فى غاية الرغبة فيه، و كان هذا غاية العناد، فكان معنى العنيد ﴿ فقال ﴾ أى عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه لكونه ١٠ رآه نافعا لهم فى الدنيا و لم يفكر فى عاقبة[٣] ذلك من جهة الله، و أنه سبحانه لا يهدى كيد الخائنين و لا ينجح مراد الكاذبين، و نحو هذا مما جربوه فى دنياهم فكيف رقى نظره إلى أمر الآخرة، و أكد الكلام لما يعلم من إنكار من يسمعه فقال: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى [الذى -[٢]] أتى به محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ الا سحر ﴾ أى أمور ١٥ تخييلية لا حقائق لها، و هى لدقتها بحيث تخفى أسبابها .

و لما كان من المعلوم لهم[٤] أن محمدا صلى الله عليه و سلم ما سحر قط و لا تعلم سحرا، فكان من ادعى ذلك علم كذبه بأدنى نظر بعد

(١) زيد فى ظ: شيئا، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من م (٣) من م، و فى ظ: عقبة (٤) سقط من م .

الأمر بقدر استطاعته فقال: ﴿يؤثر﴾ اى من شأنه ان ينقله السامع له عن غيره، فهو لقوة سحريته و إفراطها فى بابها يفرق[1] بمجرد الرواية بين المرء و زوجه و بين المرء و أبيه و ابنه إلى غير ذلك من العجائب التى تنشأ عنه. و لما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن الله فيوجب
٥ له ذلك الرغبة فيه، قال من غير عاطف كالمبين للأول و المؤكد له، و ساقه على وجه التأكيد بالحصر لعلمه أن كل ذى بصيرة ينكر كلامه: ﴿ان﴾ اى ما ﴿هذآ﴾ أى القرآن ﴿الا قول البشر﴾ أى ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر أحد به و لا يعرج عليه، و قد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكير كله من حيث انه اثبت أنه معجوز عنه لأغلب
١٠ الناس[2] / كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا و نطق خلفا، فكان شبيهها / ٥٨٠ من بعض الوجوه بما قاله بعضهم[3]:

لو قيل كم خمس و خمس، لاغتدى يوما و ليلته يعد و يحسب
و يقول معضلة عجيب أمرها و لئن عجبت لها لأمرى أعجب
حتى إذا خدرت[4] يداه و عورت عيناه[5] مما قد يخط و يكتب
١٥ أوفى على شرف[6] و قال ألا انظروا و يكاد من فرح يجن و يسلب
خمس و خمس ستة أو سبعة قولان قالهما الخليل و ثعلب

و هكذا كل حق يجد المبالغ فى ذمه لا ينفك ذمه عن إفهام مدح له

(١) من م، و فى ظ: يفرط (٢) و إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٣) زيد فى الأصل: حيث قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اخدرت (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يمناه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: خطر.

ينقض كلامه، و لكن أين النقاد المعدود من الآفراد بين العباد [١]، و هذا الكلام صالح لعموم كل من خلقه سبحانه هكذا فى الروغان من الحق لما تفضل الله به عليه من الرئاسة لأن أهل العظمة فى الدنيا هم فى الغالب القائمون فى رد الحق و التعاظم على أهله كما ذكر هنا و لا ينافى ذلك[٢] ما قالوه: إنها نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى، بل ذلك من إعجاز ٥ كلام الله تعالى أن تنزل[٣] الآية فى شخص فتبين حاله غاية البيان و يعم غيره ذلك البيان، قالوا: كان للوليد هذا عشرة من البنين، كل واحد منهم كبير قبيلة، و لهم عبيد يسافرون فى تجاراتهم و يعملون احتياجاتهم، و لا يحوجونهم إلى الخروج من البلد لتجارة و لا غيرها، و أسلم منهم ثلاثة: الوليد بن الوليد و خالد و هشام، و قيل[٤]: أنه لما نزل[٥] على النبى ١٠ صلى الله عليه و سلم أول سورة غافر إلى قوله[٦] "المصير" أو أول "فصلت" قرأها النبى صلى الله عليـه و سلم فى المسجد و الوليد يسمعه، فأعاد القراءة فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم، فقال: و الله لقد سمعت من محمد صلى الله عليه و سلم [آنفا - [٧]] كلاما ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن، إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة، ١٥ و إن أعلاه لمثمر[٨] و إن أسفله لمغدق، و إنه ليعلو و لا يعلى[٩]، ثم انصرف

---

(١) من ظ، و فى الأصل و م: الافراد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر (٣) من م، و فى الأصل و ظ: تنزلت (٤) راجع المعالم ٧/١٤٦ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: نزلت (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من ظ و م و المعالم. (٨) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: لملم - كذا (٩) زيد فى الأصل و ظ: عليه، و لم تكن الزيادة فى م و المعالم فحذفناها.

فقالت قريش : صبا و الله الوليد ، و الله لتصبون قريش كلها ، [1]و كان يقال للوليد [1] ريحانة قريش ، فقال ابن أخيه أبو جهل : أنا أكفيكموه ، فقعد إلى جنب الوليد حزينا ، فقال الوليد : مالى أراك حزينا يا ابن أخى؟ قال : و ما يمنعنى و هذه قريش تجمع لك نفقة تعينك بها على كبر سنك

٥ و تزعم أنك صبوت ، لتدخل على ابن أبى كبشة و ابن أبى قحافة لتنال[2] من فضل طعامهم ، فغضب الوليد و قال : ألم تعلم قريش أنى [3] من أكثرها [3] مالا و ولدا ، و هل شبع محمد و اصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ؟ ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه و [4]أداروا الرأى[4] فيما يقولونه فى القرآن فقالوا له : [5]ما تقول[5] فى هذا [الذى ـ [6]]

١٠ جاء به محمد صلى الله عليه و سلم ؟ قال : قولوا أسمع لكم ، قالوا : شعر ، قال : ليس بشعر ، قد علمنا الشعر كله ، و فى رواية : هل [رأيتموه ـ [6]] يتعاطى شعرا ؟ قالوا : كهانة ، قال : ليس بكهانة ، هل رأيتموه يتكهن؟ فعدوا أنواع البهت التى رموا بها القرآن فردها ، و أقام الدليل على ردها ، و قال : لا تقولوا شيئا من ذلك إلا أعلم أنه كذب ، قالوا : فقل

١٥ أنت و أقم لنا فيه رأيا نجتمع عليه ، قال : أقرب ذلك إليه السحر ، هو يفرق بين المرء وأبيه و بين المرء[7] و زوجه و عشيرته ، فافترقوا على ذلك ، و كان

(١ـ١) من ظ و م والمعالم ، و فى الأصل : لو لد الوليد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لتناول (٣ـ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اعظمهم ، و فى المعالم : من اكثرهم (٤ـ٤) من ظ وفى الأصل : داورنها ـ كذا ، ومن هنا يتحول السياق من المعالم (٥ ـ ٥) من ظ ، و فى الأصل : انك ، و هنا سقطة فى م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : و ابنه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

قوله

قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه كانت تخاف[١] لقاءه الشجعان

و لما انقضى بيان عناده فحصل التشوف لتفصيل جزائه فى[٢] معاده، قال مبينا لبعض[٣] ما أفهمه إرهاقه الصعود : ﴿ ساصليه ﴾ أى بوعيد لابد ٥ منه عن[٤] قرب ﴿ سقره ﴾ أى الدركة النارية التى تفعل فى الأدمغة من شدة حموها ما يجل عن الوصف، فأدخله إياها و ألوّحه فى الشدائد حرها و أذيب دماغه بها، و أسيل ذهنه و كل عصاراته[٥] بشديد حرها جزاء على تفكيره هذا الذى قدره و تخيله و صوره بادارته[٦] فى طبقات دماغه ليحرق أكباد[٧] اولياء الله و أصفيائه[٧] . ١٠

و لما أثبت له هذا العذاب عظمه و هوله بقوله : ﴿ و ما ادرٰلك ﴾ أى أعلمك و إن اجتهدت فى البحث ﴿ مآ سقر ﴾ يعنى ان علم هذا خارج عن طوق البشر لا يمكن[٨] أن يصل اليه أحد منهم إلا باعلام الله له لأنه أعظم من أن يطلع عليه بشر . و لما أثبت لها هذه العظمة، زادها عظما ببيان فعلها دون شرح ماهيتها [فقال -[٩]] : ﴿ لا تبقى ﴾ ١٥ أى [١٠]سقر هذه لا تترك[١٠] شيئا يلقى فيها على حالة البقاء على ما كان

(١) فى ظ : تهاب (٢) من م، وفى الأصل و ظ : من (٣) من ظ و م، وفى الأصل : لتقص (٤) من ظ و م، و فى الاصل : من (٥) من م، و فى الأصل وظ : غصارته (٦) من ظ وم، و فى الأصل : بادارته (٧-٧) فى ظ وم : اصفياء الله وأوليائه (٨) من ظ وم، وفى الاصل : لا يقدر (٩) زيد من ظ وم. (١٠-١٠) فى ظ و م : لا تترك سقر .

عليه ﴿ ولا تذرﰈ﴾ أى تترك على حالة من الحالات و لو كانت أقبح
الحالات فضلاعا دونها ، بل هى دائمة الإهلاك لكل ما أذن لها فيه ،
و التغيير لأحوال ما أذن لها فى عذابه ، و لم يؤذن فى محقه بالكلية ،
لكل شيء فترة و ملال دونها .

٥ و لما كان تغير حال الإنسان إلى دون ما هو عليه غائظا له موجعه
إذا [1] كان ذلك تغير لونه لأن الظاهر عنوان الباطن ، قال الله تعالى
دالا على شدة فعلها فى ذلك : ﴿ لواحة ﴾ أى شديدة التغيير بالسواد
و الزرقة و اللمع و الاضطراب [و التعطيش و نحوها - [2]] من الإفساد
من شدة حرها ، تقول العرب : لاحت النار الشيء - إذا أحرقته وسودته

١٠ ﴿ للبشرﰈﲿ ﴾ أى للناس أو لجلودهم ، جمع بشرة وجمع البشر أبشار ﴿ عليها ﴾
أى مطلق النار بقرينة ما يأتى من الخزنة ﴿ تسعة عشرﰇ ﴾ أى ملكا ،
لطبقة المؤمنين و هى العليا ملك واحد ، وللست [3] الباقية ثمانية عشر ، لكل
و احدة ثلاثة ، لأن الواحد يؤازر بثان ، و هما يعززان بثالث ، فلذا
و الله أعلم كانوا ثلاثة ، أو لأن الكفر يكون بالله و كتابه و رسوله

١٥ صلى الله عليه و سلم ، فكان لكل تكذيب فى كل طبقة من طبقاتها
الست ملك أو صنف من الملائكة ، و على الأول فى كونهم أشخاصا
بأعيانهم أكثر المفسرين ، و قد علم مما مضى أنهم غلاظ شداد [4] كل
واحد منهم يكفى [4] لأهله الأرض كلهم كما أن ملكا واحدا وكل

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : ان (٢) زيد من ظ ، والعبارة فى م مطموسة .
(٣) من ظ ، و فى الأصل و م : للسنة (٤-٤) فى ظ : يكفى كل واحد منهم

بقبض جميع الأرواح، و جاء فی الآثار[١] ان أعينهم كالبرق الخاطف، و انيابهم كالصياصى، يخرج لهب[٢] النار من أفواههم، ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة[٣]، يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم، قال عمرو بن دينار: إن واحدا[٤] منهم يدفع بالدفعة الواحدة[٥] أكثر من ربيعة و مضر . و قيل: إن هذه العدة ٥ لمكافاة ما فی الإنسان من القوى التی بها ينتظم قوامه، و هی الحواس الخمس الظاهرة: السمع و البصر و الشم و الذوق و اللمس، و الخمس الباطنة[٦]: المتخيلة و الواهمة و المفكرة و الحافظة و الذاكرة، و قوتا الشهوة و الغضب، و القوى الطبيعية السبع: الماسكة و الهاضمة و الجاذبة و الدافعة و الغاذية و النامية و المولدة، و قيل: اختير هذا العدد لأن التسعة نهاية ١٠ الآحاد، و العشرة بداية العشرات، فصار مجموعها[٧] جامعا لأكثر القليل و أقل الكثير، فكان[٨] أجمع الأعداد، فكان إشارة إلى ان خزنتها أجمع الجموع، و يروى[٩] عن ابن مسعود رضی الله عنه أن قراءة البسملة تنجى

---

(١) راجع المعالم ٧ / ١٤٧ (٢) من ظ و المعالم، و فی الأصل و م: لهيب. (٣) زيدت الواو فی الأصل و لم تكن فی ظ و م و المعالم فحذفناها (٤) من ظ و م والمعالم، و فی الأصل: الواحد (٥) زيد فی الأصل: فيجمع فيها عدد، ولم تكن الزيادة فی ظ و م فحذفناها، و زيد فی المعالم: جهنم (٦) زيد فی الأصل: و هی، و لم تكن الزيادة فی ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فی الأصل: مجموعا (٨) من ظ و م، وفی الأصل: وكان (٩) من م، و فی الأصل و ظ: روى.

من خزنة النار[١] فانها تسعة عشر حرفا، كل حرف منها لملك منهم .

و لما كان هذا غير مميز للعدود[٢]، و كانت الحكمة فى [٣]تعيين هذا[٣] العد غير ظاهرة ، وكان هذا العدد مما يستقله المتعنت فيزيده كفرا، [قال تعالى - [٤]] مبينا لذلك: ﴿ و ما جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ٥ و إن خفى وجه العظمة فيه على من عمى قلبه[٥] ﴿ اصحب النار ﴾ أى خزنتها ﴿ الا ملٓـئكة ص ﴾ أى [٦] إنهم ليسوا[٦] من جنس المعذبين فيرقوا لهم و يطيق المعذبون محاولتهم أو يستريحوا إليهم و هم أقوى الخلق، و قد تكرر عليكم ذكرهم و علمتم أوصافهم و أنهم ليسوا كالبشر بل الواحد منهم يصيح صيحة واحدة فيهلك[٧] مدينة كاملة كما وقع لثمود، ١٠ فكيف إذا كان كل واحد من هؤلاء الخزنة رئيسا[٨] تحت يده من الجنود ما لا يحصيه إلا الله تعالى ﴿ و ما جعلنا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ عدتهم ﴾ أى مذكورة و محصورة فيما ذكرنا ﴿ الا فتنة ﴾ أى حالة مخالطة مميلة محيلة ﴿ للذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف و لو على أدنى الوجوه، فانهم يستقلونه و يستهزؤن [به - [٩]] و يتعنتون ١٥ أنواعا من التعنت بحيث أن[٩] بعض أغبياء قريش[١٠] و هو أبو جهل،

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : جهنم (٢) من ظ ، وفى الأصل وم : للحدود .
(٣-٣) من ظ ، وفى الأصل وم : هذا تعيين (٤) زيد من ظ (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : عليه (٦-٦) فى ظ : فليسوا (٧) زيد فى الأصل : أهل ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذ فناها (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : رئيس (٩) زيد من ظ و م (١٠) ومن هنا تعرضت صفحة من الأصل للطمس فانتسخناها من ظ ، و نسخة م أيضا مطموسة بعض الطمس (١١) راجع المعالم ٧ / ١٤٧ .

قال: ثكلتكم امهاتكم، أسمع ابن ابى كبشة يقول كذا و أنتم الدهم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحى - و كان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين، و هذا كله على سبيل الاستهزاء، فانهم مكذبون بالبعث الذى هذا من آثاره، و كان فى علم أهل الكتاب[1] أن هذه ٥ العدة عدتهم، و أن العرب إذا سمعوا هذه العدة كانت سببا لشك أكثرهم و موضعا للتعنت، فلذلك علق بالفتنة أو بـ" جعلنا" قوله: ﴿ليستيقن﴾ أى يوجد اليقين إيجادا تاما كأنه بغاية الرغبة ﴿الذين اوتوا الكتب﴾ بناه للفعول لأن مطلق الإيتاء[2] كاف فى ذلك من غير احتياج إلى تعيين المؤتى[3] مع أنه معروف أنه هو الله، قال البغوى[4]: مكتوب فى التوراة ١٠ و الإنجيل أنهم تسعة عشر. ﴿و يزدا الذين امنوآ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة و لو على أدنى الوجوه إلى ما عندهم من الإيمان ﴿ ايمانا ﴾ بتصديق ما لم يعلموا وجه حكمته لاسيما مع افتنان غيرهم به و كثرة كلامهم فيه، فان الإيمان بمثل ذلك يكون أعظم.

و لما أثبت لكل من الجاهل و العالم ما أثبت، أكده بنفى ضده ١٥ مبينا للفتنه فقال: ﴿و لا يرتاب﴾ أى يشك شكا يحصل بتعمد و تكسب ﴿ الذين اوتوا الكتب ﴾ لما[5] عندهم من العلم المطابق لذلك، قال ابن برجان: و روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن قوما من أهل

---

(١) زيد فى ظ: به، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من م، وفى ظ: الاعطاء.
(٣) من م، وفى ظ المعطى (٤) فى المعالم ٧ / ١٤٨ (٥) من م، و فى ظ: ما.

الكتاب جاؤا اليه فى قضية - فيها طول، و فيها انهم[1] سالوه عن خزنة
جهنم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده هكذا و هكذا ، فى
مرة عشرة و فى مرة تسعة ، فقالوا : بارك الله فيك يا أبا القاسم ، ثم
سألهم : ما خزنـــة الجنة ؟ فسكتوا هيبة [ثم - [2]] قالوا : خــبزة
٥ يا أبا القاسم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الخبزة من الدرمك
﴿ و المؤمنون لا ﴾ أى لا يرتاب الذين رسخ الإيمان عندهم لما راوا من
من الدلائــل التى جعلتهم فى[3] مثل ضوء النهار ﴿ و ليقول الذين ﴾
استقر ﴿ فى قلوبهم ﴾ مرض أى شك أو نفاق و إن قل ، و نزول
هذه السورة قبل وجود المنافقين علم من أعلام النبوة، ولا ينكر جعل الله
١٠ تعالى بعض الامور علة لمصالح ناس و فساد آخرين، لأنه لا يسئل عما
يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشىء بالقصد الاول ، ثم يرتب
عليها شىء آخر يكون قصده بالقصد الثانى تقول : [خرجت - [2]]
من البلد لمخالفة أكثر و مخافة الشر لا يتعلق بها الغرض ﴿ و الكفرون ﴾
أى و يقول الراسخون فى الكفر الجازمون بالتكذيب المجاهرون به
١٥ الساترون لما دلت عليـــه الادلة من الحق ﴿ ماذآ ﴾ أى أى شىء
﴿ اراد الله ﴾ اى الملك الذى له جميع العظمة ﴿ بهذا ﴾ : أى العدد
القليل فى جنب عظمته ﴿ مثلا[4] ﴾ أى من جهة أنه صار بذلك مستغربا
استغراب المثل ، أو أن ذلك إشارة إلى أنه ليس المراد به ظاهره بل

(١) فى م : ان (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى ظ : من (٤) الى هنا انتهى الطمس فى الأصل .

مثل لشيء لم يفهموه و فهموا أن / بين استجماعه للعظمة و هذا العدد / ٥٨٤
عنادا ، و ما علموا أن القليل من حيث العدد [١] قد يكون أعظم بقوته
من الكثير العدد ، و يكون أدل على استجماع العظمة . و لما كان
التقدير[١] : أراد بهذا إضلال من ضل[٢] و هو لا يبالي ، و هداية من اهتدى
و هو لا يبالي ، [٣] كان كأنه[٣] قيل : هل يفعل[٤] مثل هذا في غير هذا ؟ ٥
فقال[٥] جوابا : ﴿ كذلك ﴾ أي مثل هذا المذكور من الإضلال و الهداية
﴿ يضل الله ﴾ أي الذي له مجامع العظمة و معاقد العز ﴿ من يشآء ﴾
بأي كلام شاء ﴿ و يهدي ﴾ بقدرته التامة ﴿ من يشآء[٤] ﴾ بنفس ذلك
الكلام أو[٩] بغيره ، و ذلك من حكم جعل الخزنة تسعة عشر و الإخبار
عنهم بتلك العدة فان إبراز الأحكام على وجه الغموض من أعظم ١٠
المهلكات و المسعدات ، [٧] لأن المنحرف[٧] الطباع يبحث عن عللها بحث
متعنت ، فاذا عميت عليه قطع ببطلان تلك الأحكام أو شك ، و ربما
أبى الانقياد ، و ذلك هو سبب كفر إبليس ، و المستقيم المزاج [يبحث -[٨]]
مع التسليم فان ظهر له الأمر ازداد تسليما و إلا قال : آمنت بذلك
كل من عند ربنا - فكان في غاية ما يكون من تمام الانقياد لما[٨] ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : اصل .
(٣-٣) من ظ و م ، و في الأصل : كانه كان (٤) من ظ و م ، و في الأصل :
الفعل (٥) من ظ و م ، و في الأصل : قال (٦) من ظ و م ، و في الأصل :
« و » (٧ - ٧) من ظ وم ، و في الأصل : لا من مسخرف (٨) زيد في ظ ،
لا - كذا .

يعلم سره - رزقنا الله التسليم لأمره و أعاننا على ذكره و شكره .

و لما كان هذا مما يوهم[1] قلة جنوده تعالى، أتبعه ما[2] يزيل ذلك فقال: ﴿ و ما ﴾ أى و الحال انه ما ﴿ يعلم جنود ربك ﴾ أى المحسن إليك بأنواع الإحسان المدبر لأمرك بغاية الإتقان من جعل النار وخزنتها ٥ وجعلهم على هذه العدة و غير ذلك، فلا تعلم عدتهم لأجل كثرتهم و خروجهم عن طوق المخلوق و ما هم عليه من الأوصاف فى الأجساد و المعانى ﴿ الا هو[4] ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال، فلو أراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك، فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لاتعود إليهم[3] نوبة أخرى، و قد ورد أن ١٠ الأرض فى السماء كحلقة ملقاة [فى فلاة - [4]] وكل سماء فى التى فوقها كذلك، و قد ورد فى الخبر[5]: أطت السماء و حق لها ان تئط[6] ما فيها موضع قدم إلا و فيه[7] ملك قائم يصلى. و إنما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها إلا هو، و من اراد[8] إطلاعه على ذلك من عباده مع أن[9] الكفاية تقع بدون ذلك، فقد كان فى[10] الملائكة من اقتلع مدائن قوم لوط و هى ١٥ سبع [11] و رفعها[11] إلى عنان السماء . و كل ما فى الإنسان من الجواهر

(١) من ظ، و فى الأصل: يفهم (٢) من ظ، و فى الأصل: بما (٣) من ظ و م، و فى الاصل: اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع جامع الترمذى - الزهد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: توط (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فيها . (٨) من م، و فى الأصل و ظ: اراده (٩) من ظ و م، و فى الأصل: من. (١٠) فى الأصل: سبعة، و زيد فى الأصل بعد: مداين و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

 و الإعراض

و الإعراض من جنود الله [1]لو سلط[1] عليه شيء من نفسه لأهلكه: لو تحرك عرق ساكن أو سكن متحرك أو انسد مجوف أو تجوف منسد لهلك.

و لما ذكر شيئا من أسرار سوق الأخبار عنها غامضا، و كان ذلك من رحمة العباد ليفتح لهم بابا إلى التسليم لما يغمض من تذكيرهم ٥ بأمر مليكهم لأن العاجز لا يسعه في المشي على قانون الحكمة إلا التسليم للقادر و إلا أهلك نفسه و ما ضر غيرها، خص أمرها في التذكير تأكيدا للاعلام تذكيرا [2]بالنعمة لأجل ما[2] لأغلب المخاطبين من اعوجاج الطباع المقتضي للرد و الإنكار، المقتضي/ لسوق الكلام على وجه /٥٨٥ التأكيد فقال: ﴿ و ما هي ﴾ أي النار التي هي [من - [3]] أعظم جنوده ١٠ سبحانه و تعالى ﴿ الا ذكرى للبشر ﴾ أي تذكرة عظيمة [4]لكل من[4] هو ظاهر البشرة فبدنه أقبل شيء للتأثر بها لأجل ما يعرفون منها في دنياهم، و إلا فهو سبحانه و تعالى قادر على إيجاد ما هو أشد منها و أعظم و أكثر إيلاما مما لا يعلمه الخلائق.

و لما كان حصرها في الذكرى ربما أوهم نقصا في أمرها يوجب ١٥ لبعض المعاندين ريبة في عظمه و أنه لا حقيقة لها و[5] لا عذاب فيها، قال رادعا من ذلك و منبها على الاستعداد [6]و الحذر[6] بكلمة الردع

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: يسلط (٢-٢) من ظ، و في الأصل و م: للنعمة بجعل ما (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ، و في الأصل و م: لمن. (٥) من ظ، و في الأصل و م: لو (٦-٦) من ظ، و في الأصل و م: فالحذر.

و التنبيه : ﴿ كلا ﴾ اى إياك أن ترتاب فى[1] اهوالها و عظيم أمرها و أحوالها و أوجالها لأن الأمر أطم و أعظم مما يخطر بالبال ، فليرتدع السامع[2] و لينزجر[2] .

و لما حصر[3] أمرها فى الذكرى و نفى أن يظن بها[4] نقص فيما جعلت
٥ له تأكيدا للكلام إشارة إلى ما لأغلب المخاطبين من الشكاسة و العوج إيقاظا عما هم فيه من الغفلة و تلطيفا لما لهم من اللوم و الكثافة و تنبيها لهم على السعى فى تقويم أنفسهم بما يستعملونه من الأدوية التى يرشدهم سبحانه إلى علاج أمراض القلوب بها ، زاد الأمر تأكيدا فأقسم على ذلك بما هو ذكرى للناس و لا يظهر معه ظلام الليل كما أن ضياء القرآن
١٠ لا يظهر معه ظلام الجهل لمن اعمل عين فكرته ، و ألقى حظوظ نفسه ، فقال : ﴿ و القمر لا ﴾ [أى الذى -[5]] هو آية الليل الهادية لمن ضل بظلامه ﴿ و اليل اذا دبر لا ﴾ أى مضى فانقلب راجعا من حيث جاء فانكشف ظلامه فزال الجهل بانكشافه ، و انصرفت[6] الريب و الشكوك بانصرافه ﴿ و الصبح اذآ اسفر ه ﴾ فأقبل ضياؤه لجل العلم بحلوله ، و حصلت
١٥ الهداية بحصوله ، أو دبر بمعنى « أقبل » قال قطرب[7] : تقول العرب : دبرنى فلان اى جاء خلفى .

و لما اقسم على ما أخبر به من ذكراها ، و أكده لإنكارهم العظيم لبلاياها

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الاصل.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عظم (٤) العبارة من هنا جاءت مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى ظ : انصرف .
(٧) راجع المعالم ١٤٨/٧ .

استأنف تعظيمها و التخويف منها تأكيدا للتخويف لما تقدم من الإنكار فقال: ﴿ انها ﴾ أى النار التى سقر دركة من دركاتها، و زاد فى التأكيد على مقتضى زيادتهم فى الاستهزاء فقال: ﴿ لاحدى الكبرۙ ﴾ أى من الدواهى و العظائم، جمع كبيرة وكبرى، و هو كناية عن شدة هولها كما يقال: هو أحد الرجال أى لا مثل له، أو[1] المراد بها واحدة ٥ سبع هى غاية فى الكبر أى دركات النار، و هى جهنم فلظى فالحطمة فالسعير فسقر فالجحيم فالهاوية، هى إحداها فى عظيم أقطارها و شديد[2] إيلامها و إضرارها، حال كونها ﴿ نذيرا ﴾ عظيما أو من جهة نذارتها أو إنذارا بالغا: فعيل بمعنى المصدر مثل "فكيف كان نكير" أى إنكارى، و عبر بقوله: ﴿ للبشرۙ ﴾ لما تقدم من الإشارة إلى إسراع الجسم ١٠ العادى فى قبول[3] التأثر / لا سيما بالنار. ٥٨٦ /

و لما كان التقدم[4] عند الناس لا سيما العرب محبوبا و التأخر[5] مكروها، و كان سبحانه و تعالى قد خلق فى الإنسان قوة و اختيارا بها يفعل ما قدره[6] الله له و غطى عنه علم العاقبة حتى صار الفعل ينسب إليه و إن كان إنما هو بخلق الله، قال تعالى باعثا لهم على الخير و مبعدا ١٥ من[7] الشر مستانفا أو مبدلا جوابا لمن يقول: و ما عسى أن نفعل؟ أو ينفع

---

(١) من م، و فى ظ "و" (٢) فى م: شدايد (٣) إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٤) من ظ و م، وفى الأصل: التقدير (٥) من ظ و م، وفى الأصل: ان المتاخر (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يقدره (٧) من م، و فى الأصل و ظ: عن.

الإنذار و قد قال إنه هو الهادى[١] المضل "يضل الله من يشاء [و يهدى من يشاء"ـ[٢]]: ﴿ لمن شآء ﴾ أى بإرادته، و صرح بالمقصود لئلا يتعنت متعنتهم فيقول: المراد غيرنا، فقال: ﴿ منكم ﴾ [٣]اى ايها المعاندون[٣] ﴿ ان يتقدم ﴾ أى إلى الخيرات ﴿ او يتأخر[٤] ﴾ [٤]أى عنها[٤] فيصل إلى

٥ غضب الله تعالى و النار التى هى أثر غضبه، التى جعل ما عندنا من مؤلم الحر و مهلك البرد متأثرا عن نفسيها تذكيرا لنا و رحمة بنا، و حذف المفعول لأن استعماله كثير حتى صار يعرف و إن لم يذكر، و ترجمة ذلك: لمن شاء أن يتقدم التقدم بما له من المكنة و الاختيار فى ظاهر الأمر، و لمن شاء ان يتأخر التأخر، و " أن يتقدم" مبتدأ، و هو مثل

١٠ «لمن يتوضأ [٥]أن يصلى[٥]» و يجوز أن تكون الجملة بدلا من «للبشر» على طريق الالتفات من الغائب إلى الحاضر ليصير كل مخاطب به كأنه هو المقصود بذلك بالقصد الأول فيتأمل المعنى فى نفسه فيجده صادقا ثم يتامل فلا يجد مانعا من تعديته إلى غيره من جميع البشر، و يكون «أن» و الفعل على هذا مفعولا لـ «شاء».

١٥ و لما كان التقدم [و التأخر ـ[٢]] بالأفعال، و كان أكثر افعال الإنسان الشر لما جبل عليه من النقصان، قال مبينا لما يقدم و ما يؤخر: ﴿ كل نفس ﴾ أى ذكر أو أنثى على العموم[٦] ﴿ بما كسبت ﴾ أى خاصة

---

(١) زيد فى الأصل: او، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣ ـ ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤ ـ ٤) من ظ و م، و فى الأصل: عنا (٥ـ٥) من ظ و م، و فى الاصل: ليصلى (٦) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لا بما كسب غيرها ﴿ رهينة ۙ ﴾ أى مرتهنة بالفعل، اسم بمعنى الرهن كما فى [قول - [1]] الحماسى [2] :

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب [3] رهينة رمس ذى تراب و جندل

لا تأنيث " رهين " الذى هو وصف، لأن فعيلا بمعنى [مفعول [4]-] يستوى مذكره و مؤنثه، و لو كانت الفواصل التى يعبرون بها عن السجع ٥ تأدبا تراعى فى القرآن بوجه لقيل : [رهين -[5]] - لأجل يمين، و لكن لا نظر[6] فيه لغير المعنى، و يجوز ان تكون [الهاء - [5]] للبالغة بمعنى موثقة إيثاقا بليغا محبوسة حبسا عظيما فهى فى النار، فجعل الأصل فى الكسب الموثق[7] .

و لما كان الرهن تارة يفك و تارة يغلق، و كان أكثر الخلق هالكا، ١٠ جعل 'رهينة' بمعنى 'هالكة'، ثم استثنى الممدوح فقال: ﴿ الا أصحب اليمين ۖ ﴾ أى الذين تقدم وصفهم و هم الذين تحيزوا إلى الله فائتمروا[8] بأوامره و انتهوا[9] بنواهيه، فانهم لا يرتهنون بأعمالهم، بل يرحمهم الله فيقبل حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم .

و لما أخرجهم عن حكم الارتهان الذى أطلق على الإهلاك لأنه ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : حيث قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من البحر المحيط ٣٧٩/٨ و روح المعانى ٢٢٦/٩ ، و فى الأصل : بكوكب (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نظير. (٧) فى م : الموفق (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يا تمرون (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : ينتهون .

سيه، استأنف بيان حالهم فقال: ﴿في جنّٰت قف﴾ اى بساتين فى غاية
/ العظم لانهم اطلقوا أنفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا، فالآية من ٥٨٧/
الاحتباك: أثبت أولا الارتهان دليلا على حذف ضده ثانيا، و أثبت
ثانيا الجنة دليلا على حذف ضدها أولا.

٥ و لما كان السؤال عن حال الغير دالا دلالة واضحة على الراحة
و الفراغ عن كل ما يهم النفس، عبر عن راحتهم فى أجل وعظ
و ألطف تحذير بقوله: ﴿يتسآءلون لا﴾ أى فيما بينهم يسأل بعضهم بعضا
﴿عن المجرمين لا﴾ أى[1] أحوال العريقين فى قطع ما أمر الله به
أن يوصل.

١٠ و لما كان يوم القيامة فى غاية الصعوبة[2] و كان أحد مشغولا
بنفسه، فكان لا علم له بتفاصيل ما يتفق لغيره، و كان أولياء الله إذا
دخلوا دار كرامته أرادوا العلم بما فعل بأعدائهم فيه سبحانه، فتساءلوا
عن حالهم[3] فقال بعضهم لبعض: لا علم لنا، فكشف [الله - [4]] لهم
عنهم حتى رأوهم فى النار [5]و هى[5] تسعر بهم ليقر الله أعينهم بعذابهم،
١٥ زيادة فى نعيمهم و ثوابهم، كما تقدم فى الصافات عند قوله "قال قائل
منهم انى كان لى قرين" وكان [بساط - [4]] الكلام دالا على هذا
كله، أشار لنا سبحانه إليه بقوله حكاية عما يقول لهم أولياؤهم توبيخا

---

(١) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: يصير، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: احوالهم (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و تعنيفا و شماتة و تقريعا[1] تصديقا لقوله تعالى " فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون" - الآية ، و لتكون حكاية ذلك موعظة للسامعين و ذكرى للذاكرين : ﴿ ما ﴾ هي محتملة للتوبيخ و التعجيب[2] ﴿ سلككم ﴾ أى أدخلكم أيها المجرمون إدخالا هو فى غاية الضيق حتى كأنكم السلك فى الثقب ﴿ فى سقر ﴾ فكان هذا الخطاب مفهما لأنهم لما تساءلوا ٥ نفوا العلم عن أنفسهم ، و كان من المعلوم أن نفى العلم لأنهم شغلوا [3] عن ذلك بأنفسهم[3] و أنهم ما شغلوا - مع كونهم من أهل السعادة - إلا لأن ذلك اليوم عظيم الشواغل ، و كان من المعلوم أنه إذا تعذر عليهم علم أحوالهم من أهل الجنة و هم غير مريدين[4] الشفاعة فيهم فلم يبق لهم طريق إلى علم ذلك لا يظن به التعريض للشفاعة إلا السؤال ١٠ منهم عن أنفسهم فى أنهم يخاطبونهم[5] بذلك [6] فيعلمون علمهم[6] ليزدادوا بذلك غبطة و سرورا بما نجاهم الله من مثل حالهم و يكثروا[7] من الثناء على الله تعالى بما وفقهم له و ليكون ذلك عظة لنا بسماعنا إياه فحكى الله أنهم لما سألوهم ﴿ قالوا ﴾ ذاكرين علة دخولهم النار بافساد قوتهم العملية[8] فى التعظيم لأمر الله فذلك[9] لجميع ما تقدم [من - [10]] ١٥

---

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التعجب (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك لأنفسهم . (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : مريدون (٥) فى ظ : مخاطبون (٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : فعيلموا علمهم (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : يكثرون . (٨) من ظ وم ، و فى الأصل : العلميه (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : لذلك . (١٠) زيد من ظ و م .

مهمات السورة بما حاصله أنهم لم يتحلوا بفضيلتين و لم يتخلوا عن رذيلتين تعريفا بأنهم كانوا مخاطبين بفروع الشريعة[1]، و فى البداءة بالعمل تنبيه على انه يجب على العاقل المبادرة[2] إلى ما يأمره به الصادق [3]لأنه المصدق لحسن[3] الاعتقاد، و المبادرة إلى التلبس بالعمل أسهل /٥٨٨

٥ من المبادرة إلى التلبس بالعلم، لأن العمل له صورة و حقيقة، و مطلق التصور أسهل من التحقيق، و من صور شيئا كان أقرب إلى تحقيقه ممن لم يصوره، فكان أجدر بتحقيقه ممن لم يباشر تصويره، ففيه حث على المسابقة إلى الأعمال الصالحة و إن [4]لم تكن[4] النية خالصة، و إيذان بأن من أدمن ترك الأعمال[5] قاده إلى الانسلاخ من حسن الاعتقاد،

١٠ و ورطه فى الضلال: ﴿لم نك﴾ حذفوا النون دلالة [6]على ما هم[6] فيه من الضيق عن النطق حتى بحرف يمكن الاغتناء عنه، و دلالة على أنه لم يكن لهم نوع طبع جيد[7] يحثهم على الكون فى عداد الصالحين، وكان ذلك مشيرا إلى عظيم ما هم فيه من الدواهى الشاغلة بضد ما فيه أهل الجنة من الفراغ الحامل لهم على السؤال عن أحوال

١٥ غيرهم[8]، و كان ذلك منبها على فضيلة العلم: ﴿من المصلين ﴾ [أى -[9]]

(١) من ظ وم، وفى الأصل: الشرع (٢) من ظ وم، وفى الأصل: البداة.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لأن الصدف بحسن (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: تكون (٥) زيد فى الأصل: له، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: عما (٧) من ظ وم، وفى الأصل: حيلة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العبر (٩) زيد من م.

صلاة يعتد بها، فكان هذا[١] تنبيها على أن رسوخ القدم [فى الصلاة - [٢]]
مانع من مثل[٣] حالهم، و على أنهم يعاقبون على فروع الشريعة و إن
كانت لا تصح منهم[٤]، فلو فعلوها قبل الإيمان لم يعتد بها، و على أن
الصلاة [أعظم - [٢]] الأعمال، و أن الحساب بها يقدم على غيرها .

و لما نفوا الوصلة[٥] بالخالق، أتبعوه إفساد القوة العملية بعدم وصلة ٥
الخلائق بترك الشفقة على خلق الله [فقالوا - [٢]]: ﴿ و لم نك ﴾
بحذف النون أيضا لما[٦] هم [فيه - [٢]] من النكد و نفيا لأدنى شىء
من الطبع الجيد ﴿ نطعم المسكين ﴾ أى لأجل مسكنته، نفوا هنا
وجود إطعامه لأنهم إن اتفق إطعامهم له فلعلة أخرى غير المسكنة،
و أما الصلاة فهم يوجدونها [لله - [٢]] بزعمهم، لكن [لما - [٢]] ١٠
كانت على غير ما[٧] أمروا به[٧] لم تكن مقبولة فلم يكونوا[٨] من الراسخين[٨]
فى وصفها . و لما سلبهم التحلى بلباس الأولياء أثبت لهم التحلى بلباس
الأشقياء بإفساد القوة النطقية جامعا القول إلى الفعل فقالوا: ﴿ وكنا ﴾
أى بما جبلنا عليه من الشر ﴿ نخوض ﴾ أى نوجد الكلام الذى هو
فى غير مواقعه و لا علم لنا به إيجاد المشي [من الخائض فى ماء غمر - [٢]] ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مثلهم (٤) من ظ و م، وفى الأصل: منه (٥) من م، وفى الأصل و ظ: الوصل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لم (٧ - ٧) فى ظ و م: أمر .
(٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: راسخين .

﴿ مع الخآئضين لا ﴾ [1] بحيث صار لنا هذا [وصفا راسخا فنقول فى القرآن : إنه سحر ، و انه شعر ، و إنه كهانة و غير هذا ـ [2]] من الأباطيل ، لا نتورع عن شيء من ذلك ، و لا نقف مع عقل ، و لا نرجع إلى صحيح نقل ، فليأخذ الذين يبادرون إلى الكلام فى كل ما يسالون عنه ٥ من أنواع العلم من غير تثبت منزلتهم [من ـ [3]] هنا .

و لما كان الإدمان على الباطل يجر إلى غلبة الهزء و السخرية ، و غلبة ذلك و لابد توجب إفساد القوة العلمية [4] بتصديق الكذب و تكذيب الصدق ، قالوا بيانا لاستحبابهم [5] الخلود : ﴿ و كنا نكذب ﴾ أى بحيث صار لنا ذلك وصفا ثابتا ﴿ بيوم الدين لا ﴾ و لما كان التقدير : ١٠ و استمر تكذيبنا لصيرورته لنا أوصافا ثابتة ، بنوا عليه قولهم : ﴿ حتى اتنا ﴾ أى قطعا ﴿ اليقين ط ﴾ أى بالموت أو مقدماته التى قطعتنا عن [دار ـ [2]] العمل فطاح الإيمان بالغيب .

/٥٨٩ و لما أقروا / على أنفسهم بما أوجب [6] العذاب الدائم ، فكانوا ممن فسد مزاجه فتعذر علاجه ، سبب عنه [7] قوله : ﴿ فما تنفعهم ﴾ أى فى حال ١٥ اتصافهم بهذه الصفات و هى حالة لازمة لهم دائما ﴿ شفاعة الشفعين ط ﴾ أى لو شفعوا فيهم . و لما كان هذا الإخبار بنعيم المنعم و عذاب المعذب

---

(١) زيد فى الأصل : فى مساء عمر مع الخائضين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العمليه (٥) من م ، و فى الأصل : لاستحقاقهم ، و فى ظ : لاستحباب (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : يوجب (٧) من ظ و فى الأصل : عن .

موجبا للتذكر، سبب عنه الإنكار عليهم فقال: ﴿ فما ﴾ أى أىّ شيء يكون ﴿ لهم ﴾ حال كونهم[1] ﴿عن التذكرة﴾ أى التذكر العظيم خاصة بالقرآن خصوصا و بغيره عموما ﴿معرضين ۙ﴾ و على الباطل وحده مقبلين، و ذلك من أعجب العجب، لأن طبع الإنسان إذا حذر من شيء حذره أشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع فى طريقه فانه يبذل جهده فى الحيدة ٥ عنه و الحذر منه[2] و إن كان المخبر كاذبا، فكيف يعرضون عن هذا المحذور الأعظم و المخبر أصدق الصادقين[3]، فاعراضهم[4] هذا دليل على اختلال[5] عقولهم و اختبال فهومهم[6]، و زاد ذلك عجبا شدة نفارهم حتى ﴿ كانهم ﴾ فى إعراضهم عن التذكرة من شدة النفرة و الإسراع فى الفرة[7] ﴿حمر ﴾ أى من حمر الوحش و هى أشد الأشياء نفارا، و لذلك ١٠ كان أكثر تشبيهات[8] العرب فى وصف الإبل بسرعة السير بالحمر فى عدوها إذا وردت ماء فأحست عليه ما يريبها، و فى تشبيه الكفرة بالحمر و لاسيما فى هذه الحالة مذمة ظاهرة و تهجين لحالهم بين، و شهادة عليهم بالبله و قلة العقل وعدم التثبت[9] ﴿مستنفرة ۙ﴾ أى موجدة للنفار

(١) زيد فى الأصل، فى غفلة دائمة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: عنه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القايلين.
(٤) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اختلاف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: قولهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: العرة - كذا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: تشبيها من تشبيها (٩) فى ظ و م: التثبيت.

بغاية الرغبة فيه حتى كأنها تطلبه من انفسها لأنه من شأنها و طبعها ـ هذا على قراءة الجماعة، و قرأ أهل المدينة و الشام بالفتح بمعنى أنه نفرها منفر.

و لما كان ذلك لا يكون إلا لسبب عظيم يتشوف إليه، استأنف قوله: ﴿فرت من قسورة ؕ﴾ اى أسد شديد القسر عظيم القهر فتثبت ٥ فى حبائل سقر أوصيادين.

و لما كان الجواب قطعا: لا شيء لهم فى إعراضهم هذا، أضرب عنه بقوله: ﴿بل يريد﴾ أى [على ـ [1]] دعواهم و بزعمهم ﴿كل امرئ منهم﴾ أى المعرضين، مع ادعائه[2] الكمال فى المروءة ﴿ان يؤتى﴾ أى من السماء، بناه للفعول لأن مرادهم معروف ﴿صحفا﴾ ١٠ اى قراطيس مكتوبة ﴿منشرة ۙ﴾ أى كثيرة جدا و كل واحد منها منشور لا مانع من قراءته و أخذه؛ و ذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم: لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء [3]فيه: من الله[3] إلى فلان اتبع محمدا صلى الله عليه و سلم.

و لما كان ذلك إنما هو تعنت[4]، لا أنه على حقيقته قال: ١٥ ﴿كلا ؕ﴾ أى ليس لهم غرض فى الاتباع بوجه من الوجوه لا بهذا الشرط و لا بغيره: ﴿بل﴾ علتهم الحقيقية فى هذا الإعراض[5] أنهم ﴿لا يخافون﴾ أى فى زمن من الأزمان[6] ﴿الأخرة ؕ﴾ و لما كان

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ادعايهم (٣-٣) من ظ و م، و فى الاصل: من الله فيه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تقلب و تقلب. (٥) زيد فى الأصل: كون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فعلهم هذا فعل / من يعتقد فى القرآن انه ليس بوعظ صحيح يستحق ان يتبع، قال رادعا[1] لهم عن هذا اللازم: ﴿ كلآ ﴾ أى ليس الأمر قطعا كما تزعمون من أن هذا القرآن لا يستحق الإقبال عليه، ثم استأنف قوله مؤكدا لأجل ما تضمن هذا الفعل من إنكارهم: ﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ تذكرة ﴾ أى موضع وعظ عظيم يوجب إيجابا عظيما اتباعه ٥ و عدم الانفكاك عنه بوجه فليس لأحد أن يقول: أنا[2] معذور لأنى لم أجد مذكرا و لا معرفا فان[3] عنده أعظم مذكر و أشرف معرف.

و لما كان فى غاية السهولة و الحلاوة لكل من عرفه بوجه من الوجوه، و كان الله سبحانه قد خلق القوى و القدر، و جعل للعبد ١٠ اختيارا، قال مسببا عن كونه موضعا للتذكر: ﴿ فمن شآء ﴾ أى أن يذكره ﴿ ذكره ﴾ فثبت[4] فى صدره و علم معناه و تخلق به، فليس أحد [يقدر - [5]] أن يقول: إنه صعب التركيب عظيم التعقيد عسر الفهم، يحتاج فى استخراج المعانى منه إلى علاج كبير و ممارسة طويلة فأنا معذور فى الوقوف عنه، بل [هو - [5]] كالبحر الفرات، من شاء ١٥ اغترف، لأنه خوطب به أمة أمية لا ممارسة لها لشىء من العلوم، فسهل فى لفظه و معناه غاية السهولة مع أنه لا يوصل[6] إلى قراره و لا

(١) فى ظ: ردعا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: انى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فانه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيثبت (٥) زيد من ظ و م.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: يوصل بها.

يطمع فى مناظرة أثر من آثاره، بل كلما زاد الإنسان فيه تأملا زاده[1] معانى .

و لما كان [هذا - ٢] ربما أوهم أن للعبد استقلالا بالتصرف، قال معلما بأن هذا إنما هو كناية عما له من السهولة و الحلاوة و العذوبة
٥ التى توجب عشقه لكل ذى لب منبها على ترك الإعجاب و إظهار الذل و الالتجاء و الافتقار إلى العزيز الغفار فى طلب التوفيق لأقوم طريق: ﴿ و ما يذكرون ﴾ أى [و - ٢] لا واحد منكم هذا القرآن و لا غيره فى وقت من الأوقات ﴿ الآ ان يشآء الله[4] ﴾ [أى - ٣] الملك الأعظم الذى لا أمر لأحد معه ، و هو صريح فى أن فعل العبد من
١٠ المشيئة ، و ما ينشأ عنها [إنما هو - ٢] بمشيئة الله . و لما[4] ثبت أنه[4] سبحانه الفعال لما يريد و أنه لا فعل لغيره بدون[5] مشيئته ، و كان من المعلوم أن أكثر أفعال العباد[6] مما لا يرضيه ، فلولا حلمه ما قدروا على ذلك ، و كان عفو القادر مستحسنا ، قال مبينا لأنه أهل [للرهبة و - ٢] الرغبة : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ اهل التقوٰى ﴾ اى أن يتقوه عباده
١٥ و يحذروا غضبه بكل ما تصل قدرتهم إليه لما له من الجلال [و - ٢] العظمة و القهر ، و يجوز أن يكون الضمير للتقى ﴿ و أهل المغفرة ع ﴾

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : لاده - كذا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) من م ، و فى الأصل : أثبت ان ، و فى ظ : اثبت انه (٥) زيد فى الأصل : امره و . ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العبد .

أى لأن يطلب غفرانه للذنوب لا سيما إذا اتقاه المذنب لأن له الجمال[1] و اللطف و هو قادر و لا قدرة لغيره و لا ينفعه شيء و لا يضره شيء[2]، فهو الحقيق بأن يجعل موضع[3] الإنذار الذى امر[3] به أول السورة البشارة، و يوفق عباده لتكبيره و هجران الرجز/، و كذا فعل سبحانه / ٩١١ بقوم هذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم، روى أحمد[4] و الترمذى[5] ٥ و النسائى و ابن ماجه[6] و الطبرانى فى الأوسط و الحاكم[7] و أبو يعلى و البغوى[8] و البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ[9] هذه الآية ثم قال: يقول الله: أنا أهل أن أتقى، فمن اتقى أن يشرك بى غيرى فأنا أهل [أن - [10]] اغفر له . و قال الترمذى و ابن عدى و الطبرانى: تفرد به سهل ابن [أبى - [10]] حزم القطعى، فقد ١٠ رجع آخر السورة على أولها، و انطبق مفصلها على موصلها، بضم البشارة[11] إلى النذارة، و صار كأنه قيل: أنذر العاصى فانه اهل لأن يرجع إلى طاعاته، فيكون سبحانه أهلا لأن يعود عليه بستر زلاته .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الجلال (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مع .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : امره (٤) راجع المسند ٣ / ١٤٢ و ٢٤٣ .
(٥) راجع الجامع - التفسير (٦) راجع السنن - الزهد (٧) راجع المستدرك ٢/٥٠٨ .
(٨) راجع المعالم ٧ / ١٥٠ (٩ - ٩) من ظ و م ، و فى الأصل : ان قراره .
(١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : الاشارة .

سورة القيامة[1]

مقصودها الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار صلى الله عليه و سلم لعظمة مرسله سبحانه و تمام اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان[2] بعد الرسوم[3] بشرح آخر سورته من أن هذا ٥ القرآن تذكرة عظيمة لما أودعه [الله -[4]] من وضوح[5] المعانى و عذوبة الألفاظ و جلالة النظوم[6] و رونق السبك و علو المقاصد، فهو لذلك معشوق لكل طبع، معلوم ما خفى من أسراره[7] و إشاراته بصدق النية وقوه العزم بحيث يصير بعد كشفه إذا أثر[8] كأنه كان[8] منسيا بعد حفظه فذكر، فمن شاء ذكره، لحفظه[9] و علم معانيه و تخلق بها، و إنما ١٠ المانع عن ذلك مشيئة الله تعالى، فمن شاء حجبه عنه أصلا و رأسا، و من شاء حجبه عن[10] بعضه، و من شاء كشف عنه الحجاب، و جعله يعينه على

(١) الخامسة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها أربعون.
(٢) من ظ وم، وفى الأصل: العيان (٣) من ظ وم، و فى الأصل: رسول.
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عظيم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المنظوم (٧) من ظ وم، و فى الأصل: اشاراته (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: كان كانه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لخفه (١٠) من ظ وم، و فى الأصل: من.

اعظم صواب ، دون شك و لا ارتياب ، و جلى عليه أوانسه و عرائسه
و حباه جواهره و نفائسه ، و حلاه به ؛ فكان ملكه و سائسه ، كما كان[1]
المدثر صلى الله عليه و سلم حين كان خلقه القرآن ، و اسمها القيامة واضح
فى ذلك جدا ، و ليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤملت الآية
مع ما أشارت إليه « لا » النافية للقسم أو المؤكدة مع أنها فى الوضوح ٥
فى حد لا يحتاج إلى الإقسام [عليه -[2]] لأنه لا يوجد أحد يدع من
تحت يده يعدو بعضهم على بعض ، و يتصرفون فيما خولهم فيه من غير
حساب ، فكيف بأحكم الحاكمين الذى وكل بعبيده أضعافهم من الملائكة
فهم يديرون فى كل لحظة فيهم كؤوس المنايا ، و يأخذون من أمرهم به
سبحانه إلى داره[3] البرزخ للتهيئة للعرض و يسوقونهم زمرا بعد زمر ١٠
إلى العود فى الأرض حتى ينتهى الجمع فى القبور ، و يقيمهم بالنقر[4]
فى الناقور ، و النفخ فى الصور ، إلى ساحة الحساب للثواب و[5] العقاب ،
/ و لم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه أكثر الخلق إلا مشيئته سبحانه /٩٢
بتغليب النفس الأمارة حتى صارت اللوامة منهمكة فى الشر شديدة
اللوم عن الإقصار عن[6] شيء منه كما أن ما جلاه لنبيه محمد صلى الله ١٥
عليه و سلم حتى كان خلقه ، و لمن أراد من أتباعه إلا إرادته سبحانه

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : ان (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : دارا (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : فى النقر (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : أو (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

بتغليب[1] المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا [و - [2]] نورا خالصا بحتا ﴿ بسم الله ﴾ الذى شرف رسوله صلى الله عليه و سلم فأعجز الخلق بكتابه بما له من الجلال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمتى الإيجاد و البيان أهل الهدى و الضلال ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص أهل العناية ٥ بالسداد فى الأقوال و الأفعال .

لما ذكر سبحانه الآخرة أول سورة[3] المدثر و خوف منها بالتعبير بالناقور و ما تبعه ، ثم أعاد أمرها آخرها ، و ذكر التقوى التى هى أعظم أسباب النجح فيها و المغفرة التى هى الدواء الأعظم لها ، و كان الكفار يكذبون بها ، و كان سبحانه قد أقام عليها من الأدلة من ١٠ أول القرآن إلى هنا تارة مع الإقسام و أخرى مع الخلو عنه ما صيرها فى حد البديهيات ، وكانت[4] العادة قاضية بأن المخبر إذا كذبه السامع حلف على ما أخبره به ، و كان الإقسام مع تحقق العناد لا يفيد ، أشار سبحانه و تعالى إلى أن الأمر قد صار غنيا عن الإقسام لما له من الظهور الذى لا ينكره [إلا - [2]] معاند ، فقال مشيرا إلى ١٥ تعظيمها و التهويل فى أمرها بذكرها[5] و إثبات أمرها بعدم[5] الإقسام أو تأكيده : ﴿ لآ اقسم ﴾ اى لا أوقع[7] الإقسام أو أوقعه[6] مؤكدا ﴿ بيوم القيمة لا ﴾ على وجود يوم القيامة أو بسبب وجوده لان الامر[9]

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : بالارادة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كان وكان (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : اقم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اقعه (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : امر .

غنى فيه [عن ذلك - [1]]، و على القول بأنه قسم هو مؤكد بالنافى، و دخوله فى التأكيد سائغ بل شائع فى كلامهم جدا، و جاز القسم بالشيء على وجوده إشارة إلى أنه فى العظمة فى الدرجة العليا كما يقول الإنسان: و الله ان الله موجود، أى لا شيء أحلف به على وجوده - يا أيها المنكر - أعظم منه [حتى - [1]] أحلف به و لا بد لى من الحلف ٥ لأجل إنكارك فأنا أحلف به عليه، فالمعنى حينئذ انه لا شيء أدل على عظمة الله من هذين[2] الشيئين فلذا أوقع القسم بهما[3]، و سر التأكيد [بـ «لا» - [4]] - كما قال الرازى فى اللوامع: ان الإثبات من طريق النفى آكد كأنه رد على المنكر أولا ثم أثبت القسم ثانيا، فان الجمع بين النفى و الإثبات دليل الحصر. ١٠

و لما كان من المقرر المعلوم الذى هو فى أقصى غايات الظهور أن من طلبه[5] الملك [طلب - [1]] عرض و حساب [و ثواب - [1]] و عقاب يلوم نفسه فى كونه لم يبالغ فى العمل بما يرضى الملك و الإخلاص فى موالاته، و التحيز إليه و مصافاته. و كان أكثر لوم النفس واقعا فى ذلك اليوم، و كان إدراكها للوم المرتب على إدراك الأمور الكلية ١٥ و الجزئية و معرفة الخير و الشر، و التمييز بينهما / من أعظم الدلائل ٥٩٣ / على تمام[6] قدرة الخالق و كمال عظمته الموجب لإيجاد ذلك اليوم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيهما (٤) زيد من م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: طلب. (٦) من م، و فى الأصل: عموم، و الكلمة ساقطة من ظ.

لإظهار عظمته و [حكمه و - [1]] حكمته قال : ﴿ و لآ اقسم بالنفس [1] ﴾ على حد ما مضى فى [أن - [1]] الباء صلة أو سبب ﴿ اللوامة ۞ ﴾ أى التى تلوم صاحبها و هى خيرة و شريرة ، فالخيرة [تكون - [1]] سببا للنجاة فيه و الآخرى تكون سببا للهلاك فيه ، فان لامت على الشر ٥ أو [3] على التهاون [4] بالخير أنجت [4] ، و إن لامت على ضد ذلك أهلكت [5] ، و كيفما كانت لابد أن تلوم ، و هى [بين - [1]] الأمارة و المطمئنة ، فما غلب عليها [6] منهما كانت فى حيزه ، قال الرازى [7] فى اللوامع [7] : فالمطمئنة التى [8] انقادت لأوامر الله ، و الأمارة المخالفة لها المتبعة للهوى ، و اللوامة هى المجاهدة [9] . فتارة لها اليد و تارة عليها ، و هى نفس الإنسان خاصة ١٠ لأنها بين طورى [10] الخير و الشر و الكمال و النقصان و الصعود و الهبوط و الطاعة و العصيان ، قال الإمام السهروردى فى الباب السادس [11] و الخمسين من معارفه : و هى نفس واحدة لها صفات متغايرة ، فالملائكة فى درجة الكمال ، و الحيوانات [12] الأخر فى دركة النقصان . و لهذا جمع بين القيامة و [بين - [1]] اللوامة ، لأن الثواب و العقاب للآدمى دون الملائكة

---

(١) زيد من ظ و م (٢) وقع فى الأصل قبل « اللوامة » والترتيب من ظ و م . (٣) فى م : « و » (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الخير نجت (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : هلكت (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : قامت و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) فى ظ : المجادلة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ظهورى . (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : الخامس (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الحيوان .

 و الحيوانات

و الحيوانات[1] العجم ، و اللوامة يشتد لومها في ذلك اليوم على عدم الخير أو عدم الزيادة منه ، لا أقسم على ذلك بهذا الذى هو من أدل الأمور على عظمته سبحانه فان[2] الأمر فى ذلك غنى عن القسم .

و لما كان التقدير قطعا بما يرشد إليه جميع ما مضى جوابا للقسم : إنك و الله صادق فى إنذارك فلابد أن ينقر فى الناقور بالنفخ فى ٥ الصور . قال بانيا عليه بعد الإشارة إلى تعظيم أمر القيامة بما دل عليه حذف الجواب من أنها فى وضوح الأمر و تحتم الكون على حالة لا تخفى على أحد منكرا على من يشك فيها بعد ذلك : ﴿ أيحسب الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى يقبل[3] [على - [4]] الأنس بنفسه و النظر فى عطفه و السرور بحسبه ، و أسند الفعل إلى النوع كله لأن أكثرهم كذلك لغلبة ١٠ الحظوظ على العقل إلا من عصم الله ﴿ ان ﴾ أى انا .

و لما كان فيهم من يبالغ فى الإنكار ، عبر[5] أيضا بأداة التأكيد فقال : ﴿ لن نجمع ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ عظامه ﴾ أى التى هى قالب بدنه و عماده من الأرض فيعيدها كما كانت[6] بعد تمزقها و تفتتها و افتراقها و بلاها و انمحاقها ، و قد سدت المخففة مسد مفعولى ١٥ « يحسب » المقدرين بـ « يحسبنا » غير جامعين .

و قال الإمام ابو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله مخبرا عن اهل

---

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فحذفناها (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : قال (٣) فى ظ : جبل (٤) زيد من ظ وم (٥) زيد فى الأصل : بقوله ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من ظ وم ، و فى الأصل : انت .

الكفر «و كنا نكذب بيوم الدين» ثم تقدم فى صدر السورة قوله تعالى «فاذا نقر فى الناقور» إلى قوله «غير يسير» و المراد به يوم القيامة، و الوعيد به لمن ذكر بعد فى قوله «ذرنى و من خلقت وحيدا» الآيات / و من كان على حاله فى تكذيب وقوع ذلك اليوم، ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله "ما سلككم فى سقر" فبسط القول فى هذه السورة فى بيان ذكر ذلك اليوم و أهواله، و أشير إلى حال من كذب به فى قوله تعالى "يسأل ايان يوم القيامة" و فى قوله تعالى "ايحسب الإنسان ان لن نجمع عظامه" ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق فى ذلك اليوم "ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم و اخر" انتهى.

/ ٥٩٤

و لما أسند الحسبان إلى النوع لأن منهم من يقول: لا نبعث لأنا نتفت و نمحق، قال مجيبا له: ﴿بلىٰ﴾ أى لنجمعن عظامه و جمع أجزائه لأنا قدرنا على تفصيل عظامه و تفتيتها من بعد ارتتاقها حالىٰ[1] كونها نطفة واحدة لأن كل من قدر على التفصيل قدر على الجمع و التوصيل حال كوننا ﴿قٰدرين﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿علىٓ ان﴾.

و لما كانت تسوية الصغير أصعب، قال: ﴿نسوى بنانه ۝﴾ أى أصابعه [أو - [2]] سلامياته و هى عظامه الصغار التى فى يديه ورجليه كل منها طول إصبع و أقل، خصها[3] لأنها أطرافه و آخر ما يتم [به - [2]] خلقه بأن نجمع بعضها إلى بعض على ما كانت عليه قبل الموت سواء، فالكبار

(١) من ظ و م، وفى الأصل: حالة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: حصتها.

بطريق الأولى لأنها أبين، و لا فرق بين تسويتنا ذلك من النطفة و تسويتنا له من التراب، و هي لا تكون مسواة و هي قالب البدن[1] إلا بتسوية ما عليه من لباس اللحم و العصب و الجلد كما يعهدها العاهد، فتسوية البنان كناية عن تسوية جميع البنيان كما لو قيل لك: [2]هل تقدر[2] على تأليف هذا الحنظل، فقلت: نعم، و[3] على تأليف الخردل، مع ٥ ما يفهم من تخصيصها من التنبيه على ما فيها من بديع الصنع المتأثر عنه ما لها من لطائف المنافع، أو أن نسويها الآن فنجمعها على ما كانت عليه حال[4] كونها نطفة من الاجتماع قبل فتقها و تفريقها حتى تكون كخف البعير، فان القادر على تفصيل الأنامل حتى تتهيأ[5] للأعمال اللطيفة قادر على جمعها، فتزول عنها تلك المنفعة. و من قدر على تفصيل ١٠ الماء بعد [اختلاطه -[6]] و جمعه بعد انفصاله قادر على جمع التراب بعد افتراقه، و كيفما كان فهو تنبيه على التأمل فى لطف تفصيل الأنامل و بديع صنعها الموجب للقطع بأن صانعها قادر على كل ما يريد، قال فى القاموس: البنان: الأصابع او أطرافها، و السلامى - وزن حبارى: عظام صغار طول إصبع او أقل فى اليد و الرجل. ١٥

و لما تقدم ما[7] أشار إلى أن القيامة فى غاية الظهور، أضرب عن هذا الإنكار فقال بانيا على ما تقديره: إنه لا يحسب عدم ذلك

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الابدن (٢-٢) فى ظ و م: اتقدر (٣) من ظ و فى الأصل: أو (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حالة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تتهياوه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بما.

/ ٥٩٥ لأنه من الظهور فى حد لا يحتاج إلى كبير تأمل فلو مشى مع / عقله عرف الحق: ﴿ بل يريد ﴾ أى يوقع الإرادة ﴿ الانسان ﴾ أظهر فى موضع الإضمار للتصريح بالتعميم لمقتضى الطبع الموجب له عدم الفكر فى الآخرة مع شدة ظهورها لأنه[1] معنى بشهواته فلا نجاة إلا ٥ بعصمة الله تعالى، و حذف مفعول « يريد » إشارة إلى أن كل ما يريده بمقتضى طبعه و شهواته خارج عن طوره فهو معاقب عليه لأنه عبد، و العبد يجب عليه أن يكون مراقبا للسيد، لا يريد إلا ما يأمره به، فاذا اراد ما أمره به لم تنسب إليه إرادة بل الإرادة للسيد لا له[2].

و لما كان ذلك، [3] و كانت [3] إرادته الخارجة عن الأمر معصية، ١٠ قال معللا: ﴿ ليفجر امامه ج ﴾ أى يقع منه الإرادة ليقع منه الفجور فى المستقبل من زمانه بأن يقضى شهواته و يمضى راكبا رأسه فى هواه[4]، و نفسه الكاذبة تورد[5] عليه الأمانى و توسع له فى الأمل و تطمعه فى العفو من دون عمل، قال الحسن[6]: المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه [و يقول: ما أردت بكلامى؟ و ما أردت بأكلى؟ و الفاجر يمضى ١٥ قدما لا يحاسب نفسه - [7]] و لا يعاتبها. و يجوز أن يعود الضمير على الله[8] تعالى ليكون المعنى: ليعمل الفجور بين [يدى - [7]] الله تعالى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لانها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: للعبد انتهى.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هوا نفسه.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: ترد (٦) راجع المعالم ٧/١٥١ (٧) زيد من ظ و م.
(٨) من م، و فى الأصل و ظ: الى

و ربك

و بمرأى منه و مسمع و يطمع فى أن لا يؤاخـــذه بذلك او يجازيه بفجوره، قال فى القـاموس: و الفـــجر[1]: الانبعاث فى المعـاصى و الزنا كالفجور.

و لما كان عريقا فى التلبس بهذا الوصف، أنتج له الاستهزاء بهذا الخطب الأعظم فـترجم ذلك بقوله: ﴿ يسئل ﴾ [أى - [2]] سؤال ٥ استهزاء و استبعاد، و وضع موضع مفعول يسال جملة اسمية من خبر مقدم و مبتدأ مؤخر فقال: ﴿ ايان ﴾ [أى - [3]] أىّ وقت يـكون ﴿ يوم القيمة ﴾ و لما كان الجواب: [يوم - [2]] يـكون كذا و كذا، عدل عنه إلى ما سبب عن استبعاده لأنه اهول، فقال دالا على خراب العالم لتجرد الإنسان عن مسكنه و ما ألفه من أحواله[4] فـيكون أهول ١٠ معبرا بأداة التحقق لأنها موضعها: ﴿ فاذا برق البصر ﴾ أى شخص و وقف[5] فلا يطرف من هول ما يرى - هذا على قراءة نافع بالفتح، و هى إشارة إلى مبدأ حاله، و قراءة الجماعة بالـكسر مشيرة إلى مآله فان معناها: تحير و دهش و غلب، من برق الرجل - إذا نظر إلى البرق فحسر بصره و تفرق تفرق الشىء فى المايــع إذا انفتح[6] عنه وعاؤه ١٥ بدليل قراءة بلق من بلق الباب - إذا انفتح، و بلق الباب كنصر: فتحه

(١) من ظ والقاموس، و فى الأصل وظ: الفجور (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ وم، و فى الاصل: الاحوال (٥) من ظ وم، و فى الأصل: وصف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تفخه.

كله ، أو شديدا كابلقه فانبلق ، و بلق كفرح : تحير - قاله فى القاموس[1].

و لما كانت آيات السماوات أخوف ، ذكرها بادئا بما طبعه البرد[2]، إشارة إلى شدة الحر و التوهج و الأخذ بالأنفاس الموجب لشدة اليأس فقال : ﴿ و خسف القمر لا ﴾ أى وجد[3] خسفه بأن خسفه الله تعالى

٥٩٦ / ٥ / فأذهب صورته كما تذهب صورة الأرض المخسوفة ، و ذلك باذهاب ضوئه من غير سبب لزوال ربط المسببات فى ذلك اليوم بالأسباب و ظهور الخوارق بدليل قوله : ﴿ و جمع ﴾ أى جمعا هو فى غاية الإحكام و الشدة كما أفهمه التذكير [و - [4]] على أيسر الوجوه و أسهلها ﴿ الشمس ﴾ أى آية النهار ﴿ و القمر لا ﴾ مع عدم إنارته

١٠ و إن كان نوره الآن من نورها فذهب[5] الانتفاع بهما و هما[6] مع ذهاب النور و تفرق البصر مدركان[7] لوجود الكشف التام عن الخفيات كما قال تعالى «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» و بعد جمعهما يلقيان[8] فى النار كأنهما ثوران عقيران ، و بنى الفعل للمفعول لأن المهول مطلق جمعهما المخرج لهما عن العادة و للدلالة[9] على السهولة .

١٥ و لما عظم أمر يوم[10] القيامة بما تقدم ، أكد ذلك بأن الأمر

(١) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : البرودة (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : اوجد (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فانه يكون قد ذهب (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مدركا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يلتقيان (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لدلالته (١٠) سقط من ظ و م .

فيه على غير ما نعهده فى الدنيا من وجدان مهرب أو حاكم غير الذى يخافـه المطلوب أو شيء من تشعب الكلمة و تفرقها [فقال - [1]] : ﴿ يقول الانسان ﴾ أى بشدة روعه جريا مع طبعه ﴿ يومئذ ﴾ أى إذا كان هذا الخطب الأجل و القادح الأكبر ، و حكى بيقول جملة اسمية من خبر مقدم و مبتدأ مؤخر فقال : ﴿ اين المفر ج ﴾ أى الفرار و الموضع ٥ الذى إليه الفرار و الزمان القابل لذلك ، قول آيس مدهوش قاده إليه الطبع ، و ذلك حين تقاد جهنم بسبعين ألف سلسلة ، كل سلسلة بأيدى سبعين ألف ملك ، لها زفير و شهيق .

و لما كان ذلك اليوم يوم انقطاع الأسباب ، قال نافيا بما سأل عنه بأداة [2] الردع : ﴿ كلا ﴾ أى لا يقال هـذا فانـه لا سبيل إلى وجود ١٠ معناه و هو معنى ﴿ لا وزر ط ﴾ أى ملجأ و معتصم و لا حصن و لا التجاء و اعتصام ، و كون هـذا من كلام الإنسان رجوعا من طبعه إلى عقله أقعد و أدل على الهول لأنه لا يفهم انه بعد أن سأل من عظيم الهول نظر فى جملة الأمر فتحقق أن لا حيلة بوجه أصلا ، فقال معبرا بالأداة الجامعة لمجامع [3] الردع . ١٥

و لما كان المعنى : لا مفر من الله إلا إليه ، لأن ملكه محيط و قدرته شاملة ، قال مترجما عنه ذاكرا صفـة الإحسان لوما لنفسه على عدم الشكر : ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك بأنواع الإحسان وحده ، لا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : بادارة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بجامع .

إلى شيء غيره ﴿ يومئذ ﴾ اى إذ[1] كانت هذه الأشياء ﴿ المستقر ﴾ اى استقرار الخلق [كلهم - [2]] ناطقهم و صامتهم و مكان قرارهم و زمانه إلى حكمه[3] سبحانه و مشيئته ظاهرا و باطنا لا [حكم - [2]] لأحد[4] غيره بوجه من الوجوه فى ظاهر و [لا - [2]] باطن كما هو فى الدنيا.

٥٩٧ / ٥ و لما كان / موضع السؤال عن علة هذا الاستقرار، قال مستأنفا بانيا للفعول لأن المنكىء إنما هو كشف الأسرار[5] لا كونه من كاشف معين، و للدلالة على يسر ذلك عليه سبحانه و تعالى بأن [من - [2]] ندبه إلى ذلك فعله كائنا من كان: ﴿ ينبؤا ﴾ أى يخبر تخبيرا عظيما مستقصى ﴿ الانسان يومئذ ﴾ [أى - [2]] إذ[6] كان هذا الزلزال الأكبر

١٠ ﴿ بما قدم ﴾ أى من عمله العظيم ﴿ و اخره ﴾ اى فى أول عمره و آخره - كناية عن الاستقصاء أو بما قدمه فأثره على غيره هل هو الشرع أو الهوى أو بما عمل فى مدة عمره و[6] بما أخر عمله لمعاجلة[7] الموت له عنه فيخبر[8] بما[9] كان يعمله من[10] أمله لو مد فى أجله، أو الذى قدمه هو ما عمله بنفسه و ما أخره هو ما سنه فعمل به الناس من بعده

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اذا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حكمته (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : احد (٥) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل « او ». (٧) من ظ ، وفى الأصل وم : لمعالجة (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : نيخبره. (٩) زيد فى الأصل : عما اه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

من

من خير او شر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[١]، [٢]و عليه[٢] مشى الغزالى فى الباب الثالث من كتاب البيع[٣] من الإحياء.

و لما عظم القيامة بكشف الأسرار فيها و الإنباء بها، و كان الشأن أن الإنسان لا ينبأ إلا بما هو جاهل له أو غائب عنه، و [كان - ٤] مما يخف على الإنسان فى الدنيا النسيان، و كان ذلك اليوم يوم كشف ٥ الغطاء، زاده عظما بالإعلام[٥] بأنه يجلو بصيرة الإنسان حتى يصير مستحضرا لجميع ما له من شأن، فكان التقدير : ليس جاهلا بشيء من ذلك و لا محتاجا إلى الإنباء به، قال بانيا عليه : ﴿ بل الانسان ﴾ [أى كل - ٤] واحد من هذا النوع ﴿ على نفسه ﴾ خاصة ﴿ بصيرة ﴾ اى حجة بينة على أعماله. فالهاء للمبالغة - يعنى أنه فى غاية المعرفة لأحوال نفسه ١٠ فانه إذا تأمل و أنعم[٦] النظر و لم يقف مع الحظوظ عرف جيد فعله من رديئه، أما فى الدنيا فلان الفطر الأولى شاهدة بالخير و الشر - كما أشار إليه صلى الله عليه و سلم بقوله : البر ما [٧]سكنت إليه النفس و اطمأن اليه القلب[٧]، و الإثم ما حاك فى الصدر و ترددت فيه النفس و إن أفتاك الناس و أفتوك - رواه الإمام أحمد عن أبى ثعلبة [الخشنى - ٤] ١٥

---

(١) راجع معالم التنزيل ٧/١٥٣ (٢-٢) من م، وفى الأصل وظ : مشى عليه.
(٣) من م، وفى الأصل و ظ : البيوع - و راجع الاحياء ٢/٥٠ (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، وفى الأصل : بالاعظام (٦) من ظ و م، و فى الأصل : أمعن (٧ - ٧) من ظ و م و مسند الإمام أحمد ٤ / ١٩٤ و راجع ايضا ٢٢٨، و فى الأصل : اطمأن اليه القلب و سكنت النفس.

رضى الله عنه و قوله صلى الله عليه و سلم: إنما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" - رواه البخارى[١] عن ابن مسعود رضى الله عنه، و أما فى الآخرة فان الله يعطيه فى[٢] ذلك [اليوم - ٣] قوة الذكرى حتى تصير أعماله كلها بين عينيه لانه
٥ تعالى ينفى عنه الشواغل البدنية و يكشف عنه الحجب النفسانية حتى تصير أعماله ممثلة له كانه يراها و لا تنفعه معذرته، لأن كل شيء يعتذر به عن نفسه يعرف كذبه بنفس وجوده لا بشيء[٤] خارج عنه تارة يكون خالقه أوجده[٥] على ما هو عليه من العلم / و سلامة ٥٩٨ / الأسباب المزيلة للعلل[٦] و تارة بانطاق[٧] جوارحه.
١٠ و لما كان الإنسان يعتذر فى ذلك اليوم عن كل سوء عمله، و يجادل أعظم مجادلة، و كان المجادل فى الغالب [يظن - ٨] أنه لم يذنب أو لا يعلم له ذنبا، قال: ﴿و لو ألقى﴾ أى ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلعثم دلالة[٩] على غاية الصدق و الاهتمام و التملق ﴿معاذيره ط﴾ أى كل كلام يمكن أن يخلص به، جمع عذر أو معذرة
١٥ و هو إيساع الحيلة فى دفع الخلل[١٠]: و قال فى القاموس: المعاذير:

---

(١) فى ظ و م: الشيخان، وراجع كتاب الأنبياء من الصحيح (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ وم، وفى الأصل: شيء (٥) من ظ وم، و فى الأصل: واحده (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للعل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: باستنطاق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الحال.

البثور و الحجج جمع معذار [1]، و ذلك لاشتراكهما فى مطلق الستر بالفتح و الستر بالكسر فى ستر [2] المذنب و الحجة فى ستر الذنب [3] فالمعنى أنه حجة على نفسه و لو احتج عنها و اجتهد فى ستر عيوبها، فلا تقبل منها الأعذار، لأنه قد أعطى البصيرة فأعماها بهوى النفس و شهواتها، و تلك البصيرة هى نور [4] المعرفــة المركوز [4] فى الفطرة الأولى، و هى ٥ كقوله تعالى «لا تنفع الظالمين معذرتهم».

و لما كان معنى هذا كله أن الإسان محجوب فى هذه الدار عن إدراك الحقائق بمـا فيه من الحظوظ و الكسل و الفتور، لما فيه من النقائص، و كان النبي صلى الله عليه و سلم مبرءا من ذلك لخلق [الله - [5]] له كاملا و ترقيته بعد ميلاده كل يوم فى مراقى الكمال ١٠ حتى صار [6] إلى حد لا يشغله [عن العلوم - [5]] شىء فكان بحيث يرى مواقع الفتن خلال البيوت كمواقع القطر، و يرى من ورائه كما يرى من امامه، و يقول: «الله لا يخفى علىّ خشوعكم و لا ركوعكم إنى أراكم من وراء ظهرى»، و [7] كان صلى الله عليه و سلم يرى [7] فى أشد الظلام و غير ذلك مما له صلى الله عليه و سلم [8] من رقة الجوهر الذى لم ينله ١٥ أحد غيره و ذلك [8] مما يدل على الكشف التام و لكنه [كان - [5]]

---

(١) من ظ و م و القاموس، و فى الأصل: معذر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تلك (٣) من ظ و م، و وفى الأصل: نفسه (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: المعرة المذكورة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: فى ميلاده، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) فى ظ و م: يرى صلى الله عليه و سلم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

صلى الله عليه و سلم لتعظيمه لهذا القرآن لما له فى نفسه من الجلالة[1]
و لما فيه من خزائن السعادة و العلوم التى لا حد لها فتستقصى ، و لأنه
كلام الملك الأعظم ، و بأمره نزل إليه [2]صلى الله عليه و سلم مع رسوله
جبريل عليه الصلاة و السلام[2]، يعالج عند سماعه أول ما يأتيه شدة ، فكان
٥ يحرك به لسانه استعجالا بتعهده ليحفظه و لا يشذ عنه منه شيء . و كان
قد ختم سبحانه ما قبلها بالمعاذير ، و كانت العجلة مما يعتذر عنه[3] ، و كان
الحامل على جميع ما يوجب الملامة و الاعتذار ما[4] طبع عليه الإنسان
من حب العاجل ، قال سبحانه نتيجة عن هذه المقدمات الموجبة لانكشاف
/ الأشياء للانسان الموجب للاخبار بها و الخوف من عواقبها لئلا يميل ‎/٥٩٩
١٠ إلى العاجلة و لا يقع فى مخالفة لو لا ما شغله[5] به من الحجب إعلاما
بأنه سبحانه و تعالى قد دفع عن النبى صلى الله عليه و سلم تلك الحجب
و أوصله من رتبة[6] «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» إلى أنهاها ،
و بأنه قادر على ما يريد من كشف ما يريد لمن يريد كما يكشف لكل
إنسان عن أعماله فى القيامة حتى يصير يعرف[7] ما قدم منها[8] و ما أخر ،
١٥ و تنبيها على أنه[9] صلى الله عليه و سلم لا كسب له فى هذا القرآن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الحلاوة (٢-٢) ما بين الرقمين فى ظ و م : مع رسوله صلى الله عليه و سلم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يشغله (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : رتبته (٧) زيد فى الأصل : بها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٩) فى ظ و م : أن النبى .

بغير

بغير حسن[١] التلقي إبعادا له عن قول البشر و تمهيدا بما يحرك من لسانه بالقرآن قبل تمام الإلقاء لذم ما طبع عليه الإنسان: ﴿ لا تحرك به ﴾ أي القرآن الذي هو تذكرة من شاء ذكره لو لا حجاب المشيئة، و قد كشف سبحانه و تعالى حجاب المشيئة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم و شاء أن يذكره حين قال " و ما تشاؤن الا ان يشاء الله " ٥ لأنه [٢] ما زله[٢] إليه بغير اكتساب منه إلا و قد شاء ذلك ﴿ لسانك ﴾ الذي ليست[٣] له حركة إلا في ذكر الله تعالى .

و لما لم يكن لهذا التحريك فائدة مع حفظ الله له على كل حال إلا قصد الطاعة بالعجلة ، و كانت العجلة هي الإتيان بالشيء قبل أوانه الأليق به ، و إن كان النبي صلى الله عليه و سلم مثابا على ذلك أعظم الثواب . لأنه ١٠ لا حامل له عليه إلا حب الله و حب ما يأتي منه ، جعلها الله سبحانه و تعالى علة و إن لم تكن مقصودة فقال: ﴿ لتعجل به[٤] ﴾ أي بحمله و أخذه قبل أن يفرغ[٤] من إلقائه إليك[٥] رسولنا جبريل عليه الصلاة و السلام مخافة ان ينفلت منك ، لأن هذه العجلة و إن كانت من الكمالات بالنسبة إليك و إلى إخوانك من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ١٥ كما قال موسى عليه الصلاة و السلام " و عجلت اليك رب لترضى "

(١) من ظ و م ، و في الأصل : حسب (٢ - ٢) من ظ و م ، و في الأصل : نزل (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ليس (٤) زيد في الاصل : الملك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) زيد في الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

لأنها من النفس اللوامة التى تلوم على ترك المبادرة إلى افعال الخير فغيرها من أفعال المطمئنة أكمل منها ، فنقل صلى الله عليه و سلم من مقام كامل إلى [1] اكمل منه ، و كان هذا الكلام [2] المتعلق بالقرآن و الذى بعده فرقانا بين صفتى اللوامة فى الخير و اللوامة فى الشر ،
٥ و الآية ناظرة [3] إلى قوله تعالى فى المدثر حكاية «إن هذا الا قول البشر» و ما بينهما اعتراض فى وصف حال القيامة جر إليه قوله تعالى "ساصليه سقر" أي ان الذى خيل به المتقول [4] فى القرآن أمران : احدهما انه سحر و الآخر انه قول البشر ، و العلم اليقين حاصل بانتفاء الأول ، و أما الثانى فكان النبي [5] صلى الله عليه و سلم يخشى أن لا يتقن حفظه
١٠ فتدخل عليه كلمة مثلا فيكون من قول البشر / فنهاه الله تعالى عن العجلة و ضمن له الحفظ ، ثم علل هذا النهى بقوله [6] مؤكدا لأنه من مجراته : ﴿ ان علينا ﴾ أى بما [لنا ـ [7]] من العظمة ، لا على احد سوانا ﴿ جمعه ﴾ اى فى صدرك حتى [8] نثبته و نحفظه [8] ﴿ و قرآنه ج صلے ﴾ أى إطلاق لسانك به و إثباته فى رتبته من الكتاب حال كونه مجموعا اتم
١٥ جمع ميسرا أحسن تيسير فأرح نفسك مما [9] تعالج فى أمره [9] من المشقة و تكابده من العناء .

٦٠٠/

(١) زيد فى الأصل : مقام ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الـكمال (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ظاهرة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المتقوم (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فقوله (٧) زيد من ظ و م (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : نحفظه و نثبته . (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : تعالجها به .

و لما نهاه امره فقال: ﴿ فاذا قرأنه ﴾ اى أقدرنا[1] جبريل عليه الصلاة و السلام على تأديته إليك كما حملناه إياه بما لنا من العظمة و على حسبها ﴿ فاتبع ﴾ أى بغايـة جهدك بالقاء سمعك و إحضار ذهنك ﴿ قرانه ﴾ أى قراءته مجموعة[2] على حسب ما أداه اليك رسولنا و جمعناه لك فى صدرك، و كرر تلاوته حتى يصير الك به ملكة ٥ عظيمة و اعمل بـه حتى يصير لك خلقا فيكون قائدك إلى كل خير، فالضمير يجوز ان يكون للقران، يكون القرآن هنا بمعنى القراءة، عبر به عنها تعظيما لها، أى اتبع قراءة القرآن[3] اى قراءة جبريل عليه السلام [له -[4]]، و لو كان على بابه لم يكن محذورا، فان المراد به خاص و بالضمير عام، و يجوز أن يكون الضمير[5] لجبريل عليه السلام ١٠ [اى -[4]] اتبع قراءته و لا تراسله.

و لما كان بيان كلماتـه و نظومه على أى وجه سمعه من مثل صلصلة الجرس و غيرها، و بيان معانيه و ما فيه من خزائن العلم من العظمة بمكان[6] يقصر عنه الوصف، أشار إليـه بأداة التراخى، فقال دالا على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، مشعرا ١٥ بانه كان يعجل بالسؤال عن المعنى كما كان يعجل بالقراءة: ﴿ ثم ﴾ و أكد ذلك إشارة إلى أنه لعظمه مما يتوقف فيه فقال: ﴿ ان علينا ﴾

(١) فى ظ: قدرنا (٢) من ظ و م، و فى الاصل: مجموعا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القراءتـه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالضمير (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بما كان.

أى بما لنا من العظمة ﴿ بيانه ‌ۥ ﴾ اى بيان ألفاظه و معانيه لك سواء سمعته من جبريل عليه الصلاة و السلام على مثل صلصلة الجرس أو بكلام الناس المعتاد بالصوت و الحرف، و لغيرك[1] على لسانك و على ألسنة العلماء من أمتك، [و الآية -[2]] مشيرة إلى ترك مطلق العجلة ٥ لأنه إذا نهى عنها فى أعظم الأشياء و أهمها كان غيره بطريق الأولى.

روى البخاري فى تفسير الآية فى أول صحيحه و آخره[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفتيه، قال سعيد بن جبير: قال ابن عباس رضى الله عنهما: فانا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحركهما[4] - فأنزل الله ١٠ عز و جل الآية حتى قال: جمعه فى صدرك ثم تقرأه «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» قال: فاستمع / له و أنصت ثم إن علينا ان تقرأه، قال فكان /٦٠١ رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أتاه جبريل عليه الصلاة و السلام استمع مطرقا، فاذا انطلق جبريل عليه الصلاة و السلام قرأه النبى صلى الله عليه و سلم كما أقرأه جبريل عليه الصلاة و السلام كما وعده ١٥ الله بكفالة قوله تعالى "فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عددا".

و لما كان سبحانه و تعالى قد ختم الكلام فى المكذبين بأن أعمالهم

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: نغير ذلك - كذا (٢) زيد من م (٣) راجع ١/٣ و ٢ / ١١٢٢ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يحرك.

محفوظة. و ان كل احد على نفسه شاهد، لأنه يعلم جميل ما يفعل من قبيحه و إن اعتذر، و لولاه[1] ما اشتد اتصاله به، و ختم بضمان البيان للقرآن، فكان شاهدا بينا على كل[2] إنسان بما له من عظيم البيان. قال نافيا لما يظن من جهلهم بقبيح أفعالهم الذى اقتضاه اعتذارهم مشعرا بأن الآدمى مطبوع على الاستعجال بعد النهى عن العجلة فى أعز الأشياء ٥ و أعلاها و أهمها و أولاها، لأنه أصل الدين ليكون ذلك مؤكدا للنهى عن العجلة بالقرآن و مؤكدا لذمهم بحب العاجلة مغلظا لتوبيخهم على الميل مع الطبع و ترك ما يقتضيه العلم و العقل: ﴿ كلا ﴾ أى لا يجهل أحـــد منهم قبائح ما ارتكبه و إن اعتذر و ما ارتكب شيئا[3] منها عن[4] جهل ﴿ بل ﴾ هم ﴿ يحبون ﴾ أى محبة متجددة مستمرة على تجدد ١٠ الزمان ﴿ العاجلة لا ﴾ بدليل أنهم يقبلون[5] غاية الإقبال عليها فيأخذونها، وحبها أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فان الآخرة و الأولى ضرتان[6] من أحب إحديهما فعل و لابد ما يباعده عن الأخرى، فان « حبك للشيء يعمى و يصم »، و هذا بخلاف نبينا صلى الله عليه و سلم فى مطلق العجلة فكيف بالعاجلة فانما طبعناه على الكمال، فكان يعالج من العجلة ١٥ بالقراءة شدة فحين نهيناه عن ذلك انتهى رجوعا إلى طبعه الكامل الذى

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: أولاه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ان كان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن شيء (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) من ظ وم، و فى الأصل: يقبل (٦) زيد فى الأصل: لو اقصاه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لا يشوبه نقص، و كذا كان امره تكوينيا[1] لا إباء معه و لا كلفه، فان نفسه المطمئنة هي الغالبة و لها السلطان الأكبر، و لأجل تضارر الدارين و كونهم يحبون العاجلة قال: ﴿ و يذرون ﴾ اى يتركون على أي وجه كان و لو أنه غير مستحسن ﴿ الأخرة ﴾ لأنهم يبغضونها ٥ لارتكابهم ما يضر بهم فيها. و جمع الضمير و إن كان مبنى الخطاب مع الإنسان نظرا للمعنى إشارة إلى أنه لا يسلم من العجلة المذمومة [إلا - [2]] أفراد حفظهم الله بقدرته الباهرة، و الآية من الاحتباك: ذكر الحب أولا دليلا على البغض ثانيا، و الترك ثانيا دليلا على الإقبال و الأخذ أولا، فأنفسهم[3] اللوامة تلومهم على التقصير فى الشر كما أن ١٠ نفسك تحثك على الازدياد / من الخير و المبادرة إليه، فنعم النفس هي ٦٠٢ / و لتعلين مقامها، و أما أنفسهم فانها تحثهم لأجل اللوم على التقصير فى الشر على الإخلاد إلى العاجل[4] الفانى و الإقلاع عن الباقى لكونه غائبا فبئس الأنفس هي.

و لما ذكر الآخرة التى أعرضوا عنها، ذكر ما يكون فيها بيانا ١٥ بجهلهم و سفههم و قلة عقلهم، ترهيبا لمن أدبر عنها و ترغيبا لمن أقبل عليها لطفا بهم و رحمة لهم فقال: ﴿ وجوه ﴾ أى من المحشورين و هم جميع الخلائق ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ تقوم القيامة ﴿ ناضرة لا ﴾ من

(١) من ظ وم، و فى الأصل: تكوينا (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فانقسم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: العاجلة.

النضرة[1] بالضاد ، و هى النعمة و الرفاهية اى[2] هى بهجة مشرقة ظاهر عليها أثر[3] النعمة بحيث يدل [4]ذلك على[4] نعمة أصحابها ﴿ الى ربها ﴾ أى المحسن لها خاصة باعتبار أن عدّ النظر إلى غيره كلا نظر ﴿ ناظرة ج ﴾ أى دائما هم محدقون أبصارهم[5] نحو جوده بالتجلى لا غفلة لهم عن ذلك فاذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدية بـ « الى » و ذلك ، ٥ النظر جهرة من غير اكتتام و لا تضامّ و لا زحام - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما[6] و أكثر المفسرين و جميع أهل السنة ، و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم فى الأحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة ، و تكون الرؤية كما مثلت فى الأحاديث « كما يرى القمر ليلة البدر » كل من يريد رؤيته من بيته مخليا[7] به - هذا وجه ١٠ الشبه ، لا أنه فى جهة و لا فى حالة لها شبيه - تعالى الله عن التشبيه ، و هكذا رؤية النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام من الأشخاص المستكثرة فى البلاد المتباينة فى الوقت الواحد ، و قدم الجار الدال على الاختصاص إشارة إلى أن هذا النظر مباين للنظر إلى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة إليه ، و إلى أن تلك الوجوه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث ١٥ لا تفتر عن ذلك ، و لا يعد نظرها إلى ما سواه شيئا ، و هى آمنة من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : النضر (٢) زيد فى الأصل : الرفاهية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : آثار (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بابصارهم (٦) راجع المعالم ٧ / ١٥٤ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مختليا .

أن يفعل بها فاقرة، و عبر بالوجوه عن اصحابها لأنها[1] ادل ما يكون على السرور، و ليكون ذكرها اصرح فى أن المراد بالنظر حقيقته، و زاده صراحة بالتعدية بـ «الى» فان الانتظار لا يعدى بها[2]، قال الإمام حجة الإسلام الغزالى رحمة الله تعالى فى كتاب[3] المحبة من الإحياء[4] ٥ بعد أن جوّز أن يخلق الله النظر فى الجهة و غيرها: و الحق ما ظهر لأهل السنة و الجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية و النظر و سائر الألفاظ الواردة فى الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة ـ انتهى، و اهل الجنة متفاوتون فى النظر: روى أن منهم من ينظر إلى الله بكرة و عشية، و فى خبر ١٠ آخر، و ما بين القوم [و بين ـ[5]] أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه / فى جنة عدن، و متفاوتون فى مقدار الكشف /٦٠٣ فى الجمال و الأنس و البهجة التى يكون عنها اللذة بحسب أعمالهم.

و لما ذكر أهل النعمة، أتبعه أضدادهم من اهل النقمة فقال: ﴿ و وجوه يومئذ ﴾ أى فى ذلك اليوم بعينه ﴿ باسرة ﴾ أى شديدة ١٥ العبوس[6] و الكلوح و التكره[7] لما هى[8] فيه من الغم كأنها قد غرقت فيه فرسبت [9]بعد أن سبرت[9] أحوالها، فلم يظهر لها وجه خلاص.

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لانه (٢) العبارة من هنا إلى «بضرورة انتهى» ساقطة من ظ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كتابه (٤) راجع ٤/٢٠٦ (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: العبوسة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الفكره (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لها (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و الباسل

و الباسل أبلغ من الباسر لـكنه غلب فى الشجاع لا تداد كلوحه عند العراك ، و تلك الوجوه عن ربها محجوبة ، و إلى أنواع العذاب ناظرة •

و لما كان ظن الشر كافيا فى الحـذر منه و المبالغة فى استعمال ما يحمى منه، قال دالا على أنه عبر بالوجه عن الجملة : ﴿ تظن ﴾ أى توقع بما[1] ترى من المخايل : ﴿ ان يفعل ﴾ بناه للفعول لأن المحذور ٥ وقوع الشر لا كونه من معين ﴿ بها ﴾ أى بهم فانه إذا أصيب الوجه الذى هو أشرف ما فى الجملة كان ما عداه أولى ﴿ فاقرة ﴾ أى داهية[2] تـكسر الفقار و هو عظم سلسلة الظهر[3] الذى هو أصلب ما فى العظام فتـكون قاصمة الظهر، فالآية من الاحتباك : ذكر النظر فى الأولى دليل على ضده فى الثانية ، و ذكر الفاقرة فى الثانية دليل على ضدها فى الأولى • ١٠

و لما ذكر محبتهم للعاجلة بالمضارع الدال على التجدد و الاستمرار ، فاقتضى ذلك أنه حب غير منفك التجدد اصلا ، أخبر[4] أنه[5] ينقطع عن[6] هول المطلع [مع - [7]] الدلالة على تمام القدرة ، و أنه لا يرد قضاؤه ، فقال رادعا لمن يظن عدم انقطاعه: ﴿ كلآ ﴾ أى لا يدوم هذا الحب بل لابد أن ينقطع انقطاعا قبيحا جدا • و لما كان المحب للدنيا ١٥ هو النفس ، أضمرها لذلك و لدلالة الـكلام [عليها - [8]] فقال ذاكرا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و اهية .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ما اظهر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: اخبره.
(٥) زيد فى الأصل : ذكر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ : عند (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ •

ظرف ما افهم حرف الردع تقديره من عدم المحبة: ﴿ اذا بلغت ﴾ أى النفس المقبلة على العاجلة بأمر محقق ـ بما أفهمته أداة التحقق ﴿ التراقى ﴾ أى عظام اعالى الصدر، جمع ترقوة و هى العظام التى حول الحلقوم عن يمين ثغرة النحر و شمالها بين الثغرة و بين العاتق،
٥ و لكل إنسان ترقوتان، و هو موضع الحشرجة، لعله[1] جمع المثنى إشارة إلى شدة انتشارها بغاية الجهد لما هى فيه من الكرب لاجتماعها من أقاصى[2] البدن الى هناك و ضيق المجال عليها كأنها تريد أن تخرج من أدنى موضع يقرب منها، و هذا[3] كناية عن الإشفاء على الموت و ما أحسن قول حاتم الطائى و أشد التئامه مع ما هنا من أمر الروح:

١٠ أماوىّ ما يغنى الثراء عن الفتى   إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

و لما كان أهل الميت يشتد انزعاجهم اذذاك و يشتد تطلبهم لما ينجى المحتضر من غير أن يفيدهم ذلك شيئا، فكان قولهم كأنه لا قائل له على التعيين[4]، بنى للمفعول / قوله[5]: ﴿ و قيل ﴾ أى من كل قائل يعز عليه الميت استفهام استبعاد: ﴿ من سكتة راق ﴾ أى من هو الذى يتصف ١٥ برسوخ القدم فى أمر الرقى الشافية ليرقيه فيخلصه[6] مما هو فيه فانه صار

٦٠٤/

(١) من ظ، و فى الأصل و م: له (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اقاصم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هكذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليقين. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قولهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيختلصه.

إلى حالة لا يحتمل فيها دواء فلا رجاء إلا[1] فى الرقى، و عن ابن عباس رضى الله عنهما[2] أن هذا القول[3] من بعض الملائكة للاستفهام عمن[4] يرقى بروحه إلى السماء: أ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فالأول اسم فاعل من رقى يرقى بمعنى الرقية بالفتح فى الماضى و الكسر فى المضارع، [و الثانى الذى بمعنى الصعود بالكسر فى الماضى و الكسر فى المضارع - [5]] . ٥

و لما كان الإنسان مطبوعا[6] على الترجح بين الأمور الممكنة تعلق لما يغلب عليه من طبع الإلف و شدة[7] الركون لما يألفه بأدنى شيء، عبر عما هو أهل للتحقق بالظن فقال: ﴿ و ظن ﴾ أى المحتضر لما لاح له من أمور الآخرة أو القائل «هل من راق» من أهله ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم الذى هو [فيه - [5]] ﴿ الفراق ﴾ ١٠ أى لما كان فيه من محبوب العاجلة الذى هو الفراق[8] الأعظم الذى لا فراق مثله، ففى الخبر أن العبد ليعالج كرب الموت و سكراته و أن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول: السلام عليك تفارقنى و أفارقك إلى يوم القيامه . ﴿ و التفت الساق ﴾ أى هذا النوع ﴿ بالساق ﴾ أى انضمت إليها و اتصلت [بها - [5]] و دارت إحداهما بالأخرى فكانتا ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٢) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٨٩ (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من . (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مطبوع (٧) زيد فى الأصل: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: القران .

كالشيء الواحد، و هو كناية عن الموت لأن المشي لا يكون إلا [1]مع انفصال[1] إحدى الساقين عن الأخرى، أو عن اشتداد الأمر جدا و بعده عن الخلاص، فان العرب لا تذكر الساق في مثل هذا السياق إلا في أمر شديد مثل «شمر عن ساق» و إذا اشتد حراب المتحاربين:
٥ «دنت[2] السوق بعضها من بعض» فلا افتراق إلا عن موت أحدهما أو اشد من موته من هزيمته[3]، و عن ابن عباس رضي الله عنهما[4] أنه كناية عن اختلاط شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، و جواب "إذا" محذوف تقديره: زال تعلقه الذي كان بالدنيا و حبه لها و إعراضه عن الآخرة.

١٠ و لما صور وقت تأسفه على الدنيا و إعراضه عنها، ذكر غاية ذلك فقال مفردا النبي[5] صلى الله عليه و سلم بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم هذا حق فهمه غيره: ﴿ الى ربك ﴾ أي [6]موعد و حكم[6] المحسن إليك بارسالك و تصديقك في جميع ما بلغته عنه و نصرك على كل من ناواك[7]، لا إلى غيره ﴿ يومئذ ﴾ أي إذ وقع هذا الأمر ﴿المساق ﴾ [أي ١٥ السوق -[8]] و موضع السوق و زمانه، كل ذلك داخل في حكمه، قد

(١-١) من ظ وم، وفي الأصل: بالانفصال من (٢) من ظ وم، وفي الأصل: رنت (٣) من ظ و م، و في الأصل: هزيمة (٤) راجع البحر المحيط ٨/ ٣٩٠. (٥) من م، و في الأصل و ظ: للنبي (٦-٦) من ظ وم، وفي الأصل: الموعد والحكم بين يدي (٧) من م، وفي الأصل وظ: نواك (٨) زيد من ظ وم.

انقطعت عنه أحكام أهل الدنيا، وإما أن تسوقه الملائكة إلى سعادة بينة و إما[1] إلى شقاوة بينة، أو هو كناية عن عرضه بعد الموت على الله تعالى فلا ينفعه إذا حقق له الوعظ بالموت قوله[2]: أموت فأستريح، / ١٠٥ فانه يرجع بالموت إلى سيده، فان كان مطيعا[3] لقيه بما يرضيه، و ان كان عاصيا لقيه بما يلق[4] به العبد الآبق على قدر أباقه. ٥

و لما ذكر كراهته للآخرة[5] ذكر أن سببه إفساده ما آتاه الله من قوى العلم و العمل بتعطيلهما[6] عن الخير و استعمالهما في الشر فقال مبينا عمل العبد الموافق و الآبق، عاطفا على «يسئل ايان» الذي معناه جحد البعث: ﴿ فلا صدق ﴾ أي هذا الإنسان [الذي الكلام فيه - [7]] الرسول فيما أخبره[8] بما كان يعمل من الأعمال الخبيثة، و لا إيمانه ١٠ بالإنفاق في وجوه الخير التي ندب إليها واجبة كانت أو مسنونة، و حذف المفعول لأنه أبلغ في التعميم.

و لما ذكر أصل الدين، أتبعه فروعه دلالة على أن الكافر مخاطب بها فقال: ﴿ و لا صلّى ﴾ أي ما أمر به من فرض و غيره، فلا تمسك بحبل الخالق و لا وصل إلى حبل الخلائق على حد ما شرع له. ١٥

و لما نفى عنه أفعال الخير، أثبت له أفعال الشر فقال: ﴿ و لكن ﴾

---

(١) من ظ وم، وفي الأصل: او (٢) زيد في الأصل: او، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها.
(٤) من ظ وم، و في الأصل: يرضى (٥) من ظ، وفي الأصل وم: للدنيا.
(٦) من ظ وم، وفي الأصل: بتعظيم بما (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم، وفي الأصل: اخبر به.

أى فعل ضد[1] التصديق بأن ﴿ كذب ﴾ أى بما اتاه [من - [2]] الله ﴿ و تولّى ﴾ أى [و - [2]] فعل ضد الصلاة التى هى [صلة - [2]] بين المخلوق و الخالق، فاجتهد فى خلاف ما تدعوه اليه فطرته[3] الأولى المستقيمة من الإعراض عن الطاعة من الصلاة و غيرها حتى[3] صار [4] له ذلك[4] ديدنا، فصارت الطاعة لا تخطر له [5] بعد ذلك[5] على بال[5] لموت الفطرة الأولى و حياة النفس الأمارة بالسوء[6]، و ليس هذا بتكرار لأنه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب.

و لما كان الإصرار على هذا عظيما يبعد كل البعد أن يعمله[7] أحد فكيف بالافتخار به و التكبر[8] لأجله، اشار إليه بأداة البعد، فقال مؤذنا بأن الحال على التكذيب الكبر، و الحامل على الكبر الترف، و سبب ذلك الانقياد أولا مع الطبع فى إفساد القوتين: [9]العملية و العلمية[9] حتى نشأ عنهما هذا الخلق السيء، و هو عدم المبالاة، و لم يزل به ذلك حتى صار ملكة يفتخر به ﴿ ثم ذهب ﴾ أى هذا الإنسان بعد توليه[10] عن الحق ﴿ الى اهله ﴾ غير مفكر[11] فى عاقبة ما فعل

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فعل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل « و » (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك له (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: ببال بعد ذلك وذلك (٦) سقط من ظ وم (٧) زيد فى الأصل: كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: التكذيب (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: العلمية و العملية. (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: التولية (١١) من ظ و م، و فى الأصل: متفكر.

من التكذيب [حال كونه - [1]] ﴿ يتمطّى ﴾ أى يفتخر افتخارا بتكذيبه و إعراضه و عدم مبالاته بذلك ، من المط ، أبدل الحرف الثانى ألفا تخفيفا فصار من المطا و هو الظهر كأنه يساعده على [مد - [2]] الخطا ، أو أن المتبختر إذا مشى لوى ظهره ، و إنما فعل هذا لمرونه على المعصية بدل الاستحياء و الخجل و الانكسار . ٥

و لما كان هذا غاية الفجور ، و كان أهل الإنسان يحبونه إذا أقبل إليهم[3] لا سيما / إذا كان على هذه الحالة عند أغلب الناس ، أخبر بما هو حقيق ان يقال له فى موضع « تحية أهله » من التهديد العظيم فقال : ﴿ اولى لك ﴾ أى [4] أو لاك الله [4] ما تكره ، و دخلت اللام للتأكيد الزائد و التخصيص ، و زاد التأكيد بقوله : ﴿ فاولى ﴾ أى ابتلاك الله بداهية عقب داهية ، و أبلغ ذلك التاكيد[5] إشارة إلى أنه يستحقه على مدى الأعصار ، فقال مشيرا بأداة التراخى إلى عظيم ما ارتكب و قوة استحقاقه لهذا التأكيد : ﴿ ثم اولى لك ﴾ اى أيها الذى قد أحل نفسه بالغفلة دون محل البهائم ﴿ فاولى ﴾ أى وصلت إلى هذا الهلاك بداهية تعقبها[6] تارة متواليا وتارة متراخيا ، و بعضها أعظم من بعض ، لحقك ذلك لا محالة ، فان هذا دعاء ممن[7] بيده الأمر كله ، و يجوز أن

/ ٦٠٦

١٠

١٥

---

(١) زيد من م ، و موضعه فى ظ : مط (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اولى الله لك (٥) من ظ وم ، وفى الأصل: التمديد (٦) من ظ و م ، وم الأصل : تعقب لها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

يكون المعنى[1]: أولى لك أن تترك ما أنت عليه و تقبل على ما ينفعك ، و قال ابن جرير في تفسير المدثر[1]: إن أبا جهل لما استهزأ على جعل خزنة[2] النار تسعة عشر أوحي الله إلى النبي صلى الله عليه و سلم ان يأتيه فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول[3] له : أولى لك - إلى آخرها ،

٥ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابوجهل : و الله لا تفعل أنت و ربك شيئا ، فأخزاه [الله -[4]] يوم بدر - انتهى . و يمكن تنزيل الكلمات الأربع على حالاته[5] الأربع : الحياة ثم الموت ثم البعث ثم دخول النار ، فيكون المعنى : لك المكروه الآن وفي الموت و البعث و دخول النار . قال البغوي[6] : و كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول : إن لكل

١٠ أمة فرعونا ، و إن فرعون هذه الأمة ابو جهل . و قد أفهمت الآية أن من أصلح قوتي علمه وعمله بأن صدق بالله و ملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر و أقبل و أقام الصلاة فتبعتها[7] جميع الاعمال التي هي عمادها . فنشأ عن ذلك خلق حسن و هو الوجل مع الطاعة ، فهنالك[8] يقال له : بشرى لك فبشرى ثم بشرى [لك -[9]] فبشرى .

١٥ و لما كان هذا فعل من أعرض عن الله أصلا فلم يخطر[10] شيئا من عظمته[10] على باله ، فكان ظانا أنه مهمل لا مالك له[11] و أنه هو

---

(١) راجع ٢٩ / ٨٧ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ملائكة (٣) في م : و يقول (٤) زيد من ظ و م والتفسير (٥) من ظ وم ، و في الأصل : حالته . (٦) راجع المعالم ٧ / ١٥٦ (٧) من ظ و م ، و في الأصل : تبعتها (٨) من ظ و م ، و في الأصل : هنالك (٩) زيد من ظ وم (١٠-١٠) من ظ و م ، و في الأصل : من عظمته شيء (١١) من ظ وم ، وفي الأصل : لك .

السيد لا عبودية عليه، فلا يؤمر[١] و لا ينهى [و لا يعمل - [٢]] إلا بمقتضى شهواته، قال منكرا عليه معبرا بالحسبان الذي[٣] الحامل عليه نقص العقل: ﴿ ايحسب ﴾ أى أيجوّز لقلة عقله ﴿ الانسان ﴾ أى الذى هو عبد مربوب ضعيف عاجز محتاج بما يرى فى نفسه و أبناء جنسه.

و لما كان الحامل على الجراءة مطلق الترك هملا، لا كون الترك ٥ من معين، قال بانيا للفعول: ﴿ ان يترك ﴾ [أى يكون تركه بالكلية - [٣]] ﴿ سدى ۚ ﴾ اى مهملا لاعبا لاهيا لا يكلف و لا يجازى و لا يعرض على الملك الأعظم الذى خلقه فيسأله عن شكره فيما / أسدى إليه، فان ذلك مناف للحكمة، فانها تقتضى الأمر بالمحاسن و النهى /١٠٧ عن المساوئ و الجزاء على كل منهما، و أكثر الظالمين و المظلومين ١٠ يموتون من غير جزاء، فاقتضت الحكمة و لابد البعث للجزاء.

و لما كان الإنسان يجرى[٤] على ما [٥]فى طبعه[٥] من النقائص فيغفل عما خلق له فتتراكم عليه ظلماته فيبعد عن علم ذلك إما بجهل بالحكمة أو بجهل بالقدرة، رحمه[٦] سبحانه [٧] باعادة البرهان[٧] على المعاد بأمر يجمع [٨]القدرة و الحكمة[٨]، و ذلك أنه لا يجوز فى عقل عاقل ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فلا يامر (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يجرا (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: صنعه (٦) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالبرهان (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل، الحكمة و القدرة.

ان صانعا يصنع شيئا و يتركه ضياعا و هو حكيم أو حاكم فكيف باحكم
الحكماء و[1] الحاكمين فقال منكرا عليه ظنه أنه يهمله سبحانه مع علمه
بصنائعه[2] المحكمة [3]فيه، مقررا[3] أحوال بدايته التى لا يسوغ معها إنكار
إعادته لأنها أدل دليل على أنه لا مانع منها أصلا ، حاذفا نون الكون
٥ إعلاما بان[4] الأمر فى هذه النتيجة العظمى ضاق عن أقل شيء يمكن
الاستغناء عنه كراهية التمادى من الموعوظ على ما وعظ لأجله فيحصل
له الهلاك ، و إشارة إلى مهانة أصله و حقارته : ﴿ الم يك ﴾ أى
الإنسان ﴿ نطفة ﴾ أى شيئاً يسيرا جدا ﴿ من منى ﴾ أى ماء من
صلب الرجل و ترائب المرأة مقصود و مقدر من الله للابتلاء[5] و الاختبار
١٠ مثاله المنية التى هى الموت ﴿ تمنى ﴾ أى سبب الله للانسان المعالجة[6]
فى إخراجها بما ركب فيه من الشهوة[7] و جعل له من الروح التى يسرها
لقضاء وطره منها حتى أن وقت صبها فى الرحم [انصبت -[8]] منه[9]
بغير اختياره حتى كأنه لا فعل له [فيها -[8]] أصلا ، و لذلك بنى الفعل
لما لم يسم فاعله ، و [لما -[8]] كان تكثير تلك النطفة و تحويلها أمرا
١٥ عظيما عجيبا ، أشار إليه بأداة البعد مع إفادتها للتراخى[10] فى الزمان أيضا

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل « أو » (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بصناعه
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مقروا (٤) زيد فى الأصل : هذا ، ولم تكن الزيادة
فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للابتال (٦) من ظ و م ،
و فى الأصل : المعاجلة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل الشبه (٨) زيد من ظ
و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : منية (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل :
اداة التراخى .

فقال: ﴿ ثم كان ﴾ اى كونا محكما ﴿ علقة ﴾ اى دما أحمر عبيطا شديد الحمرة و الغلظة ﴿ فخلق ﴾ أى قدر[1] سبحانه عقب ذلك لحمه و عظامه و عصبه و [2]غير ذلك[2] من جواهره و أعراضه ﴿ فسوّٰى ﴾ اى عدل عن ذلك خلقا آخر غاية التعديل شخصا مستقلا .

و لما كان استبعادهم للقيامة إما لاستبعاد القدرة على إعادة الأجزاء[3] ٥ بعد تفرقها أو لاستبعاد القدرة على تمييز ترابها من تراب الأرض بعد الاختلاط ، و كان تمييز النطفة إلى ذكر و أنثى كافيا فى [رد - [4]] الاستبعادين قال: ﴿ فجعل ﴾ اى بسبب النطفة ﴿ منه ﴾ أى هذا الماء الدافق أو المخلوق المسوى و هما شيء واحد ﴿ الزوجين ﴾ أى القرينين[5] اللذين لا يمكن الانتفاع بأحدهما إلا بالآخر ، ثم بينهما / بقوله: ١٠ / ٦٠٨ ﴿ الذكر و الانثىٰ ﴾ و هما كما تعلمون متباينان فى الطباع مختلفان فى أوصاف الأعضاء و الآلات و المتاع[6] ، كما لم يترك[7] النطفة حتى صيرها علقة و لا ترك العلقة حتى صيرها [مضغة و لا ترك المضغة حتى صيرها - [8]] عظاما و لم يترك العظام حتى صيرها خلقا [9] آخر إلى تمام[9] الخلقة لتمام الحكمة الظاهرة و فصلها إلى ذكر و أنثى و هى [ماء - [4]] ، ١٥

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : فقدر (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : غيره.
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الجزاء (٤) زيد من ظ وم (٥) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من ظ وم ، و فى الأصل : اشاع.
(٧) زيد فى الأصل : العظام ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) زيد من هامش ظ (٩-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : تمام آخر .

تميز ما يصلح منه للذكر و ما يصلح منه للا نثى أشد[١] و اخفى من تميز تراب الميت من تراب الأرض ، فكذلك لا يترك الجسم بعد موته حتى يعيده ثم يبعثه إلى آخر ذلك لتمام الحكمة الباطنـــة و هى الجزاء و الحكم الذى [هو - [٢]] خاصة الملك .

٥ و لما تقرر من حيث إتقان[٣] الاصطناع أنه لا يجوز معه الإهمال و انقطاع النزاع ، و كان ربمـا توقف من حيث ظن عدم القدرة على ذلك بعد الموت ، قال منبها على تمام القدرة مقررا عليه منكرا على من يتوقف فيه موبخا له مرتبا على ما قام على القدرة على الإعادة من دليل القدرة الشهودى على البدايـة : ﴿ اليس ذلك ﴾[٤] أى الخالق المسوى

١٠ الإله الأعظم الذى قدر على [٥]هذه الإنشاءات[٥] و صنع هذه الصنائع المتقنة التى لا يقدر غيره عـــلى شىء منها . و أعرق فى النفى فقال : ﴿ بقٰدر ﴾ أى عظيم القدرة ﴿علىٓ ان يحى ﴾ أى كيف أراد دفعة أو فى أوقات متعاقبة ﴿ الموتىٰ ؏ ﴾ فيقيم القيامة بـل [و - [٢]] عزتـه و جلاله[٦] و عظمته و كماله [٧]إنه على[٧] كل [٨]ما يريد[٨] قدير ، و قد رجع

١٥ آخر السورة على أولها أتم رجوع ، و التأم[٩] بـــه أتم التئام ، فتمت

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و اشده (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : احكام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : كله دليلا على قوله ليس ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا الانشاء (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جلالته . (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨-٨) من ظ وم ، وفى الأصل : شىء (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الم .

معانيها أعظم تمام بجمع العظام و إيجاد القيام ليوم التغابن و الزحام - أعانا الله [فيه - [1]] بحسن الختام ، روى البغوى[2] بسنده من طريق أبى داود عن أعرابى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من قرأ منكم " و التين و الزيتون " فانتهى إلى آخرها " أليس الله بأحكم الحاكمين " فليقل : [بلى -[3]] و أنا على ذلك من ٥ الشاهدين ، و من قرأ " لا اقسم بيوم القيامة " فانتهى إلى قوله "أليس ذلك بقادر على أن يحى الموتى" فليقل : بلى ، ومن قرأ المرسلات فقرأ «فبأى حديث بعده يؤمنون» فليقل : آمنا بالله [و -[1]] رواه الترمذى و قال فى آخر القيامة « ان يحيى الموتى» : بلى و عزة ربنا . و قال الحافظ نور الدين[4] الهيثمى ١٠ فى مجمع الزوائد[5] : و روى أحمد و فيه رجلان لم أعرفهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من قرأ : و المرسلات عرفا[6] فبـاى حديث بعده يؤمنون ، و من قرأ : و التين و الزيتون[7] ، فليقل : و أنا على ذلك من الشاهدين ، و من قرأ : أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ، فليقل : بلى[8] -[9] و الله الهادى للصواب[9] .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى المعالم ١٠٦/٧ (٣)زيد من المعالم (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : نو ر (٥) راجع ١٣٢/٧ (٦) زيد فى الأصل : الى قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم والمجمع فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : الى قوله ايس الله باحكم الحاكمين ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم والمجمع فحذفناها (٨) من ظ وم والمجمع ، و فى الأصل : بلى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

٦٠٩ / سورة الإنسان[1] و تسمى هل أتى و الأمشاج و الدهر

مقصودها ترهيب الإنسان بما دل عليه آخر القيامة من العرض[2] على الملك الديان بتعذيب[3] العاصي[4] في النيران[4] و تنعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلائق [كلها - [5]] الإنس و الملائكة و الجان و غير ذلك من الحيوان ، و يكون لهم مواقف طوال و أهوال و زلزال ، لكل منها أعظم شأن ، و أدل ما فيها على ذلك الإنسان بتأمل آيته و تدبر[6] مبدئه و غايته ، و كذا[7] تسميتها بهل أتى و بالدهر و بالأمشاج من غير ميل و لا اعوجاج ﴿ بسم الله ﴾ الملك الذى خلق الخلائق لمعرفة أسمائه الحسنى ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمهم بنعمه الظاهرة فرادى[8] و مثنى ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص منهم من اختاره لوداده[9] بالنعمة الباطنة و المقام الأسنى .

لما تقدم في[10] آخر القيامة[11] التهديد على مطلق التكذيب ، و أنه

(١) السادسة و السبعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٣١ .
(٢) زيد في الأصل : الملك الجبار ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٣) من ظ وم ، وفي الأصل : من تعذيب (٤-٤) من ظ وم ، و في الأصل : بالنيران (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، و في الأصل : تدبير (٧) من م ، و في الأصل : لذا ، و في ظ : لذلك (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فرداه (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : لوارده (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : من .
(١١) زيد في الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها .

المرجع إلى الله وحده، و الإنكار على من ظن أنه يترك سدى[1]، و الاستدلال على البعث و تمام القدرة [عليه -[2]]، تلاه أول هذه بالاستفهام[3] الإنكاري على ما يقطع معه بأنه لايترك سدى، فقال مفصلا ما له سبحانه عليه من نعمة الإيجاد و الإعداد و الإمداد و الإسعاد: ﴿ هل اتى ﴾ أي بوجه من الوجوه ﴿ على الانسان ﴾ اى هذا النوع الذى شغله ٥ عما يراد به و يراد له لعظم مقداره فى نفس الأمر الأنس بنفسه، و الإعجاب بظاهر حسه، و النسيان لما بعد حلول رمسه ﴿حين من الدهر ﴾ أى مقدار محدود و إن قل من الزمان الممتد الغير المحدود حال[4] كونه ﴿ لم يكن ﴾ أى فى ذلك الحين كونا راسخا ﴿شيئا مذكوراه﴾ أى ذكرا له اعتبار ظاهر فى الملأ الأعلى و غيره حتى أنه يكون متهاونا[5] به غير ١٠ منظور إليه ليجوز أن يكون سدى بلا أمر و نهى، ثم يذهب [عدما -[2]] بالكلية، ليس الأمر كذلك، بل ما أتى عليه [6]شيء من[6] ذلك بعد خلقه إلا و هو فيه شيء مذكور، و ذلك ان الدهر هو الزمان. و الزمان هو مقدار حركة الفلك - كما نقله الرازى فى [كتاب -[2]] اللوامع فى سورة «يس» عند [7]قوله تعالى[7] «و لا الليل سابق النهار» فانه قال: الزمان ١٥ ابتداؤه من حركات السماء فان الزمان مقدار حركات الفلك - انتهى. و آدم عليه السلام تم الخلق بتمام خلقه فى آخر يوم الجمعة أول جمعة

(١) زيد فى الأصل: حاشا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاستفهام (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حالة (٥) فى م: مهاونا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: من شيء.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

كانت ، و كانت [طينته -[1]] قبل ذلك بمدة محررة هو فيها بين[2] الروح
/٦١٠ و الجسد ، قال / ابن مسعود رضى الله عنه : خلق الله آدم عليه السلام
من تراب فاقام أربعين سنة ثم من طين أربعين سنة ثم من صلصال
أربعين سنة ثم من حماء [مسنون -[1]] أربعين سنة ثم خلقه[3] بعد ستين
٥ و مائة سنة ، [و قال البغوى[4] : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثم خلقه
بعد عشرين ومائة سنه -[1]] : فحينئذ[5] ما أتى عليه زمان إلا و هو شىء مذكور
إما بالتخمير و إما [6]بتمام التصوير[6] ، فالاستفهام على بابه و هو إنكارى ،
و ليست «هل» بمعنى «قد» إلا إن قدرت قبلها الهمزة ، و كان الاستفهام
إنكاريا لينتفى مضمون الكلام ، و المراد أنه هو المراد من العالم ، فحينئذ
١٠ ما خلق الزمان إلا لأجله ، فهو أشرف[7] الخلائق ، و هذا[8] أدل دليل على[9]
بعثه للجزاء ، فهل يجوز مع ذلك أن يترك سدى فيفنى المظروف الذى
هو المقصود بالذات ، و يبقى الظرف الذى ما خلق إلا صوانا[10] له ،
و الذى يدل على ذلك من أقوال السلف أنه روى أن رجلا قرأها
عند ابن مسعود رضى الله عنه فقال : ياليت ذلك لم[11] يكن .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : علقة (٤) راجع المعالم ١٥٧/٧ (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : فحين . (٦-٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بالتصوير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اشر (٨) من ظ وم ، و فى الأصل : هو (٩) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : صونا (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : لن .

و قال

و قال الإمام ابو جعفر ابن الزبير : قوله تعالى " هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا[١] " تعريف الإنسان بحاله و ابتداء أمره ليعلم أن لاطريق له للكبر و اعتقاد السيادة لنفسه، و أن لايغلطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية و الاعتناء الإلهي و التكرمة فيعتقد أنه يستوجب ذلك و يستحقه " و ما بكم من نعمة فمن الله " و لما تقدم ٥ فى القيامة إخباره تعالى عن حال[٢] منكرى البعث عنادا و استكبارا و تعاميا عن النظر و الاعتبار " أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه " و قوله بعد " فلا صدق و لا صلى و لكن كذب و تولى ثم ذهب الى اهله يتمطى " اى يتبختر عتوا[٣] و استكبارا و مرحا[٤] و تجبرا، و تعريفه بحاله التى[٥] لو فكر فيها[٦] لما كان منه ما وصف، [و -[٧]] ذلك قوله " الم يك ١٠ نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى " اتبع ذلك بما هو أعرق فى التوبيخ و أوغل فى التعريف و هو أنه [قد -[٧]] كان لا شيء فلا نطفة و لا علقة، ثم أنعم الله عليه بنعمة الإيجاد و نقله تعالى من طور إلى طور فجعله نطفة من ماء مهين فى قرار مكين ثم كان علقة ثم مضغة إلى إخراجه[٨] و تسويته خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، فمن اعتبر ١٥ اتصافه بالعدم ثم تقلبه فى هذه الأطوار المستنكف حالها و الواضح

(١) من ظ و م، و فى الأصل : المذكور (٢) من ظ و م، و فى الأصل : اخبارا (٣) من ظ و م، و فى الأصل : علوا (٤) من ظ و م، و فى الأصل : مراحا (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الذى (٦) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل : آخره .

فناؤها و اضمحلالها، و[1] امده الله تعالى بتوفيقه[2] عرف حرمان من وصف في قوله "ثم ذهب إلى أهله يتمطى" فسبحان[3] الله ما أعظم[3] حلمه و كرمه و رفقه، [ثم -[4]] بين تعالى أن ما [5]جعله للانسان[5] من السمع و البصر ابتلاء له، و من [6]أدركه أدركه[6] الغلط و ارتكب الشطط - انتهى .

٥ * و لما ذكر مطلق خلقه، و قرر[7] أنه خلاصة الكون، شرع يذكر كيفية خلقه و يدل على ما لزم من ذلك من أنه ما خلق الخلق إلا لأجله و أنه لايجوز أن يهمل[8] فقال معلما بالحال التي هي قيد الجملة و محط الفائدة[9] أنه ما خلق إلا للآخرة، مفصلا أمر الإيجاد بالفاعل و الصورة / و المادة و الغاية و[10] أكده لإنكارهم له[10]: ﴿ انا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿خلقنا﴾

/٦١١

١٠ أى قدرنا و صورنا، و أظهر[11] و لم يضمر لأن الثاني خاص و الأول عام لآدم عليه الصلاة و السلام و جميع ولده فقال: ﴿ الانسان ﴾ أى بعد خلق آدم عليه الصلاة و السلام ﴿ من نطفة ﴾ أى مادة هي ماء يسير جـدا من الرجل و المرأة، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة، و هي المادة التي هي السبب الحامل للقوة المولدة .

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل «ثم» (٢) من ظ و م ، و في الأصل : بتوقيفه.
(٣-٣) ما بين الرقمين في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) زيد من ظ و م.
(٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : حصل الان (٦ - ٦) من ظ و م ، و في الأصل : ادرك ادرك (٧) من ظ و م ، و في الأصل : ذكر (٨) من ظ و م، و في الأصل : يهمله (٩) زيدت الواو في الاصل و ظ و لم تكن فم فحذفناها.
(١٠-١٠) من ظ و م ، و في الاصل : اكذ ذلك (١١) من ظ و م، و في الأصل : اظهرنا.

و لما كان خلقه على طبائع مختلفة و أمزجة متفاوتة أعظم لأجره إن جاهد ما يتنازعه من المختلفات بأمر ربه الذى[1] لايختلف، و كانت افعاله تابعة [لأخلاقه و أخلاقه تابعة -[2]] لجبلته قال: ﴿امشاج ﴾ [أى أخلاط -[2]] جمع مشج أومشيج مثل خدن و خدين و أخدان، و [3]خلط و خليط[3] و اخلاط، من مشجت الشيء - إذا خلطته، لأنه من منى الرجل و منى ٥ المرأة، و كل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة و الثخن و القوام و الخواص تجتمع مع الأخلاط و هى العناصر الأربعة، ماء الرجل غليظ أبيض، و ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له، و ما كان من عصب و عظم فمن نطفة الرجل، و ما كان من [4]دم و لحم[4] و شعر فمن ماء المرأة، و قال يمان[5]: كل لونين اختلطا فهو[6] أمشاج، ١٠ و قال قتادة: هى أطوار الخلق من النطفة و ما بعدهما، و كما[7] يشبه ما غلب عليه من باطن الأمشاج من [8]الطيب و الخبث[8]، و كيفية تمشيجه أن الماء إذا وصل إلى قرار الرحم اختلط بماء المرأة ثم بدم[9] الطمث و خثر حتى صار كالرائب[10] ثم احمر و حينئذ يسمى علقة، فاذا اشتد ذلك الامتزاج و قوى و تمتن حتى استعد لان يقسم فيه الأعضاء سمى[11] مضغة، فاذا ١٥

(١) من ظ وم، و فى الأصل: التى (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من ظ وم، و فى الأصل: خليط وخلط (٤-٤) فى ظ و م: لحم و دم (٥) هو أبو بشر اللغوى. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فكما. (٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل: الطين و الخشب (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بما (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: كالترايب (١١) من ظ و م، و فى الأصل: يسمى.

أفيضت عليه صور[1] الأعضاء وتقسم كساه حينئذ مفيضه عز وجل لحما، فأفاض عليه القوة العاقلة، و يسمى حينئذ جنينا، و ذلك بعد تقسيم أجزائه إلى عظام و عروق و أعصاب و اوتار و لحم، فدور الرأس و شق فى جانبيه السمع و فى مقدمه البصر و الأنف و الفم، و شق فى
٥ البدن سائر المنافذ ثم مد اليدين و الرجلين و قسم رؤسها[2] بالأصابع، و ركب الأعضاء الباطنة من القلب و المعدة [و الكبد - [3]] و الطحال و الرئة و المثانة، فسبحان من خلق تلك الأشياء من نطفة سخيفة مهينة كوّن منها العظام مع قوتها و شدتها[4] و جعلها عماد البدن و قوامه و قدرها بمقادير[5] و أشكال مختلفة، فمنها صغير و كبير، و طويل و قصير،
١٠ و عريض و مستدير، و مجوف و مصمت، و دقيق و ثخين، و لم يجعلها عظما واحدا لأن الإنسان محتاج إلى الحركة بجملة بدنه و ببعض أعضائه، ثم جعل بين تلك العظام مفاصل ثم وصلها بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم / و ألصقها بالطرف الآخر بالرباط له ثم خلق فى أحد طرفى /٦١٢ العظم زوائد خارجة، و فى الآخر حفرا[6] موافقة لشكل الزوائد لتدخل
١٥ فيها، و خلق الرأس مع كريته من خمسة و خمسين عظما مختلفة الأشكال و اللف بعضها مع بعض، فجعل فى القحف ستة و فى اللحى الأعلى أربعة عشر، و اثنان الأسفل، و الباقى فى الأسنان، و جعل [الرقبة - [3]]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: صورة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: روسها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: شل لعا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: حفر.

مركبا

مركبا للراس و ركبها من سبع خرزات فيها تجويفات [١]و زيادات[١]
و نقصانات[٢] لينطبق بعضها على بعض، و ركب الظهر من أربع وعشرين
خرزة و عظم العجز[٣] من ثلاثة أجزاء، و جعل من أسفله عظم العصعص
أو اللفة من ثلاثة أجزاء مختلفة، ثم وصل عظام الظهر بعظام[٤] الصدر
و عظام الكتف و غيرها حتى بلغ بمجموع عظام بدن الإنسان مائتى عظم[٥] ٥
و ثمانية و أربعين عظما سوى العظام التى حشى بها خلل[٦] المفاصل، و خلق[٧]
سبحانه آلات التحريك للعظام و هى العضلات و هى خمسمائة و سبع
و عشرون[٨] عضلة كل منها على قدر مخصوص و وضع مخصوص لو تغير
[عن -[٩]] ذلك أدنى تغير لاختلت مصالح البدن، و كذا الأعصاب
و الأوردة و الشرايين، ثم انظر كيف خلق الظهر أساسا للبدن و البطن ١٠
حاويا لآلات الغذاء و الرأس مجمعا للحواس، ففتح العين و رتب طبقاتها[١٠]
و أحسن شكلها و لونها و أحكمها بحيث ينطبع فى مقدار عدسة منها
صورة السماوات على عظمها، و حماها بالأجفان لتسترها و تحفظها، ثم
أودع الأذنين ماء مرا يدفع عنها الهوام و حاطها بصدفين لجمع الصوت
و رده إلى الصماخ و ليحس بدبيب الهوام و جعل فيها[١١] تعريجا لتطويل ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل : نقصان .
(٣) من ظ و م، و فى الأصل : العجم (٤) من ظ و م، و فى الأصل : بعظم .
(٥) من ظ و م، و فى الأصل : عظام (٦) من م، و فى الأصل و ظ : خلال.
(٧) زيد فى الأصل : الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل : عشرين (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل : طباقها (١١) من ظ و م، و فى الأصل : فيهما .

الطريق، فلا تصل الهوام إلى جرم الصماخ سريعا، ثم رفع الأنف فى الوجه و أودع فيه حاسة الشم للاستدلال بالروائح على الأطعمة و الأغذية و لاستنشاق الروائح الطيبة لتكون مروحة للقلب، و أودع الفم اللسان و جعله على كونه لحمة واحدة معربا[1] عما فى النفس، و زين الفم بالأسنان
٥ فحدد بعضها لتكون آلة[2] للنقب و حدد بعضها لتصلح للقطع، و جعل بعضها عريضا مفلطحا صالحا للطحن و بيض ألوانها و رتب صفوفها وسوى رؤسها و نسق ترتيبها حتى صارت كالدر المنظوم، ثم اطبق على الفم الشفتين وحسن لونهما لتحفظا منفذه[3] وهيأ الحنجرة لخروج الصوت، و خالف أشكال الحناجر فى [4]الضيق و السعة[4] و الخشونة و الملاسة و الصلابة و الرخاوة
١٠ و الطول و القصر، فاختلفت الأصوات بسببها ليميز السامع المصوّتين بسبب تميز أصواتهم فيعرفهم و إن لم يرهم، و سخر كل عضو من أعضاء الباطن لشيء مخصوص، فالمعدة لإنضاج / الغذاء، و الكبد لإحالته إلى الدم[5]، و الطحال لجذب السواد، و المرارة لجذب الصفراء، و الكلية لجذب الفضلة المائية، و المثانة لخدمة الكلية بقبول الماء عنها ثم إخراجه من طريقه،
١٥ و العروق لخدمة الكبد فى إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن، و كان مبدا ذلك كله النطفة على صغرها فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث، ولو كشف الغطاء و امتد البصر إليه لرأى التخطيط[6] و التصوير يظهر عليه

/٦١٣

(١) من ظ و م، و فى الأصل: معبرا (٢) زيد فى الأصل: و آية، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مقدرة (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: السعة و الضيق (٥) من ظ وم، وفى الأصل: الكبد. (٦) فى ظ: التخليط.

شيئا فشيئا و لا يرى المصور و لا الاله، فسبحانه ما أعظم شأنه و أبهر[1] برهانه، فيا لله العجب[2] ممن يرى نقشا حسنا على جدار فيتعجب من حسنه و حذق صانعه ثم لا يزال يستعظمه ثم ينظر إلى هذه العجائب فى نفسه و فى غيره ثم يغفل عن صانعه -[3]] و مصوره فلا تدهشه عظمته و لا يحيره جلاله و حكمته. ٥

و لما كان الإنسان مركبا من روح خفيف طاهر و بدن هو مركب[4] الحظوظ و الشهوات و اللوم و الدنيات، فكان الروح بكماله و البدن بنقصانه يتعالجان، كل منهما يريد أن يغلب صاحبه، قوى سبحانه الروح بالشرع الداعى إلى معالى الأخلاق، النـاهى عن مساويها، المبين لذلك غاية البيان على يـد إنسان طبعه سبحانه على الكمال ليقدر على ١٠ التلقى من الملائكة، فيكمل أبناء نوعه، فدل على ذلك بحال بناها من ضمير العظمة فقال مبينا للغاية: ﴿ نبتليه ﴾ أى نعامله بما لنا من العظمة بالأمر و النهى و الوعظ معاملة المختبر و نحن أعلم به منه، و لكننا فعلنا ذلك لنقيم عليه الحجة على ما يتعارفه الناس، فان العاصى لا يعلم أنه أريد منه العصيان، و كذا[5] الطائع، فصار التكليف بحسب وهمه لما ١٥ خلق[6] الله له[6] من القوة و القدرة الصالحة فى الجملة.

و لما ذكر الغاية، أتبعها الإعدادات المصححة لها فقال: ﴿ فجعلنه ﴾

(١) من ظ وم، و فى الأصل: أعز (٢) فى ظ و م: المعجب (٣) زيد من ظ وم (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم، و فى الأصل: كذلك (٦-٦) فى ظ: له تعالى، وما بين الرقمين ساقط من م.

أى بما لنا من العظمة بسبب ذلك ﴿سميعا﴾ أى بالغ السمع ﴿بصيرا ه﴾
أى عظيم البصر و [1] البصيرة ليتمكن [1] من مشاهدة [2] الدلائل ببصره
و سماع الآيات بسمعه، و معرفة الحجج ببصيرته، فيصح تكليفه و ابتلاؤه،
[3] فقدم العلة الغائية [3] لأنها متقدمة [4] فى الاستحضار [على -[5]] التابع
٥ لها المصحح لورودها، و قدم [السمع -[6]] لأنه أنفع فى المخاطبات،
و لأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، قال الرازى فى
اللوامع: و إلى هنا انتهى [7] الخبر الفطرى ثم يبتدئ منه [7] الاختيار الكسبى -
انتهى. و ذلك بنفخ الروح و هى حادثة [8] بعد حدوث [8] البدن باحداث
القادر المختار لها بعد تهيئة البدن لقبولها، ثم أفاض سبحانه [على الجملة
١٠ العقل، و جعل السمع و البصر اللتين له، و لعله خصهما لأنهما أنفع
الحواس، و لأن البصر يفهم البصيرة و هى تتضمن الجميع، و جعل
سبحانه - [5]] له ذلك لاستقراء صور المحسوسات و انتزاع العلوم
الكلية منها، و بذلك يكمل علمه الذى منه الدفع عن نفسه التى جعلها
الله تعالى محل التكليف ليكمل تكليفه/، و ذلك أنه [9] سبحانه ركبه ٦١٤/
١٥ من العناصر الأربعة، و جعل صلاحه بصلاحها، و فساده بفسادها

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: البصير لا يتمكن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مشاهدات (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: و قدم العلقة الغاية. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مقدمة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من ظ. (٧ - ٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨ - ٨) من م، و فى الاصل و ظ: بحدوث (٩) من ظ و م، و فى الاصل: ان الله.

لتعالبها، فاضطر إلى قوى يدرك بها المنافى فيجتنبه و الملائم فيطلبه، فرتب له سبحانه الحواس الخمس الظاهرة، فجعل السمع فى الأذن، و البصر فى العين، و الذوق فى اللسان، و الشم فى الأنف، و بث اللمس فى سائر البدن، ليدفع به عن جميع الأعضاء ما يؤذيها، و هذه الحواس[1] الظاهرة تنبعث[2] عن قوة باطنة تسمى الحس المشترك بحمل ٥ ما أدركته فيرتسم هناك و هو فى مقدم البطن[3] الأول من الدماغ و ينتقل ما ارتسم هنا إلى خزانه الخيال و هى فى مؤخر هذا البطن من الدماغ فتحفظ فيها صورته و إن غابت عن الحواس، و ثم قوة أخرى من شأنها إدراك المعانى الجزئية المتعلقة[4] بالمحسوسات الشخصية كعداوة زيد و صداقته تسمى الوهم و محلها الدماغ كله و الأخص [5]بها التجويف[5] الأوسط و خصوصا مؤخره، و قوة أخرى أيضا شأنها خزن ما أدركته ١٠ القوة الوهمية من المعانى الجزئية تسمى الحافظة باعتبار، و الذاكرة باعتبار، و محلها التجويف [6]المؤخر فى الدماغ[6]، و قوة أخرى من شأنها تفتيش تلك الخزائن و تركيب[7] بعض مودعاتها مع بعض و تفصيل بعضها مع بعض و محلها و سلطانها فى أول التجويف الأوسط، و تلك

---

(١) من ظ وم، و فى الأصل: الخمسة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تبعث.
(٣) من ظ وم، و فى الأصل: البطر (٤) من ظ وم، و فى الأصل: المتعلق بالقراين المخصوصة (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الاصل: بالتجويف.
(٦ - ٦) من ظ و م، وفى الأصل: و الأخرى بالدماغ (٧) من ظ و م، وفى الأصل: تأليف.

القوة[1] تسمى مخيلة باعتبار تصريف الوهم لها و[2] مفكرة باعتبار [3] استعمال النفس[3] لها ، و قد اقتضت الحكمة الربانية تقديم ما يدرك الصور الجرمية و تأخير ما يدرك المعانى الروحانية ، و توسيط المتصرف فيهما بالحكم و الاسترجاع للأمثال المنمحية من الجانبين ، ثم لا تزال هذه القوى ٥ تخدم ما فوقها[4] كما خدمتها الحواس الخمس[5] إلى أن تصير عقلا مستفادا ، و هو قوة للنفس [6] بها يكون لها[6] حضور المعقولات [بالفعل ، و هذا العقل هو غاية السلوك الطلبي للانسان و هو الرئيس المطلق المخدوم للعقل بالفعل ، و هو القوة التى تكون للنفس بها اقتدار على استحضار المعقولات ـ[7]] الثانية و هو المخدوم للعقل الهيولانى المشبه بالهيولى ١٠ الخالية فى[8] نفسها عن جميع الصور ، و هو قوة من شأنها الاستعداد المحض لدرك المعقولات باستعمال[9] الحواس فى تصفح الجزئيات و استقرائها المخدومات كلها للعقل العملى ، و هو القوة النظرية المخدوم للوهم[10] المخدوم لما بعده من الحافظة و ما قبله من المتخيلة المخدومتين للخيال المخدوم للحس المشترك المخدوم للحواس الظاهرة .

١٥ و لما كان كأنه [قيل ـ[7]] : هبه خلق هكذا فكان ما ذا ؟ قال

(١) من م ، وفى الأصل وظ : القوى (٢) زيد فى الأصل : تسمى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣ ـ ٣) من ظ وم ، و فى الأصل : بالوهم (٤) من ظ وم، وفى الأصل : فرقها (٥) سقط من ظ وم (٦-٦) من ظ وم، وفى الأصل: يكون بها (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بالاستعمال (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : للتوهم.

شفاه[1] لعيّ هذا السؤال و بيانا لنعمة الإمداد: ﴿ انا ﴾ اى بما لنا من العظمة ﴿ هدينه ﴾ أى بينا له لأجل الابتلاء ﴿ السبيل ﴾ أى الطريق الواضح الذى لا طريق فى الحقيقة غيره، و هو طريق الخير الذى من حاد عنه ضل، و ذلك بما انزلنا من الكتب و أرسلنا من الرسل و نصبنا / من الدلائل فى الأنفس و الآفاق. و جعلنا له من البصيرة ٥ /٦١٥ التى يميز بها بين الصادق و الكاذب و كلام الخلق و كلام الخالق و الحق و الباطل [2] و ما أشبهه[1].

و لما كان الإنسان عند البيان قد كان منه قسمان، و كان السياق لبيان تعظيمه[3] بأنه خلاصة الكون و المقصود من الخلق، قال بانيا حالا من ضميره فى "هديناه" مقسما له مقدما القسم الذى أتم عليه بالبيان ١٠ نعمة الهداية بخلق الإيمان، لأن ذلك أنسب بذكر تشريفه للانسان، بجعله خلاصة الوجود و بقوله «إن رحمتى سبقت غضبى» فى سياق ابتداء الخلق، معبرا باسم الفاعل[4] الخالى عن المبالغة، لأنه لا يقدر أحد أن يشكر جميع النعم، فلا يسمى شكورا[5] إلا بتفضل [من -[6]] ربه عليه: ﴿ اما شاكرا ﴾ أى لإنعام ربه عليه. ١٥

و لما كان الإنسان، لما له من النقصان، لا ينفك غالبا عن كفر ما، أتى بصيغة المبالغة تنبيها له على ذلك معرفا له أنه[7] لا يأخذه إلا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تبعا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: العظمة (٤) يسقط من ظ (٥) فى ظ: شكرا.
(٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ان.

بالتوغل[1] فيه ليعرف نعمة الحلم عنه فيحمله الخجل على [الإقبال على - [2]] من رضى منه بقليل الشكر، و يحتمل أن يفهم ذلك أنه من كفر نعمة واحدة فقد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال: ﴿ و اما كفورا ﴾ أى بليغ الكفر بالإعراض و التكذيب و عبادة الغير و المعاندة[3] ه
٥ فاحسانه غير موف و إساءته مفرطة، و بدأ بالشكر لأنه[4] الأصل، روى الشيخان[5] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[6] - الحديث، و رواه أحمد بن منيع عن ابن عباس رضى الله عنهما، و رواه[7] الإمام أحمد[8] عن جابر رضى الله عنه و لفظه: كل مولود يولد على
١٠ الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا و إما كفورا - رواه الإمام أحمد أيضا و أبو يعلى[9] عن الأسود بن سريع رضى الله عنه.

و لما قسمهم إلى القسمين[10]، ذكر[11] جزاء كل قسم فقال مستأنفا جواب من يسأل عن ذلك مبشرا للشاكر الذى استعد بعروجه فى مراقى العبادات إلى ملكوت العلويات لروح و ريحان و جنة نعيم، و منذرا

(١) من ظ، و فى الأصل: بالتقول، و فى م: بالتغول (٢) زيد من ظ و م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاعادة و المعادة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لاصل - كذا (٥) و للحديث من الشهرة ما يغنينا عن التعليق عليه.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: يمسحانه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: روى.
(٨) راجع المسند ٣/ ٣٥٣، و فيه بعض الزيادة (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ابو يحيى (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: قسمين (١١) من ظ و م، و فى الأصل: بين.

للكافر الذى استعد بالهبوط فى دركات المخالفات إلى التقيد بالسفليات لنزل من حميم و تصلية جحيم، مقدما للعاصى لأن طريق النشر المشوش أفصح، و ليعادل البداءة بالشاكر فى أصل التقسيم ليتعادل الخوف والرجاء، و ليكون الشاكر أولا و آخرا، و لأن الانقياد بالوعيد أتم لأنه أدل على القدرة لاسيما فى حق أهل الجاهلية الذين بعدت عنهم معرفة ٥ التكاليف الشرعية، و أكثر فى القرآن العظيم من الدعاء بالترغيب و الترهيب لأنه الذى يفهمه الجهال الذين هم أغلبية / الناس دون الحجج /٦١٦ و البراهين، فانها لا يفهمها إلا الخواص، و أكد لأجل تكذيب الكفار[1]: ﴿ انا ﴾ اى على ما لنا من العظمة ﴿ اعتدنا ﴾ اى هيأنا و أحضرنا بشدة و غلظة ﴿ للكفرين ﴾ اى العريقين فى الكفر خاصة، ١٠ و قدم الأسهل فى العذاب فالأسهل ترقيا فقال: ﴿ سلسلا ﴾[2] يقادون و يرتقون[3] بها، و قراءة من نوّن مشيرة إلى أنها عظيمة جدا، و كذا وقف أبى عمرو عليه بالألف مع المنع من الصرف ﴿ و اغللا ﴾ أى جوامع تجمع أيديهم إلى أعناقهم فيها فيهانون[4] بها ﴿ و سعيرا ﴾ أى نارا حامية[5] جدا شديدة الاتقاد. ١٥

و لما أوجز فى جزاء الكافر، أتبعه جزاء الشاكر و أطنب فيه

---

(١) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل و ظ: الى و، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل: يوقعون، و فى ظ: يتاقون (٤) فى ظ: يهانون (٥) زيد فى الأصل و ظ: شديدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

تاكيدا للترغيب، فان النفوس بعد كسر الوعيد لها تهتز[1] لأدنى وعد و أقله فكيف بأتمه و أجله. فقال مستأنفا مؤكدا لتكذيب[2] الكافر مبينا بذكر الجزاء على هذه الصفة أنهم فى أنهى ما يكون من رغد العيش لانه يلزم[3] من شربها جميـــع مقدماتها و متمماتها: ﴿ ان الابرار ﴾ ٥ بخصوصهم من عموم الشاكرين جمع بر كأرباب جمع رب، او بار كأشهاد جمع شاهد، و هم الذين سمت هممهم عن المستحقرات فظهرت[4] فى قلوبهم ينابيع[5] الحكمة فأنفوا من مساكنة الدنيا ﴿ يشربون ﴾ أى ما يريدون شربـــه ﴿ من كاس ﴾ أى خمر - قاله الحسن و هو[6] اسم لقدح تكون فيه[7] ﴿ كان مزاجها ﴾ أى الذى[8] تمزج به ﴿ كافورا ﴾ ١٠ أى لبرده[9] و عذوبته و طيب عرفه، و ذكر فعل الكون يدل على أن[10] له شأنا[11] فى المزج عظيما[12] يكون فيه كأنه من نفس الجبلة لا كما يعهد.

و لما كان الكافور [أعلى - ١٣] ما نعهده جامدا، بين أنه هناك ليس كذلك، فقال مبدلا من « كافورا »: ﴿ عينا يشرب بها ﴾ أى بمزاجها[14]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يتمنى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لتاكيد.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: لا يلزم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فظهر.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: ينابع (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هم.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: التى.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: كبرده (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: انه.
(١١) من ظ و م، و فى الأصل: شان (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: عظم (١٣) زيد من ظ و م (١٤) من م، و فى الأصل: بمزجها، و فى ظ: بمازجها.

كما تقول: شربت الماء بالعسل ﴿ عباد الله ﴾ أى خواص الملك الأعظم و أولياؤه أى شراب أرادوه[1].

و لما كان المزاج[2] يتكلف لنقله[3] قال: ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ أى حال كونهم يشققونها و يجرونها بغاية الكثرة إجراء حيث أرادوا من مساكنهم و إن علت و غيرها. ٥

و لما ذكر جزاءهم على برهم المبين لشكرهم، أتبعه تفصيله فقال[4] مستأنفا بيانا لأن شكرهم بالتعظيم لأمر الله و الشفقة على خلق الله و عمارة الظاهر و الباطن لأنهم جمعوا بين كرم الطبع و لطافة المزاج الحامل على تجويز الممكن المقتضى للايمان بالغيب: ﴿ يوفون ﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿ بالنذر ﴾ و هذا[5] كناية عن وفائهم بجميع أنحاء العبادة ١٠ لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان بما أوجبه الله من غير واسطة أوفى، و يجوز أن يكون النذر كل ما تقدم إليهم فيه سبحانه.

و لما[6] دل وفاؤهم على سلامة طباعهم، قال عاطفا دلالة على جمعهم الأمرين المتعاطفين فهم يفعلون الوفاء لا لأجل الخوف بل لكرم الطبع: ﴿ و يخافون ﴾ أى مع فعلهم للواجبات ﴿ يوما كان ﴾ أى كونا هو فى ١٥

(١) فى ظ و م: أرادوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المزج (٣) من ظ و م، و فى الأصل: نقله (٤) زيد فى الأصل: أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٦) زيد فى الأصل: كان قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

جبلته ﴿ شره ﴾ أى ما فيه من الشدائد ﴿ مستطيراه ﴾ أى موجود الطيران وجودا كأنه بغاية الرغبة فيه فهو فى غاية الانتشار. و الخوف أدل دليل على عمارة الباطن ، قالوا : و ما فارق الخوف قلبا إلا خرب ، من خاف أدلج ، و من أدلج بلغ المنزل ، فالخوف لاجتناب الشر و الوفاء

٥ لاجتلاب[1] الخير .

و لما كان من خاف شيئا سعى فى الأمن منه بكل[2] ما عساه ينفع [فيه -[3]] ، و كان قد ذكر تدرعهم[4] بالواجب ، أتبعه المندوب دلالة على أنهم لا ركون لهم إلى الدنيا و لا وثوق[5] بها ، فقد جمعوا إلى كرم الطبع بالوفاء و رقة القلب شرف النفس بالانسلاخ من الفانى فقال :

١٠ ﴿ و يطعمون الطعام ﴾ أى على حسب ما يتيسر لهم من عال و دون على الدوام . و لما كان الإنسان قد يسمح بما لا يلذ له قال : ﴿ على حبه ﴾ أى حبه إياه حبا هو فى غاية المكنة [منهم -[3]] و الاستعلاء على قلوبهم لقلته و شهوتهم [له - [3]] و حاجتهم إليه كما قال تعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" ليفهم أنهم للفضل أشد بذلا ، و لهذا قال

١٥ صلى الله عليه و سلم[6] «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم - أى الصحابة رضى الله عنهم - و لا نصيفه» لقلة الموجود إذ ذاك و كثرته[7]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لاجتناب (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : من كل (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تراعهم (٥) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع مسند الإمام أحمد ١١/٢ (٧) من ظ ، و فى الأصل : اكثرهم ، و فى م : اكثره.

بعد

بعد ﴿ مسكينا ﴾ اى محتاجا احتياجا يسيرا، فصاحب الاحتياج الكثير أولى ﴿و يتيما﴾ أى صغيرا لا أب له ذكرا كان أو أنثى ﴿و اسيرا﴾ اى فى ايدى[1] الكفار أى أعم من ذلك، فيدخل فيه المملوك و المسجون و الكافر الذى فى أيدى المسلمين، و قد نقل فى غزوة بدر أن بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يؤثر أسيره على نفسه بالخبز[2]، و كان الخبز ٥ إذ ذاك عزيزا حتى كان [ذلك - [3]] الأسير يعجب من مكارمهم[4] حتى كان ذلك مما دعاه إلى الإسلام، و ذلك لأن[5] النبى صلى الله عليه و سلم لما دفعهم إليهم قال: استوصوا بهم خيرا. و من حكم الأسير الحقيق كل مضرور[6]، يعملون ذلك و الحال أنهم يقولون بلسان الحال أو القال[7] إن احتيج إليه إزاحة لتوهم المن أو توقع[8] المكافأة مؤكدين إشارة إلى أن ١٠ الإخلاص امر عزيز لايكاد احد يصدق أنه يتأتى لأحد: ﴿انما نطعمكم﴾ أى أيها المحتاجون ﴿لوجه الله﴾ أى لذات الملك الذى استجمع الجلال و الإكرام لكونه أمرنا[9] بذلك، و عبر به لأن الوجه[10] يستحى منه و رجى و يخشى عند رؤيته.

و لما اثبتوا بهذا الإخلاص، حققوه بنفى / ما يغير فيه، و فسروه ١٥ / ٦١٨

---

(١) من ظ، و فى الأصل و م: يد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى الخبز.
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: مكارمه (٥) من ظ، و فى الأصل و م: أن.
(٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) فى ظ و م: المقال (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يتوقع (٩) من ظ، و فى الاصل و م: آمرا (١٠) زيد فى م: الذى.

بما لا يكون إلا به فقالوا : ﴿لا نريد منكم﴾ اى لأجل ذلك ﴿جزآء﴾ اى لنا من أعراض الدنيا ﴿ولا شكورا ﴾ بشيء من قول[1] ولا فعل، وكأنه اختير هذا المصدر [المزيد -[2]] كالدخول و الخروج و القعود إيماءا إلى أن المنفى ما يتكلف له، و أما مثل المحبة و الدعاء فلا، و لو ارادوا

٥ شيئا من ذلك لما كان لله؛ و روى[3] فى سبب نزول هذه الآية أن عليا و ابنيه و امهما فاطمة رضى الله عنهم أجمعين آثروا على أنفسهم ثلاثة أيام، و أصبحوا الرابع يرتعشون، فلما رآهم النبى صلى الله عليه و سلم ساءه ذلك، فأتاه جبريل عليه الصلاة و السلام بهذه السورة مهنئا[4] له بها، ولا يستبعد الصبر على الجوع هذه المدة لأنه ربما كانت للنفس هيئة قوية

١٠ من استغراق فى محبة الله تعالى أو غير ذلك، فهبطت إلى البدن فشغلت الطبيعة عن تحليل الأجزاء فلا يحصل الجوع كما أنا نشاهد الإنسان يبقى فى المرض الحاد مدة من غير تناول شيء من غذاء و لا يتأثر بدنه لذلك، فلا بدع أن [تقف -[2]] الأفعال الطبيعية فى حق بعض السالكين و هو أحد القولين فى قول النبى صلى الله عليه و سلم « إنى أبيت عند ربى

١٥ يطعمنى ويسقينى »

و لما كانت الأنفس مجبولة على حب الجزاء و الثناء، فكان لا يكاد يصدق أحد أن أحدا[5] يفعل ما لا يقصد[6] به شيئا من ذلك، [7]وكان[8]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : القول (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع أيضا المعالم ٧/ ١٥٩ (٤) فى ظ : مرسلا (٥) من ظ و م، و فى الأصل : احد (٦) من ظ و م، و فى الأصل : يصدق (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : فكان .

الله سبحانه و تعالى قد من علينا بأن جعل العبادة لأجل خوفه و رجائه لا يقدح[1] فى الإخلاص[1]، عللوا قولهم هذا على وجه التأكيد بقولهم: ﴿انا نخاف﴾ و لما كان الخوف من المحسن بالنظر إلى إحسانه موجبا للخوف منه بالنظر إلى عزه و جبروته و سلطانه من باب الأولى قالوا: ﴿من ربنا﴾ أى الخالق لنا [المحسن إلينا -[2]] ﴿يوما﴾ أى أهوال ٥ يوم [هو -[2]] فى غاية العظمة، و بينوا عظمته بقولهم: ﴿عبوسا﴾ أى ضيقا - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[3]، نسبوا العبوس إليه لأنه فى شدته كالأسد الغضوب، فهو موجب لعبوس الوجوه فيه أو [هو -[2]] لعبوسة أهله كـ« ليله قائم و نهاره صائم و عيشة راضية» ﴿قمطريرا﴾ أى طويلا - قاله ابن عباس[3] رضى الله عنهما، أو شديد [4]العبوس بجتمع[4] الشر ١٠ كالذى يجمع [ما -[5]] بين عينيه - مأخوذ من القطر لأن يومه يكون عابسا، و زيد فيه الميم و بولغ فيه بالصيغة، و هو يوم القيامة، يقال: اقمطر اليوم فهو مقمطر - إذا كان صعبا شديدا.

و لما كان فعلهم هذا خالصا لله، سبب عنه[6] جزاءهم فقال مخبرا أنه دفع عنهم المضار و جلب لهم المسار: ﴿فوقهم الله﴾ أى الملك ١٥ الأعظم [7]بسبب خوفهم[7] ﴿شر ذلك اليوم﴾ أى العظيم، و أشار إلى نعيم[8] الظاهر بقوله: / ﴿و لقهم﴾ أى تلقية عظيمة فيه و فى غيره ﴿نضرة﴾ / ١١٩

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الاخلاق (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع الدر المنثور ٦ / ٢٩٩ (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: العبوسة بجمع (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عنهم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: تعميم.

أى حسنا و نعمة تظهر على وجوههم و عيشا هنيئا ، و إلى نعيم الباطن بقوله :
﴿ و سرورا ﴾ أى دائما فى قلوبهم فى مقابلة خوفهم فى الدنيا
و عبوس الكفار فى الآخرة و خزيهم ـ و هذا يدل على أن وصف
اليوم بالعبوس[1] للدلالة على المبالغة فى عبوس أهله ، و أشار إلى
٥ المسكن بقوله : ﴿ و جزٰيهم بما صبروا ﴾ أى بسبب ما أوجدوه من الصبر
على العبادة من لزوم الطاعة و اجتناب المعصية و منع أنفسهم الطيبات
و بذل المحبوبات ﴿ جنة ﴾ أى بستانا جامعا يأكلون منه ما يشتهون جزاء
على ما كانوا يطعمون . و لما ذكر ما يكسو الباطن ، ذكر ما يكسو الظاهر
فقال : ﴿ و حريرا ﴾ أى هو فى غاية العظمة .

١٠ و لما ذكر أنه كفاهم المخوف و حباهم الجنة ، أتبعه حالهم فيها و حالها[2]
فقال دالا على راحتهم الدائمة : ﴿ متكئين فيها ﴾ أى [الآن ـ[3]] كل
ما أرادوه حضر إليهم[4] من غير حاجة إلى حركة أصلا ، و دل على الملك
بقوله : ﴿ على الارآئك ﴾ اى الأسرة العالية التى فى الحجال ، لا تكون
أريكة إلا مع وجود الحجلة ، [و ـ[5]] قال بعضهم : هى السرير المنجد
١٥ فى قبة عليه[6] شواره و نجده اى متاعه ، و هى مشيرة إلى الزوجات لأن
العادة جارية بأن الأرائك لا تخلو عنهن بل هى لهن[7] لاستمتاع الأزواج
بهن فيها . و لما كانت بيوت الدنيا و بساتينها تحتاج إلى الانتقال منها

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعبوسة (٢) زيد فى الأصل : معهم ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : فيها ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، و فى
الأصل : عالية (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ممن .

من موضع إلى موضع لأجل الحر أو[1] البرد، بين ان جميع ارض الجنة و غرفها سواء فى لذه العيش و سبوغ الظل و اعتدال الأمر، فقال نافيا ضر الحر ثم البرد: ﴿ لا يرون فيها ﴾ أى بأبصارهم و لابصائرهم أصلا ﴿ شمسا ﴾ أى و لا قمرا ﴿ و لا ﴾ أى و[2] لا يرون فيها ايضا[2] ببصائرهم أى لايحسون[3] بما يسمى[3] ﴿ زمهريرا ﴾ أى بردا شديدا مزعجا ٥ و لا حرا، فالآية من الاحتباك: دل بنفى الشمس أولا على نفى القمر، لأن ظهوره بها[3] لأن نوره اكتساب من نور الشمس[3]، و دل بنفى الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس، فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين، لأنها نيرة بذاتها و أهلها غير محتاجين إلى معرفة زمان لأنه لاتكليف فيها بوجه، و أنها ظليلة و معتدلة دائما ١٠ لأن سبب الحر الآن[4] قرب الشمس من مسامتة[5] الرؤس، و سبب البرد بعدها عن ذلك.

و لما كانت ترجمة هذا كما مضى: جنة ظليلة و معتدلة، عطف عليه بالواو دلالة على تمكن هذا الوصف و على اجتماعه مع ما قبله قوله[6]: ﴿ و دانية ﴾ أى قريبة من الارتفاع ﴿ عليهم ظللها ﴾ من غير أن ١٥ يحصل منها ما يزيل الاعتدال ﴿ و ذللت قطوفها ﴾ جمع قطف بالكسر

(١) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٢) سقط من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) وقع فى الأصل قبل « سبب الحر » و الترتيب من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مسانه (٦) وقع فى الأصل قبل « بالواو دلالة » و الترتيب من ظ و م.

/ ٦٢٠ و هو العنقود / و اسم للثمار المقطوفة اى المجنية ﴿ تذليلاً ﴾ اى سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد عنها بعد و لا شوك لكل من يريد أخذها على أى حالة كان[1] من اتكاء و غيره، فان كانوا قعودا تدلت إليهم[2]، و إن كانوا قياما [و - [3]] كانت على الأرض ارتقت[4] إليهم، و هذا ٥ جزاء لهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لأمر الله .

و لما كان الدوران بالآنية متجددا، عبر فيه بالمضارع، و بناه للمفعول أيضا لأنه المقصود مطلقا من غير تعيين طائف فقال: ﴿ و يطاف ﴾ أى من أيّ طائف كان لكثرة[5] الخدم ﴿ عليهم بانية ﴾ جمع إناء جزاء على طوافهم على المحتاجين بما يصلحهم .

١٠ و لما كان [6]مقصود هذه السورة[6] ترهيب الإنسان الموبخ فى سورة القيامة من الكفر، و كان الإنسان أدنى أسنان المخاطبين فى مراتب الخطاب، اقتصر فى الترغيب فى شرف الآنية على الفضة دون الذهب المذكور فى فاطر و الحج المعبر فيهما بالناس، فلعل هذا لصنف[7] [و ذاك لنصف - [3]] أعلى منه[8] مع إمكان الجمع و المعاقبة، و أما من ١٥ هو أعلى من هذين الصنفين من الذين آمنوا و من فوقهم فلهم فوق هذين الجوهرين من الجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت و لا خطر على

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كانت (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عليهم. (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: ارتفعت (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من أكثر (٦-٦) فى م: مقصودها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: النصف. (٨) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

قلب بشر فقال: ﴿ من فضة ﴾ اى اسمه ذلك، و اما الحقيقة فأين الثريا من يد المتناول.

و لما جمع الآنية خص فقال: ﴿ و اكواب ﴾ جمع كوب و هو كوز لاعروة له، فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول إلى إدارة ﴿ كانت ﴾ أى تلك الأكواب كونا هو من جبلتها ﴿ قواريرا ﴾ ٥ أى كانت بصفة القوارير من الصفاء و الرقة و الشفوف و الإشراق و الزهارة[1]، جمع قارورة و هى ما قر فيه الشراب و نحوه من كل إناء رقيق صاف، و قيل: هو خاص بالزجاج.

و لما كان هذا رأس آية، و كان التعبير بالقارورة ربما أفهم[2] أو أوهم[2] انها من الزجاج. و كان فى الزجاج من النقص سرعة الانكسار لإفراط ١٠ الصلابة، قال معيدا للفظ أول الآية الثانية، تأكيدا للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج و بيانا لنوعها: ﴿قواريرا من فضة ﴾ أى جمعت صفتى الجوهرين المتباينين: صفاء الزجاج [و شفوفه -[3]] و بريقه و بياض الفضة و شرفها و لينها، و قراءة من نوّن الاثنين صارفا ما من حقه المنع مشيرة إلى عظمتها و امتداد [4] كثرتها و علوها[4] فى الفضل و الشرف، ١٥ و قراءة ابن كثير فى الاقتصار على تنوين الأول للتنبيه على انه رأس آية و الثانى أول[5] التى بعدها مع إفهام العظمة لأن الثانى إعادة للأول لما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الزهاوة (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: اراهم (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: علوها و كثرتها.
(٥) زيد فى الأصل: الآية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

تقدم من الإفادة، فكأنه منون، و وقف أبو عمرو[1] على الأول بالألف مع المنع من الصرف لأن ذلك كاف فى الدلالة على أنه [2]رأس آية[2].

/٦٢١ و لما كان / الإنسان لايحب أن يكون الإناء و لاما فيه من مأكول او مشروب زايدا عن حاجته و لاناقصا عنها قال: ﴿قدروها﴾ اى فى ٥ الذات و الصفات ﴿تقديرا ه﴾ أى على مقادير الاحتياج من غير زيادة و لانقص لأن ما[3] أراد كل منهم كان، لا كلفة و لا كدر و لانقص.

و لما ذكر الأكواب، أتبعها غايتها فقال تخصيصا بالعطف على ما تقديره: يسقون فيها[4] ما تشتهى أنفسهم و تلذ أعينهم: ﴿و يسقون﴾ ممن أرادوه من خدمهم الذين لايحصون كثرة ﴿فيها﴾ أى الجنة أو[5] تلك ١٠ الأكواب ﴿كاسا﴾ أى خمرا فى إناء ﴿كان مزاجها﴾ على غاية الإحكام ﴿زنجبيلا ۚ﴾ هو فى غاية اللذة؛ و كانت العرب تستلذ الشراب الممزوج [به -[6]] لهضمه و تطييبه الطعم و النكهة.

و لما كان الزنجبيل عندنا شجرا يحتاج فى تناوله إلى علاج، أبان[7] أنه هناك عين لايحتاج فى صيرورته زنجبيلا إلى أن تحيله الأرض بتخميره ١٥ فيها حتى يصير شجرا ليتحول عن طعم الماء إلى طعم الزنجبيل خرقا للعوائد

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: أبى عمرو (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: رايه (٣) زيد فى الأصل: كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و م، و فى الأصل « و » (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: اقاد.

فقال: ﴿عينا فيها﴾ اى[1] الجنة يمزج فيها شرابهم كما يمزج بالماء.

و لما كان الزنجبيل يلذع[2] الحاق فتصعب إساغته قال: ﴿تسمّى﴾ [أى -[3]] لسهولة إساغتها و لذة طعمها و سمو وصفها[4] ﴿سلسبيلا﴾ و السلسبيل و السلسل و السلسال ما كان من الشراب [5]غاية فى السلاسة[5]، زيدت فيه[6] الباء دلالة على المبالغة فى هذا المعنى، قالوا: و شراب الجنة ٥ فى برد الكافور و طعم الزنجبيل و ريح المسك من غير لذع.

و لما ذكر المطوف به لأنه الغاية المقصودة، وصف الطائف لما فى طوافه من العظمة المشهودة تصويرا لما هم فيه من الملك بعد ما نجوا منه من الهلك[7]: ﴿و يطوف عليهم﴾ اى بالشراب و غيره من الملاذ و المحاب ﴿ولدان﴾ اى غلمان هم فى سن[8] من هو دون البلوغ ١٠ «أقل أهل الجنة من يخدمه[9] ألف غلام» ﴿مخلدون﴾ اى قد حكم من لا رد حكمه بأن يكونوا كذلك [دائما -[3]] من غير غلة و لا ارتفاع عن ذلك الحد مع أنهم مزينون بالخلد و هو الحلق و الأساور و القرطة و الملابس الحسنة ﴿اذا رأيتهم﴾ أى يا أعلى الخلق صلى الله عليه وسلم و أنت أثبت الناس نظرا أو[10] أيها الرائى من كان فى أى حالة رأيتهم ١٥

(١) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: طبعها و وضعها. (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى غاية اسلامة (٦) من ظ، و فى الأصل و م: فيها (٧) من م؛ و فى الأصل و ظ: الهلاك (٨) من ظ و م، و فى الأصل: سنن (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الخدمة (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: لو.

فيها ﴿حسبتهم﴾ من بياضهم و صفاء ألوانهم و لمع انوارهم[1] و انعكاس شعاع بعضهم إلى بعض و انبثاثهم فى المجالس ذهابا و إيابا ﴿ لؤلؤا منثورا ﴾ و ذلك كناية عن كثرتهم و انتشارهم فى الخدمة و شرفهم و حسنهم؛ و عن [بعضهم] أن لؤلؤ الجنة فى غاية الكبر و العظمة و اختلاف

٥ الأشكال، و كأنه عبر بالحسبان إشارة إلى أن ذلك مطلق[2] تجويز لا مع ترجيح ، قال بعض المفسرين : هم غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين / ، و قال بعضهم : هم أطفال المشركين[3] لأنهم ماتوا على الفطرة ، و قال ابن برجان : [و -[4]] أرى و الله أعلم [أنهم -[4]] من علم الله سبحانه و تعالى إيمانه من أولاد الكفار يكونون خدما لأهل الجنة كما كانوا لهم فى الدنيا

١٠ سبيا و خداما ، و أما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم سنا و ملكا سرورا لهم ، و يؤيد هذا قوله صلى الله عليه و سلم فى ابنه إبراهيم عليه الصلاة و السلام «إن له لظئرا يتم رضاعه فى الجنة» فانه يدل على استقبال شأنه فيما هنالك و تنقله فى الأحوال كالدنيا ، و لا دليل على خصوصيته بذلك .

١٥ و لما ذكر المخدوم و الخدم، [5]شرع فى[5] ذكر المكان فقال: ﴿و اذا رأيت﴾ أى أجلت بصرك ، و حذف مفعوله ليشيع و يعم ﴿ ثَمَّ ﴾ أى هناك فى أى مكان كان و أى شىء كان ﴿ رأيت نعيما ﴾ اى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه . و لما كان النعيم قد يكون فى حالة وسطى قال:

٦٢٢ /

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : انواعهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مطلع (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : المؤمنين (٤) زيد من ظ و م . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

﴿ و ملكا كبيرا ه ﴾ أى لم يخطر [على بال- [1]] مما هو فيه من السعة و كثرة الموجود و العظمة أدناهم و ما [2] فيهم دنى الذى ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه و مهما أراده كان .

و لما ذكر الدار وسا كنيها من مخدوم و خدم ، ذكر لباسهم بانيا حالا [3] من الفاعل و المفعول: ﴿ عليهم ﴾ أى حال كون الخادم و المخدوم ٥ [4] يعلو أجسامهم [4] على سبيل الدوام . و سكن نافع و حمزة الياء على أنه مبتدأ و خبر شارح للملك على سبيل الاستئناف ﴿ ثياب سندس ﴾ و هو ما رق من الحرير ﴿ خضر ﴾ رفعه الجماعة صفة لثياب ، و جره ابن كثير و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم صفة لسندس حملا على المعنى فانه اسم جنس ﴿ و استبرق ز ﴾ و هو ما غلظ من الديباج يعمل بالذهب، ١٠ او هو ثياب حرير صفاق نحو الديباج - قاله فى القاموس [5]، رفعه ابن كثير و نافع و عاصم نسقا على ثياب ، و جره الباقون على سندس .

و لما كان المقصود لأرباب اللباس الفاخر الحلية، أخبر عن تحليتهم، و بنى الفعل للفعول دلالة على تيسر ذلك لهم و سهولته عليهم فقال: ﴿ و حلوآ ﴾ أى وجدت تحلية المخدومين و الخدم ﴿ اساور من فضة ج ﴾ ١٥ و إن كانت تتفاوت بتفاوت الرتب ، و تقدم سر تخصيص هذه السورة بالفضة و الأساورة بجمع [6] ما فيها من لذة الزينة لذة اتساع الملك فانها

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حالهم (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حسامهم (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بجميع .

كناية عنه فانه - كما قال الملوى - كان فى الزمن [القديم - [1]] إذا ملك
ملك أقاليم عظيمة كثيرة لبس سوارا و سمى الملك المسور لاتساع مملكته
و عظمتها و كثرة أقاليمها، و إن لم تجمع أقاليم لم يسور فما ظنك بمن
أعطى من ذلك جمع الكثرة، و هى بالغة من الأعضاء ما يبلغه التحجيل
٥ فى الوضوء كما قال صلى الله عليه و سلم «تبلغ الحلية من المؤمن حيث
يبلغ الوضوء» فلذا كان أبو هريرة رضى الله عنه يرفع الماء[2] إلى المنكبين
و إلى الساقين .

٦٢٣ / و لما كان / ربما ظن بما تقدم من ذلك الممزوج شيء من نقص
لأجله يمزج كما هو فى الدنيا، و كان قد قال أولا "يشربون" بالبناء
١٠ للفاعل، و ثانيا «يسقون» بالبناء للمفعول، قال بانيا للفاعل بيانا لفضل ما
يسقونه فى نفسه و فى كونه من عند الإله الأعظم المتصف بغاية الإحسان
على[3] صفة من العظمة تليق باحسانه سبحانه بما أفاده إسناد[4] الفعل إليه:
﴿ و سقىٰهم ﴾ و عبر بصفه الإحسان تأكيدا [لذلك - [1]] فقال:
﴿ ربهم ﴾ أى الموجد لهم المحسن إليهم المدبر لمصالحهم ﴿ شرابا طهورا ه ﴾
١٥ أى ليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر أو من الماء أو[5] من
غيرهما، بل هو بالغ الطهارة و الوصف بالشرابية من العذوبة و اللذة
و اللطافة، و هو مع ذلك آلة للتطهير البالغ للغير فلايبقى [6]فى بواطنهم[6]

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: غير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اسناده (٥) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٦-٦) فى ظ: ببواطنهم.

غش و لا وسواس، و لا يريدون إلا ما يرضى مليكهم مما أسس[1] على غاية الحكمة وفاق كامل و سجايا مطهرة و أخلاق مصطفاة لا عوج فيها، و لا يستحيل شيء من شرابهم إلى نجاسة من بول و لا غيره، بل يصير رشحا كرشح المسك و يعطى الرجل شهوة مائة رجل فى الأكل و غيره، فاذا أكل شرب فطهر باطنه و رشح منه المسك فعادت الشهوة، بل الحديث يدل على ٥ أن شهوتهم لا تنقضى أصلا فانه قال: «يجد لآخر لقمة من اللذة ما يجد لأولها» يفعل [بهم -[2]] هذا سبحانه قائلا لهم مؤكدا تسكينا لقلوبهم لئلا يظنوا أن ما هم فيه على وجه الضيافة و نحوها فيظنوا انقطاعه ﴿ان هذا﴾ أى الذى تقدم من الثواب كله ﴿كان﴾ أى كونا ثابتا ﴿لكم﴾ بتكوينى إياه من قبل موتكم ﴿جزاء﴾ أى على أعمالكم التى كنتم تجاهدون ١٠ فيها أنفسكم عن هواها إلى ما يرضى ربكم فكنتم كلما عملتم عملا كونت من هذا ما هو جزاء له ﴿و كان﴾ أى على وجه الثبات ﴿سعيكم﴾ و لما كان المقصود القبول لأن القابل الشاكر هو المعمول له، بنى للمفعول قوله: ﴿مشكورا ﴿٢٢﴾﴾ أى لا يضيع شيئا[3] منه و[4] يجازى بأكثر منه أضعافا مضاعفة . ١٥

و لما ذكر أنه بين للناس السبيل فانقسموا[5] إلى مبصر شاكر[6] وأعمى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شيء (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فانقلبوا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: شاكرا.

كافور[1]، و اتبعه جزاء الكافرين و الشاكرين، و ختمه بالشراب الطهور الذى من شأنه أن يحيي ميت[2] الأراضى كما أن العلم الذى منبعه القرآن يحيي ميت القلوب، و سكن القلوب بتأبيد الجزاء، و ختم الكلام بالشكر كما بدأه به، و كان نصب ما يهدى جميع الناس أمرا لايكاد يصدق، قال ذاكرا لما شرف[3] به النبى صلى الله عليه و سلم فى الدنيا قبل الآخرة، و جعل الشراب الطهور جزاء [له -[4]] لما بينهما من المناسبة على سبيل التأكيد، و أكده ثانيا بما أفاد التخصيص لما لهم من الإنكار و لتطمئن أنفس أتباعه بما حث عليه من الصبر إلى وقت الإذن / فى القتال: ﴿انا نحن﴾ أى على ما لنا من العظمة التى لا نهاية لها، لاغيرنا ﴿نزلنا عليك﴾ و انت أعظم الخلق إنزالا [استعلى -[4]] حتى صار المنزل خلقا لك ﴿القرآن﴾ أى الجامع لكل هدى، الحافظ من الزيغ، كما يحفظ الطب للصحيح صحة المزاج، الشافى لما عساه يحصل من الأدواء بما يهدى إليه من العلم و العمل، و زاد فى التأكيد لعظيم إنكارهم فقال: ﴿تنزيلا ؏﴾ أى على التدريج بالحكمة جوابا للسائل و رفقا بالعباد[5] فدرجهم فى وظائف الدين تدريجا موافقا للحكمة، و لم يدع لهم شبهة إلا أجاب عنها، وعلمهم جميع الأحكام التى فيها رضانا[6]، و أتاهم من المواعظ و الآداب و المعارف

٦٢٤ /

(١) من ظ وم، وفى الأصل: كافورا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: موت. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شر (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ وم، و فى الأصل: للعباد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وصايا.

بما ملأ[1] الخافقين و خصصناك[1] به[2] شكرا على[2] سيرتك الحسنى التى
كانت قبل النبوة، و تجنبك كل ما يدنس، فلما كان بتنزيلنا[3] كان
جامعا للهدى بما لنا من إحاطة[4] العلم و القدرة، فلا عجب فى كونه جامعا
لهدى[5] الخلق كلهم، لم يدع لهم فى شىء من الأشياء لبسا، و هى ناظرة
إلى قوله فى القيامة "لا تحرك به لسانك" الملتفتة إلى ما فى المدثر من ٥
أن هذه تذكرة، الناظرة[6] إلى «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» المشيرة إلى
ما فى سورة الجن من [أمر -[7]] القرآن، فالحاصل أن أكثر القرآن
فى تقرير عظمة القرآن، فانه المقصود بالذات لأنه[8] الآية الكبرى التى
إذا ثبتت تبعها جميع المراد من الشريعة و تفريق تقرير شأنه أتقن
ما يكون فى إحكام أمره. و ذلك أن الحكيم إذا اهتم بشىء افتتح ١٠
الكلام به، فاذا رأى من ينكره انتقل إلى غيره على قانون الحكمة، ثم
يصير يرمى [به -[7]] فى خلال ذلك رميا كأنه غير قاصد له، و لا
يزال يفعل ذلك حتى يتقرر[9] أمره غاية التقرر[10] و يثبت فى النفس
من حيث لا يشعر.

و لما تقرر أن من الناس من ترك الهدى الذى هو البيان، فعمى ١٥

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: خصصنا (٢-٢) تكرر ما بين الرقين فى الأصل فقط (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بينى إبنيا - كذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاحاطة (٥) من ظ وم، و فى الأصل: هدى (٦) من ظ وم، وفى الأصل: ناظرة (٧) زيد من ظ و م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: فان. (٩) من ظ و م، وفى الأصل: يقرر (١٠) من ظ وم، و فى الأصل: التقرير.

عنه لإعراضه عنه[1]، سبب عن هـــذا الإنزال و ذاك الضلال قوله منبها على أمراض القلوب، و مرشدا إلى دوائها: ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ أى المحسن إليك بتخصيصه[2] لك بهذه النعمة على ضلال من حكم بضلاله، و علـى كل ما ينوبك [و أطعه - [3]] فى التعبد له بجميع[4]
٥ ما أمرك بـــه من الرفق إلى أن يأمرك بالسيف، و استعن على مر[5] الصبر باستحضار أن المربى الشفيق يربى بمـا[6] يشاء من المر و الحلو على حسب علمه و حكمته، و الصبر: حبس النفس و ضبطها على مقاومة الهوى لئلا تنقاد إلى شيء من قبائح اللذات.

و لما أمره سبحانه بالصبر، و كان الأمر به مفهما وجوده للمخالف،
١٠ و كان المخالفون له صلى الله عليه و سلم هم القسم المضاد للشاكر و هم الـكفرة، و كان ما يدعونه إليه تارة مطلق إثم، و أخرى كفرا و تارة[7] غير ذلك، ذكر النتيجة ناهيا عن[8] القسمين الأولين ليعلم أن المسكوت عنه لا نهى فيه فقال: ﴿ و لا تطع منهم ﴾ أى الـكفرة الذين هم ضد الشاكرين ﴿ آثما ﴾ اى داعيـا إلى إثم سواء كان مجردا عن مطلق
١٥ الـكفر أو مصاحبا له ﴿ او كفوراؕ ﴾ اى مبالغا فى الـكفر / و داعيـا إليه و إن كان كبيرا و عظيما فى الدنيا فان الحق أكبر من كل كبير.

٦٢٥/

(١) زيد فى الأصل: بسببه، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢) من ظ وم، و فى الأصل: المخصص (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ وم، وفى الأصل: فى جميع (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) من ظ و م، و فى الاصل: ما. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أخرى (٨) من ظ و م، و فى الأصل: على؟

ولك

و ذلك أنهم كانوا مع شدة الأذى له صلى الله عليه و سلم يبذلون له الرغائب من الأموال، و التمليك و التزويج لأعظم نسائهم على أن يتبعهم على دينهم و يكف عما هو[1] عليه و النهى عن الأحد المبهم نهى عن كل منهما، فان كلا منهما فى أنه يجب اجتنابه فى رتبة واحدة «و ذروا ظاهر الاثم و باطنه» وكذا الانتهاء عنه لا يتحقق إلا بالانتهاء ٥ عن كل منهما، و لو عطف بالواو لم يفد ذلك لأن نفى الاثنين لا يستلزم نفى كل منهما، و أفهم ترتيب النهى[2] على الوصفين أنه إذا دعاه الكفار إلى ما لا يتعلق به[3] إثم و لا كفر[3] جاز له قبوله.

و لما نهى عن طاعتهما القاطعة عن الله، أمر بملازمة[4] الموصل إلى الله و هو الذكر من غير عائق الذى هو دواء لماعساه يلحق[5] من ١٠ الأدواء لمجرد رؤية الآثم أو الكفور لأرباب القلوب الصافية، و الذكر مقدم على كل عبادة و إن وضع العبادة لما كان طلبا للتوصل إلى نيل معرفة الله سبحانه، و كان التصور بحسب الاسم أول مراتب التصور طبعا بدأ به وضعا، و ذلك لأن النفس تحب السفول لما لها من النقائص، فاحتاجت إلى سبب مشوق لها إلى الأعلى فوضعت لها العبادات، و اجلها ١٥ العبادة المشفوعة بالفكر، لأنه السبب الموصل إلى المقصود و لا تفيد العبادة بدونه فقال: ﴿ و اذكر ﴾ اى بلسانك ﴿ اسم ربك ﴾ أى المحسن

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هم (٢) من م، و فى الأصل و ظ: النفى.

(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: بلازمه، و فى م: بلازم.

(٥) تكرر فى الأصل فقط.

إليك [1]بكل جميل[1] ﴿بكرة﴾ عند قيامك من منامك الذى هو الموتة الصغرى و تذكرك أنه يحيى الموتى و يحشرهم جميعا ﴿و اصيلا ع‍ ﴾ عند انقراض نهارك و تذكرك انقراض دنياك و طى هذا العالم [2] لأجل إيجاد[2] يوم الفصل، و فى ذكر[3] الوقتين أيضا إشارة إلى دوام الذكر، و ذكر
٥ اسمه لازم لذكره، و يجوز أن يكون أمرا بالصلاة لأنها أفضل[4] الأعمال البدنية لأنها أعظم الذكر لأنها ذكر اللسان[5] و الجنان و الأركان فوظفت فيها أذكار لسانية و حركات و سكنات على هيئة مخصوصة من عادتها ألا تفعل إلا بين أيدى[6] الملوك، فكان تنبيهها على وجود الصانع و الاعتراف بالاهيته و تفرده اكثر فكانت[7] [8] أفضل، فيكون[8]
١٠ هذا على هذا أمرا بصلاتى الصبح و العصر، فانه لم يكن أمر فى أول الإسلام بغيرهما و بهما أمر من كان قبلنا، و هما [9] أفضل الصلوات[9] و كانتا ركعتين ركعتين، و يجوز أن يكون أمرا بصلاتى الصبح [و الظهر -[10]] و العصر فان الأصيل يتناول وقتيهما لأنه مطلق العشى، و أما المغرب و العشاء و نافلة الليل فدخلت[11] فى قوله: ﴿و من اليل﴾

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بجميل احسانه (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: لايجاد (٣) من ظ و م. و فى الأصل: ذلك (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فضل (٥) من م، و فى الأصل و ظ: باللسان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يدى (٧) من ظ و م، و فى الأصل: و كان (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: أول الصلاة.
(١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م، و فى الأصل: فدخلتا.

اى بعضه و الباقى للراحة بالنوم ﴿ فاسجد له ﴾ اى فصل له صلاتى المغرب و العشاء، و ذكرهما بالسجود تنبيها / على أنه افضل الصلاة، / ١٢٦ب
فهو إشارة إلى [1]أن الليل[1] موضع الخضوع، و تقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد الكلفة و الخلوص و مزيد الفضيلة لأن الالتفات فيه إلى جانب الحق أتم لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس ٥
و أصواتهم و سائر الأحوال الدنيوية، فكان أبعد عن الرياء فكان [الخشوع -[2]] فيه [و -[2]] اللذة التامة بحلاوة العبادة أوفى ﴿ و سبحه ﴾ [أى -[3]] بالتهجد ﴿ ليلا طويلا ه ﴾ نصفه او أكثر منه أو أقل، و لعله سماه تسبيحا لأن مكابدة القيام فيه و غلبة النوم تذكر بما لله من العظمة بالتنزه عن كل نقيصة، و لأنه لا يترك محبوبه من الراحة بالنوم ١٠
إلا من كان الله عنده فى غاية النزاهة، و كان له فى غاية المحبة.

و لما أنهى امره بلازم النهى، علل النهى بقوله محقرا با شارة القريب مؤكدا لما لهم من التعنت بالطعن فى كل ما يذكره صلى الله عليه و سلم: ﴿ ان هؤلاء ﴾ أى الذين يغفلون عن الله من الكفرة و غيرهم فاستحقوا المقت من الله [4]﴿ يحبون ﴾ أى محبة تتجدد عندهم زيادتهم فى كل وقت ١٥
﴿ العاجلة ﴾ أى و يأخذون منها و يستخفون لما حفت به من الشهوات زمنا قليلا لقصور نظرهم و جمودهم على[4] المحسوسات التى الإقبال عليها منشأ البلادة و القصور، و معدن الأمراض للقلوب التى فى الصدور، [و -[3]] من تعاطى أسباب المرض مرض و سمى كفورا، و من

(١-١) من ظ وم، و فى الأصل: انه (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد من ظ.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

تعاطى ضد ذلك شقي وسمي شاكرا، ويكرهون الآخرة الآجلة ﴿و يذرون﴾ أي يتركون منها على حالة هي [من ـ[1]] أقبح ما يسوءهم إذا رأوه ﴿ ورآءهم ﴾ أي أمامهم اى[2] قدامهم على وجه الإحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الإنسان عما وراءه، أو خلفهم لأنه يكون بعدهم لابد ٥ أن يدركهم ﴿ يوما ﴾ أي منها . و لما كان ما أعيا الإنسان و شق عليه ثقيلا[3] قال: ﴿ ثقيلا ﴾ أي شديدا جدا لا يطيقون حمل ما فيه من المصائب بسبب[4] أنهم لايعدون له عدته . فالآية من الاحتباك[5] : ذكر الحب و العاجلة أولا دلالة[6] على ضدهما ثانيا، و الترك [و ـ[7]] الثقل ثانيا دلالة على ضدهما أولا ، و سر ذلك أن ما ذكره أدل على سخافة ١٠ العقل بعدم التأمل للعواقب .

و لما كان تركهم لليوم[8] الثقيل على وجه التكذيب الذي هو أقبح الترك ، و كان تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه[9] قال دالا على الإعادة بالابتداء من باب الأولى : ﴿ نحن خلقنهم ﴾ ، بما لنا من العظمة لا غيرنا ﴿ و شددنا اسرهم ﴾ اى قوينا و اتقنا[10] ربط مفاصلهم ١٥ الظاهرة و الباطنة بالأعصاب على وجه الإحكام بعد كونهم نطفة أمشاجا[11]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و في الاصل : او (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ثقيل (٤) من ظ و م ، و في الأصل : تسبب (٥) زيدت الواو في الأصل و ظ و لم تكن في م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و في الأصل : دليلا . (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م . و في الأصل : اليوم (٩) من ظ و م ، و في الأصل : عليهم (١٠) من م ، وفي الاصل وظ : أوثقنا (١١) من ظ وم ، و في الاصل : امشاج .

فى غاية الضعف، و اصل الأسر: القد يشد بـــه الأقتاب او الربط و التوثيق، و لا شك أن من قدر على إنشاء شخص من نطفة قادر على أن يعيده كما كان [لأن ـ [1]] جسده الذى أنشأه / إن كان محفوظا / ٦٢٧ فالأمر فيه واضح، و إن كان قد صار ترابا فابداعه منه مثل إبداعه من النطفة، و أكثر ما فيه أن يكون كأبيه [2] آدم عليه السلام بل هو ٥ أولى فانه ترابـــه له أصل فى الحياة [بما كان حيا، و تراب آدم عليه السلام لم يكن له أصل قط فى الحياة ـ [1]] و الإعادة أهون فى مجارى عادات [3] الخلق من الابتداء، [و ـ [1]] لذلك قال معبرا بأداة التحقق: ﴿ و اذا شئنا ﴾ اى بما لنا من العظمة أن نبدل ما نشاء من صفاتهم أو ذواتهم ﴿ بدلنا أمثالهم ﴾ أى بعد الموت فى الخلقة و شدة الأسر ١٠ ﴿ تبديلا ﴾ أو [4] المعنى: جئنا بأمثالهم بدلا منهم و خلائف لهم، أو يكون المراد ـ و هو أقعد ـ بالمثل الشخص أى بدلنا أشخاصهم لتصير بعد القوة إلى ضعف و بعد الطول إلى قصر و بعد البياض إلى سواد و غير ذلك من الصفات كما شوهد فى بعض الاوقات فى المسخ و غيره، و كل ذلك دال على تمام قدرتنا و شمول علمنا. ١٥

و لما كان هذا دليلا عظيما على القدرة على البعث مخزيا لهم، قال مؤكدا لإنكارهم عنادا: ﴿ان هذه﴾ أى الفعلة البدائية، أوالمواعظ

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لابيه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: العادات (٤) من م، و فى الأصل و ظ « و ».

التى ذكرناها[1] فى هذه السورة و فى جميع القرآن ﴿ تذكرة ج ﴾ اى موضع ذكر عظيم للقدرة على البعث و تذكر عظيم لما فعلت فى الإنشاء أولا، و موعظة عظيمة فان فى تصفحها تنبيهات عظيمة[2] للغافلين، و فى تدبرها و تذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه [و احضر نفسه، ٥ و كانت نفسه مقبلة على ما ألقى إليه سمعه -[3]]، فمن أقبل هذا الإقبال علم انا آتيناه من الآلات و الدلائل ما إن سلك معه مجتهدا وصل دون ضلال و لذلك سبب عن كونها[4] تذكرة قوله من خطاب البسط: ﴿ فمن شآء ﴾ أى ان يجتهد فى وصوله إلى الله سبحانه و تعالى ﴿ اتخذ ﴾ أي أخذ بجهده من مجاهدة نفسه و مغالبة هواه ﴿ الى ربه ﴾ أى المحسن إليه ١٠ الذى ينبغى له أن يحبه بجميع قلبه و يجتهد فى القرب منه ﴿ سبيلا ه ﴾ أى طريقا [5]واسعا واضحا[5] سهلا بأفعال الطاعة التى أمر بها لأنا بينا الأمور غاية البيان وكشفنا[6] اللبس و أزلنا جميع موانع[7] انفسهم عمن شئنا و ركزنا ذلك فى الطباع، و لم يبق مانع من استطراق الطريق أصلا غير مشيئتنا، و الفطرة الأولى أعدل شاهد بهذا.

١٥ و لما أثبت لهم المشيئة التى هى مناط التكليف، و هى الكسب، و كان ربما ظن ظان أو ادعى مدع فى خلق الأفعال[7] كما قال أهل

(١) من ظ وم، وفى الأصل: ذكرها (٢) سقط من م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كونه (٥-٥) فى ظ: واضحا واسعا (٦) من ظ و م، وفى الاصل: بينا (٧) زيد فى الأصل: اللبس، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: الكمال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.

الاعتزال ، قال نافيا[1] عنهم الاستقلال ، لافتا القول إلى خطابهم ، و هو مع كونه خطاب قبض استعطافا بهم إلى التذكر فى قراءة الجماعة وبالغيب على الأسلوب الماضى فى قراءة ابن كثير و ابن عامر : ﴿ و ما تشآءون ﴾ اى فى وقت من الأوقات مشيئة من المشيئات[2] لهذا و غيره[2] على سبيل الاختراع و الاستقلال ﴿ الآ ﴾ وقت ﴿ ان يشآء الله ﴾ اى الملك ٥ الأعلى الذى له الأمر كله ، و لا أمر لأحد معه ، فيوجد المعانى فى أنفسكم على حسب ما يريد و يقدر على / ما يشاء من آثارها ، و قد صح بهذا ٦٢٨ / ما قال الأشعرية و سائر أهل السنة من أن للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر إلا بمشيئة الله تعالى و تحريكها لقدرة العبد ، و انتفى مذهب القدرية الذين يقولون : إنا نحن [نخلق -[3]] أفعالنا ، و مذهب الجبرية القائلين: ١٠ لا فعل لنا اصلا ، و مثّل الملوى ذلك بمن يريد قطع بطيخة [فحدد سكينا و هيأها و أوجد فيها أسباب القطع و أزال عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة -[3]] فهى لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ، و لو وضع عليها ما لم يصلح للقطع كخطبة مثلا لم تقطع و لو تحامل ، فالعبد كالسكين خلقه الله و هيأه بما أعطاه من القدرة للفعل، ١٥ فمن[4] قال : أنا أخلق فعلى[5] مستقلا به ، فهو كمن قال : السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل ، و من قال : الفاعل هو[6] الله ، من غير

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : نافعا (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لهذه و غيرها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فلو (٥) زيد فى الأصل : فعلا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م .

نظر إلى العبد أصلا[1] كان كمن قال: هو يقطع البطيخة بتحامل يده أو قصبة ملساء من غير سكين، و الذى يقول: إنه باشر بقدرته المهيأة للفعل بخلق الله لها و تحريكها فى ذلك الفعل كان[2] كمن قال: إن السكين قطعت بالتحامل [عليها -[3]]، بهذا أجرى سبحانه عادته فى الناس، ٥ و لو شاء غير ذلك فعل، و لا يخفى أن هذا هو الحق الذى لا مرية فيه، ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم قائلا: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ عليما حكيما ﴾ أى بالغ العلم و الحكمة، فهو يمنع منعا محكما من أن يشاء غيره ما لم يأذن فيه، فمن علم فى جبلته خيرا أعانه عليه، و من علم منه الشر ساقه إليه و حمله ١٠ عليه، و هو معنى ﴿ يدخل من يشآء ﴾ أى من[4] علمه أهلا للسعادة، ليس بظالم ﴿فى رحمته﴾ بحكمته فييسر له اتخاذ السبيل الموصل إليه بأن يوفقه للعدل، و يعد له ثوابا جسيما.

و لما بشر أهل العدل بالفعل المضارع المؤذن بالاستمرار، و لم يجعله ماضيا لئلا يتعنت متعنت ممن هو متلبس بالضلال فيقول: أنا لا ١٥ أصلح لأنه ما ادخلنى، عطف عليه ما لأضدادهم[5] فى جملة فعلية بناها على الماضى إعلاما بأن عذابهم موجود قد فرغ منه [فقال - [3]]: ﴿ و الظلمين ﴾ اى و أهان العريقين فى وصف المشى على غير سنن مرضى كالماشى فى الظلام فهو يدخلهم فى نقمته و قد ﴿ اعد لهم ﴾

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اصل (٢) سقط من ظ وم (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأضداده.

[اى - [1]] إعدادا امضاه بعظمته . فـلا يزاد فيه و لا ينقص أبدا [2] ﴿عذابا أليما﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الإدخال و الرحمة أولا دلالة على الضد ثانيا، و العذاب ثانيا دلالة على الثواب أولا ، و سر ذلك أن ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه و إن ساءت حالهم فى الدنيـا ، و بترهيب أهل الظلم منه و إن حسنت حالهم فى الدنيا . فقد رجع هذا ٥ الآخر المفصل إلى السعادة و الشقاوة على أولهـا المؤذن بأن الإنسان معتنى به غاية الاعتناء، و أنه ما خلق إلا للابتلاء، فهو إما كافر مغضوب عليه ، و إما شاكر منظور بعين الرضى إليه [3] - فسبحان من خلقنا و يميتنا و يحيينا بقدرته [4] و الله الهادى .



(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : فعلا ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) وقع فى الأصل بعد «منظور» و الترتيب من ظ وم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م ، و موضعه بما فيه «و الله الهادى» وقع فى ظ : صلى الله عليه و سلم .

٦٢٩ /

/ سورة المرسلات[1] و تسمى العرف

مقصودها الدلالة على [آخر - [2]] الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، و إصابة الكافرين بعذاب الجحيم، فى يوم الفصل بعد جمع الأجساد و إحياء[4] العباد بعد طى هذا الوجود و تغيير العالم المعهود بما له سبحانه
٥ من القدرة على إنبات النبات و إنشاء الأقوات و إنزال العلوم و إيساع الفهوم لإحياء الأرواح[5] و إسعاد الأشباح بأسباب خفية و علل مرئية وغير مرئية، و تطوير الإنسان فى أطوار الأسنان، و إيداع الإيمان فيما يرضى من الأبدان ، و إيجاد الكفران فى أهل الخيبة و الخسران ، مع اشتراك الكل فى أساليب هذا القرآن، الذى عجز الإنس و الجان ، عن
١٠ الإتيان بمثل آية [منه - [3]] على كثرتهم و تطاول الزمان، و اسمها المرسلات و [كذا - [1]] العرف واضح الدلالة على ذلك لمن تدبر الاقسام، و تذكر ما دلت عليه من معانى الكلام ﴿ بسم الله ﴾[6] الذى له القدرة التامة على ما يريد ﴿ الرحمن ﴾ الذى له عموم الإنعام على سائر العبيد ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص اهل رضوانه باتمام ذلك الإنعام و عنده المزيد ۔
١٥ لما ختمت سورة الإنسان بالوعد لأوليائه و الوعيد لأعدائه، و كان

---

(١) زيدت الواو فى ظ (٢) السابعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية وعدد آيها خمسون (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : احتياط . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الروح (٦) زيد فى الأصل : اه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الـكفار يـكذبون بذلك، افتتح هذه بالإقسام على أن ذلك كائن فقال: ﴿ و المرسلٰت ﴾ أى من الرياح[1] و الملائكة ﴿ عرفاً ﴾ أى لأجل إلقاء المعروف من القرآن[2] و السنة و غير ذلك من الإحسان، و من إلقاء الروح و البركة و تيسير الأمور فى الأقوات[3] و غيرها، أو حال كونها متابعة متكاثرة بعضها فى أثر بعض، من قول العرب: الناس إلى ٥ فلان عرف واحد - إذا توجهوا إليه فأكثروا، و يقال: جاؤا عرفا واحدا، و هم عليه كعرف الضبع[4] - إذا تألبوا عليه.

و لما كان العصوف[5] للعواصف يتعقب الهبوب، عطف بالفاء تعقيبا و تسبيبا فقال: ﴿ فالعٰصفٰت ﴾ أى الشديدات من الرياح عقب هبوبها و من الملائكة عقب شقها للهواء بما لها من كبر الأجسام ١٠ و القوة على الإسراع التام ﴿ عصفاً ﴾ أى عظيما بما لها من النتائج الصالحة.

و لما كان نشر الرياح للسحاب متراخيا عن هبوبها و متباطئا فى الثوران و كذا نشر الملائكة لأجنحتها كما يفعل الطائر القوى فى طيرانه، عطف بالواو الصالحة للمعية و التعقيب بمهلة و غيرها قوله: ﴿ و النّٰشرٰت ﴾ ١٥ اى للسحاب و الأجنحة على وجه اللين فى الجو و للشرائع التى / تنشر ٦٣٠ / العدل بين الناس ﴿ نشراً ﴾ و إذا راجعت أول الذاريات ازددت فى هذا بصيرة.

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل: الروح (٢) من ظ و م، و فى الاصل: الكتاب (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الأوقات (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الصبح (٥) من م، و فى الأصل و ظ: المعصوف.

و لما كان السحاب يجتمع بعد الثوران من مجال البخارات و يتكاثف ثم يحمل الماء ، وكان ذلك[1] - مع كونه معروفا - قد تقدم فى الذاريات و الروم و غيرهما ثم بعد الحمل تضغط[2] السحاب حتى يتحامل بعضه على بعض فتنفرق هنـاك فُرَج يخرج منها ، طوى ذلك و ذكر هذا فقال ٥ بالفاء الفصيحة : ﴿ فالفرقت فرقا ﴾ أى للسحاب حتى يخرج الودق من خلاله و الأجنحة و بين الحق و الباطل و الحب و النوى - و غير ذلك من الأشياء .

و لما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منها[3] ما فى ذلك السحاب من ماء أو ثلج أو برد او صواعق أو غير ذلك مما يريده الله مما يبعث ١٠ على ذكر الله و لابد و الملائكة تلقى ما معها من الروح المحيي للقلوب ، قال معبرا بفاء التعقيب و التسبيب[4] : ﴿ فالملقيت ذكرا ﴾ أطلق عليه الذكر لأنه سببه إن كان محمول السحاب أو محمول الملائكة ، و قد يكون محمول الملائكة ذكر الله[5] حقيقة ، و لايخفى أنهما سبب لإصلاح الدين و الدنيا .

و لما ذكر هـذه الأقسام عللها بقوله : ﴿ عذرا او نذرا ﴾ و هما ١٥ منصوبان على الحال جمعان لعذر بمعنى المعذرة أو العاذر ، و النذر بمعنى الإنـذار او المنذر ، أى كانت هذه منقسمة إلى عذر إن كانت ألقت

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : هذا (٢) من م ، و فى الأصل : تضطط ، و فى ظ : تسقط (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نيه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التسبب (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكره .

مطرا نافعا[1] مريئا مريعا غير ضار كان بعد قحط فانه يكون كانه اعتذار عن تلك الشدة، و إن كانت الملائكة ألقت بشائر فهى واضحة فى العذر لاسيما إن كانت بعد إنذار، و إلى نذر إن كانت ألقت صواعق أو ما [هو -[2]] فى معناها من البرد الكبار و نحوها، و كذا الملائكة، و الكل سبب لذكر الله و هو سبب لاعتذار[3] ناس بالتوبة، و سبب ٥ لعذاب الذين يغفلون عن الشكر، و يستقبلون ذلك بالمعاصى أو ينسبون ذلك إلى الأنواء.

و لما تمت هذه الأقسام مشتملة على أمور عظام منبهة على ان أسبابها من الرياح و المياه كانت مع الناس و هم لايشعرون بها كما أنه يجوز أن تكون القيامة كذلك سواء بسواء، [قال -[2]] ذاكرا للقسم عليه ١٠ مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ انما ﴾ أى الذى ﴿ توعدون ﴾ [أى -[2]] من العذاب فى الدنيا و الآخرة و من قيام الساعة و من البشائر لأهل الطاعة، و بناه للفعول لأنه المرهوب لا كونه من[4] معين مع أنه معروف أنه مما توعد [5]به الله[5] على لسان محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ لواقع[6] ﴾ أى كائن لابد من وقوعه و أسبابه عتيدة عندكم و إن كنتم لا ترونها ١٥ كما فى هذه الأشياء التى أقسم بها و ما تأثر عنها.

---

(١) زيد فى الأصل: به، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا عتداد (٤) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٥-٥) ظ و م، و فى الاصل: الله به.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : أقسم تعالى بالملائكة المتابعين في الإرسال، و الرياح المسخرة، و ولايته بالمطر و الملائكة الفارقة[1] بمائه بين الحق و الباطل، و الملقيات الذكر / بالوحي إلى الأنبياء إعذارا من الله و إنذارا، أقسم تعالى بما ذكر من مخلوقاته على صدق الموعود به في قوله " انا اعتدنا للكافرين سلاسل و اغلالا و سعيرا " الآيات و قوله " انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا " و قوله " و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا " الآيات إلى " و كان سعيكم مشكورا " و قوله " و يذرون وراءهم يوما ثقيلا " و قوله " يدخل من يشاء في رحمته و الظالمين اعد لهم عذابا اليما " و لو لم يتقدم إلا هذا الوعد و الوعيد المختتم به السورة لطابقه[2] افتتاح الأخرى قسما عليه أشد المطابقة، فكيف و سورة "هل اتى على الانسان"[3] مواعد اخراوية و اخبارات جزائية، فاقسم سبحانه و تعالى على صحة الوقوع، و هو المتعالي الحق و كلامه الصدق - انتهى.

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون استهزاء : متى هو؟ و كان وقته مما[4] استأثر الله بعلمه لأن إخفاءه عن كل أحد[5] أوقع في النفوس و أهيب عند العقول، سبب عن [ذلك - [6]] قوله ذاكرا ما لا تحتمله العقول لتزداد الهيبة و يتعاظم الخوف معبرا بأداة التحقق[7] : ﴿ فاذا النجوم ﴾

(١) من ظ و م، و في الأصل : العارفة (٢) من م، و في الأصل و ظ : لمطابقة.
(٣) زيد في ظ : راسها (٤) من ظ و م، و في الأصل : فيما (٥) من ظ و م، و في الأصل : حد (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل : التحقيق.

اى على كثرتها ﴿طمست ۙ﴾ اى أذهب[1] ضوءها بأيسر امر فاستوت مع بقية السماء، فدل طمسها على أن لفاعله غاية القدرة، و أعاد الظرف تأكيدا للعنى زيادة فى التخويف فقال: ﴿و اذا السمآء﴾ [اى -[2]] على عظمتها[3] ﴿فرجت ۙ﴾ أى انشقت فخربت السقوف و ما بها من القناديل بأسهل أمر ﴿و اذا الجبال﴾ أى على صلابتها ﴿نسفت ۙ﴾ أى ذهب بها كلها ٥ بسرعة ففرقتها الرياح، فكانت هباء منبثا فلم يبق لها أثر[4]، و ذلك كما ينسف الحب، فزال ثبات الأرض بالأسباب التى هى الرواسى، لأن تلك الدار ليست بدار أسباب.

و لما ذكر تغيير السماء و الأرض، ذكر ما[5] فعل ذلك لأجله فقال: ﴿و اذا الرسل﴾ أى الذى أنذروا الناس ذلك اليوم فكذبوهم ﴿اقتت ۙ﴾ ١٠ أى بلّغها الذى لا قدر[6] سواه بأيسر امر ميقاتَها الذى كانت تنتظره، و هو وقت قطع الأسباب و إيقاع الرحمة و الثواب للاحباب و النقمة و العقاب للأعداء بشهادتهم بعد جمعهم على الأمم بما كان منهم من الجواب، و حذف العامل فى «إذا» تهويلا له[7] لتذهب النفس فيه كل مذهب، فيمكن أن يكون تقديره: وقع ما توعدون فرأيتم من هذا الوعيد ما ١٥ لا يحتمل و لا يثبت لوصفه العقول، و على ذلك دل قوله [8]ملقنا لما[8] ينبغى

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: ذهب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عظمها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: كان سبب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا قدر (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لهم (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: ملقا على ما.

أن يقال، و هو[1] ﴿لأىّ يوم﴾ اى عظيم ﴿اجلت ﴾ اى وقع تأجيلها به، بناه للمفعول لأن المقصود تحقيق الأجل لا كونه من معين، و تنبيها على أن المعين له معلوم[2] أنه الله الذى لايقدر عليه سواه[3] / ٦٢٢ /، ثم أجاب عن هذا السؤال بقوله مبدلا من «لأى يوم»: ﴿ليوم الفصل ج﴾ أى الذى

٥ إذا أطلق ذلك لم ينصرف إلا إليه لأنه لايترك فيه شيئا إلا وقع الفصل فيه[4] بين جميع الخلق من كل جليل و حقير، ثم هوله و عظمه بقوله: ﴿ومآ ادرٰىك﴾ أى و أى شيء أعلمك و إن اجتهدت فى التعرف، ثم زاده[5] تهويلا بقوله: ﴿ما يوم الفصل ﴾ أى إنه امر يستحق أن يسئل عنه و يعظم، و كل ما عظم بشيء فهو أعظم منه[6]، و لا يقدر أحد من الخلق

١٠ على[7] الوصول إلى علمه لأنه لامثل له يقاس عليه.

و لما هول أمره ذكر ما يقع فيه من الشدة على وجه الإجمال فقال: ﴿ويل﴾ اى هلاك عظيم جدا ﴿يومئذ﴾ أى إذ يكون يوم الفصل ﴿للمكذبين ﴾ أى بالمرسلات التى أخبرت بذلك اليوم و غيره من أمر الله، و الويل فى الأصل مصدر منصوب باضمار فعله، عدل به إلى

١٥ الرفع للدلالة على ثبات معناه، و قد كررت هذه الجملة بعدة المقسم به و ما ذكر هنا مما يكون فى يوم الفصل من الطمس و ما بعده و هو تسعة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هى (٢) زيد فى الأصل: وقت، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٥) فى ظ و م: زاد. (٦) زيد بهامش م: أى أى شيء عظم به يوم الفصل اى يوم الفصل أعظم منه أى من ذلك الشيء (٧) من ظ و م، و فى الأصل: من، مع يسير من البياض قبله.

أشياء

أشياء، و زادت واحدة فتكون كل جملة بواحدة من المذكورات، و العاشرة للتأكيد دلالة على أن لهم من الويل ما لا ينتهى [كما أن الواحد لا ينتهى - [1]] على أنها لو كانت كلها لتأكيد الأول لكان ذلك حسنا، فان من كذبك فى أشياء كان من البلاغة ان تقرره بواحدة منها ثم تقول له عند قيام الدليل « ويل لك » ثم تفعل فيما بعده كله كذلك و تعيد ٥ عليه ذلك القول بعينه تأكيدا له و تحقيقا لوقوع [2] معناه دلالة على أن الغيظ قد بلغ منتهاه و الفجور و انقطاع العذر لم يدع موضعا للتنصل منه و البعد عنه، و ذلك فى كلام العرب شائع معروف سائغ.

و لما أقسم على وقوع [3] الوعد و الوعيد مطلقا أعم من أن يكون فى الدنيا أو فى الآخرة لأنه قادر على كل ما يريد بأقسام دلت على ١٠ القدرة عليه دلالة جلية [4]، أتبعه دلالة أجلى منها بما يشاهد من خراب العالم النفسى فقال [منكرا - [5]] على من يكذب به تكذيبهم مع ما [6] كان منه [6] سبحانه إلى من كذب الرسل و من آمن بهم: ﴿ الم نهلك ﴾ أى بما انا من العظمة ﴿ الاولين ﴾ أى إهلاك عذاب و غضب بتكذيبهم الرسل عليهم الصلاة و السلام كقوم نوح ١٥ و من بعدهم أمة بعد أمة و قرنا بعد قرن، لم ندع منهم أحدا [7].

و لما كان إهلاك من فى زمن النبي صلى الله عليه و سلم إن

---

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : لوقوعه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بلوغ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : جليلة (٥) زيد من ظ و م . (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كانه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : احد .

لم ينقص عن إهلاك الأولين لم يزد ، وكان جواب هذا التقدير : بلى قد
أهلكتهم ، قال عاطفا على هذا الذى أرشد السياق إليه إرشادا ظاهرا
جعله كالمنطوق ما تقديره : نعم أهلكناهم ﴿ ثم ﴾ أى بعد إهلاكنا لهم .
و لما كان الفعل مرفوعا ، علمنا أنه ليس معطوفا على « نهلك » ليكون تقديرا ،
٦٣٣ / ٥ بل هو إخبار للتهديد / تقديره : نحن إن شئنا ﴿ نتبعهم الآخرين ﴾ أى
الذين فى زمانك من كفار العرب و غيرهم لتكذيبهم لك أو الذين
قربوا من ذلك الزمان كأصحاب الرس و أصحاب الفيل .

و لما هدد من واجه الرسل بالتكذيب تسلية لهم ، سلى من قطعوه
من أتباعهم مما[1] يجب وصله بهم من المعروف [فقال - [2]] مستأنفا
١٠ منبها على الوصف الموجب لذلك الإهلاك : ﴿ كذلك ﴾ اى مثل ذلك
الإهلاك ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ أى جميع الذين يفعلون فعل أولئك الذين
يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و هم عريقون فى ذلك القطع ، و ذلك
مثبت لنا القدرة على جمعهم ليوم الفصل كما قدرنا على جمعهم لوقت
الإجرام و على فصلنا فى الإهلاك و الإنجاء بين مكذبى الأمم و مصدقيهم
١٥ فلا بد من إيجادنا ليوم الفصل : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى إذ يوجد
﴿ للمكذبين ﴾ اى بالعاصفات التى أهلكنا بها تلك الأمم تارة بواسطة
القلب و إمطار الحجارة و أخرى بواسطة الماء و تارة بالرجفة [و تارة - [2]]
بغير واسطة .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و ما (٢) زيد من ظ و م .

و لما ذكر الإهلاك على ذلك الوجه الدال على القدرة التامة [1] على البعث [و على - [1]] ما يوعد به بعد البعث ، أتبعه الدلالة بابتداء الخلق و هو أدل فقال [2] مقررا ومنكرا [2] على من يخالف [3] علمه بذلك عمله : ﴿ الم نخلقكم ﴾ أى أيها المكذبون بما لنا من العظمة التى لا تعشرها [4] عظمة ﴿ من مآء مهين لا ﴾ أى نطفة مذرة ذليلة ، و هو [من - [5]] مهن [5] بالفتح ، قال ٥ فى القاموس : و المهين : الحقير و الضعيف و القليل ﴿ فجعلنه ﴾ أى بما لنا من العظمة بالإنزال لذلك الماء فى الرحم ﴿ فى قرار مكين لا ﴾ أى محفوظ عما يفسده من الهواء و غيره و مددنا [6] ذلك لأجل التطوير فى أطوار الخلقة و التدوير فى أدوار [7] الصنعة ﴿ الى قدر ﴾ أى مقدار من الزمان قدره الله تعالى [للولادة - [8]] ﴿ معلوم لا ﴾ أى عندنا من تسعة أشهر ١٠ للولادة إلى ما فوقها أو دونها لا يعلمه [9] غيره .

و لما كان هذا عظيما ترجمه و بينه معظما له بقوله : ﴿ فقدرنا قلے ﴾ أى بعظمتنا على ذلك أو فجعلناه على مقدار معلوم من الأرزاق و الآجال و الأحوال و الأعمال ﴿ فنعم القدرون ہ ﴾ نحن مطلقا على ذلك و غيره ، او المقدرون [10] فى تلك المقادير لما لنا من كمال العظمة بحيث نجعل ذلك ١٥

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منكرا و مقررا (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : يخالفه (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : نفسرها (٥) من م، و فى الأصل و ظ : مهين (٦) من ظ وم ، و فى الأصل: عددنا (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : ازوار (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يعلم (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المقدورون .

بمباشرة من أردناه منه بطوعه و اختياره . و لعل التعبير بما قد يفيد مع العظمة الجمع لما أقام سبحانه فى ذلك من الأسباب بالملائكة و غيرها ، و [1] فيه مع [1] ذلك ابتلاء للعباد الموحد منهم و المشرك : ﴿ويل يومئذ﴾ أى إذ [2] كان ذلك ﴿للمكذبين ه﴾ أى بالناشرات التى نشرت تلك
٥ النفوس و كل ما يراد نشره و هم يعلمون قدرتنا على ما ذكر [3] و تقديره من ابتدائنا لخلقهم و غيره مما يفيد كمال القدرة و هم يكذبون بالبعث و لا يقيسونه بمثله . و لما دل / بابتداء الخلق على تمام قدرته ، أتبعه / ٦٣٤ الدلالة بانتهاء [4] أمره و أثنائه و ما دبر فيهما من المصالح فقال : ﴿ا لم نجعل﴾ أى نصير بما سبينا بما لنا من العظمة ﴿ الارض كفاتا لا ﴾ اى وعاء
١٠ قابلة لجمع [5] ما يوضع فيها [و ضمه جمعا فيه - [6]] فتك رهدم ، و هو اسم لما يكفت من الحديد مثلا أى يغلف بالفضة و يضم و يجمع ، كالضمام والجماع لما يضم و يجمع ، أو [7] هو مصدر نعت به او جمع كافتة ، كصائمة وصيام أو جمع كفت و هو الوعاء ، و لو شئنا لجعلناها ناشرة لكم إذا وضعتم فيها كما تنشر النبات ، و سنجعل ذلك إذا أردنا البعث ، و لما [8] كان من
١٥ المعلوم انه حذف المفعول و هو لكم ، أبدى حالة دالة أيضا عليه [فقال - [6]] : ﴿ احياء ﴾ [أى - [6]] على ظهرها فى الدور و غيرها ﴿وامواتا لا﴾ أى

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اذا . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكرنا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على انتهاء (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لجميع (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٨) من ظ ، و فى الأصل وظ : او .

فى

فى بطنها فى القبور و غيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام .

و لما ذكر ما تغيبه من جبال العلم و الملك و غيرهما ، اتبعه ما تبرزه من الشواهق إعلاما بأنه لو كان الفعل للطبيعة ما كان الأمر هكذا ، فانه لا يخرج هذه الجبال العظيمة على ما لها من الكبر [1] و الرسوخ [1] و الثقل و الصلابة و غير ذلك من العظمة إلا الفاعل المختار ، هذا إلى ما يحفظ ٥ فى أعاليها من المياه التى تنبت الأشجار و تخرج العيون و الأنهار ، بل أكثر ما يخرج من المياه هو منها ، و كذا غالب المنافع من المعادن وغيرها قال : ﴿ و جعلنا ﴾ اى بما لنا من العظمـــة ﴿ فيها ﴾ أى الأرض ﴿ رواسى ﴾ لولاها لمادت بأهلها ، و من العجائب أن مراسيها من فوقها خلافا لمراسى السفن ﴿ شمخت ﴾ أى [هى - [2]] مع كونها ثوابت ١٠ فى أنفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة الارتفاع كأنها قد تكبرت على بقية الأرض و على من يريد صعودها ، و تنكيره للتعظيم .

و لما كان من العجائب الخارقة للعوائد فوران الماء الذى من طبعه أن يغور لا أن يفور لما له من الثقل و اللطافة التى أفادته قوة السريان [3] فى الأعماق و فى كون ذلك منه من موضع من الأرض دون آخر ، ١٥ و كونه من الجبال التى هى اصلب الأرض و من صخورها غالبا دلالة ظاهرة على أن الفعل للواحد المختار الجبار القهار لا للطبائع [4] قال : ﴿ و اسقينٰكم ﴾ اى جعلنا لكم بما لنا من العظمة شرابا لسقيكم و سقى ما تريدون سقيه من الأنعام و الحرث و غير ذلك ﴿ مآء ﴾ [5] من الأنهار

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : السيران (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : للطباع (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و الغدران و العيون و الآبار و غيرها ﴿ فرا تاًه ﴾ أي عظيما عذبا سائغا و قد كان حقيقا بأن يكون ملحا أجاجا لما للأراضى الممسكة له من ذلك[٢]
و لما كان فى هذا دلالة ظاهرة على قدرتـــه على البعث و غيره قال : ﴿ ويل يومئذ ﴾ [أى[٣]] يوم إذ تقوم الساعة ليكون الفصل بين العباد
٥ فساقها مساق ما هو ثابت لا نزاع فيه إشارة إلى أنه لا يكذب بها بعد ظهور الأدلة / إلا من لا مسكة له ﴿ للمكذبين ﴾ أي الذين هم فى غاية ٦٣٥ /
الرسوخ فى التكذيب حتى كذبوا بما لنا فى هذا من الفرق الذى فرقنا به بين أرض و أخرى حتى جعلنا بعضها صالحا لانفراق أرضه عن الماء، و بعضها غير صالح و جعلنا بعضها قابلا للجبال و بعضها غير قابل- إلى غير
١٠ ذلك من الفروق البديعة .

و لما وصلت أدلة الساعة فى الظهور إلى حد لا مزيد عليه، و حكم على المكذبين بالويل مرة، و أكد بثلاث، فكان من حق المخاطب أن يؤمن فلم يؤمن، امر بما يدل على الغضب فقال تعالى [٤]معلما لهم[٤] بما يقال لهم يوم القيامة إذ يحل بهم الويل : ﴿ انطلقوا ﴾ أي أيها المكذبون
١٥ ﴿ إلى ما كنتم ﴾ أي بما هو لكم كالجبلة ﴿ به تكذبون ؟ ﴾ أي فى الدنيا من العذاب تكذيبا هو من عظمه بحيث يعد غيره من التكذيب بالنسبة إليه عدما، و يجددون ذلك التكذيب مستمرين عليه.

---

(١) من ظ و م . و فى الأصل : الادبار (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل : معللا

و لما كان المراد زيادة تبكيتهم[1] و تقريعهم و التهويل عليهم، كرر الأمر واصفا ما[2] امروا بالانطلاق إليه فقال: ﴿ انطلقوآ ﴾ هذا على قراءة الجماعة، و[3] قراءة رويس عن يعقوب بصيغة الماضى للدلالة على تمام انقيادهم هناك، و انه لاشىء من منعه عندهم[4] أصلا، و هى استئنافية لجواب من يقول: ما كان حالهم عند هذا الأمر الفظيع؟ ﴿ الى ظل ﴾ أى ٥ من دخان جهنم الذى سمى باليحموم لما ذكر فى الواقعة ﴿ ذى ثلٰث شعب ﴾ ينشعب من عظمه[5] كما ترى الدخان العظيم يتفرق دوائب، و خصوصية الثلاث لأن التكذيب بالله و كتبه و رسله، فتعذبهم كل واحدة منها عذابا يعلمون هناك لأى تكذيبه منها هى، أو لأن الحاجب عن أنوار القدس الحس و الخيال و الوهم، أو لأن السبب فيه القوة الوهمية[6] الحالة فى ١٠ الدماغ، و الغضبية التى فى عين القلب، و الشهوية التى فى يساره، و قيل[7]: تخرج عنق من النار تكون ثلاث فرق: نار و نور و دخان، يقف النور على المؤمنين، و اللهب الصافى على الكافرين، و الدخان على المنافقين، تكون كذلك إلى حين[8] الفراغ من الحساب، و قال الرازى: الشعب لهب و شرر و دخان. ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تكذيبهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٣) زيد فى الأصل: اما على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليهم (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ. و فى الأصل و م: الواهمة (٧) راجع المعالم ٧ / ٦٤. (٨) سقط من ظ و م

و لما كان المتبادر من الظل ما يستروح إليه فظنوا ذلك[١]، ازال عنهم هذا التوهم على طريق التهكم بهم ليكون أشد فى النكال فقال واصفا ل «ذى»: ﴿لاظليل﴾ أى من الحر بوجه من الوجوه. و لما كان ما انتفى عنه[٢] غزارة الظل التى أفهمتها صيغة المبالغة قد يكون فيه نفع ما قال: ﴿و لايغنى﴾ أى شيئا من إغناء ﴿من اللهب ﴿٣١﴾﴾ أى هذا الجنس.

و لما بين أن هذا الظل زيادة فى العذاب، و كان من المعلوم انه لا يكون دخان إلا من نار، قال مبينا / انه لو كان هناك ظل ما أغنى: ﴿انها﴾ أى النار التى دل عليها السياق ﴿ترمى﴾ أى من شدة الاستعار ﴿بشرر﴾ و هو ما تطاير من النار إذا التهبت، واحدتها شرارة و هى صواعق تلك الدار ﴿كالقصر ﴿٣٢﴾﴾ اى كل شرارة[٣] منها كأنها[٤] قصر مشيد من عظمها و قيل: هو الغليظ من الشجر[٥]، الواحدة قصرة مثل جمر و جمرة، و هى اسم جنس جمعى لم يستعمل إلا فى جمع فهو شامل لكثير الجموع و قليلها، و كذا كل ما فرق بين واحدة و جمعه التاء و ليس بجمع لأنه ليس بجمع سلامة و هو ظاهر و لا تكسير لأن[٦] أوزانه معروفة و ليس منها[٧] فعل و ليس بجنس، فانه لايشمل[٨] ما دون الجمع و من عظمة شرارها تعرف عظمة جمرها.

(١) من ظ وم، وفى الأصل: لك (٢) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شرر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كانه (٥) من ظ و م: الشجرة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٧) من م، و فى الأصل: فيها، وفى ظ: بها (٨) من ظ وم، وفى الأصل: يشمل.

و لما شبهه فى عظمه، شبهه فى لونه فقال: ﴿ كانه جمٰلت ﴾ جمع جمالة جمع جمل مثل [1]حجارة و حجر[1] للدلالة مع كبره على كثرته و تتابعه و اختلاطه و سرعة حركته. و من قرأ بضم الجيم فهو عنده جمع جمالة وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة - شبهه [به - [2]] فى امتداده و التفافه، و لا تنافى فان الشرر منه ما هو هكذا و [منه - [2]] ما هو كما تقدم ٥ ﴿صفر ۝﴾ جمع أصفر اللون[3] المعروف، و قيل: المراد به سواد يضرب إلى صفرة كما هى ألوان الجمال[4].

و لما كان هذا أمرا هائلا كانت ترجمته: ﴿ ويل يومئذ ﴾ اى إذ يكون ذلك ﴿ للمكذبين ۝﴾ أى العريقين فى التكذيب بالقاء الذكر على الأنبياء للبشارة و النذارة. ١٠

و لما دلت قراءة "انطلقوا" بالفتح على امتثالهم للامر من غير ان ينبسوا[5] بكلمة، صرح به فقال دالا على ما هم فيه من المقت و الغضب: ﴿ هٰذا ﴾ اى الموقف الذى[6] هو بعض مواقف ذلك اليوم، سمى يوما لتمام أحكامه، فلذا قال مخبرا عن المبتدأ: ﴿ يوم لاينطقون ۝ﻻ ﴾ أى ببنت شفة[7] من [8]شدة الحيرة و الدهشة[8] فى بعض المواقف، و ينطقون فى بعضها ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: حجر واحجار (٢) زيد من ظ و م.
(٣) من ظ وم، وفى الأصل: اللون (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الجبال.
(٥) من ظ وم، وفى الأصل: سوا-كذا (٦) من ظ وم، وفى الأصل: أى.
(٧) من ظ وم، وفى الأصل: شفتيه (٨-٨) فى ظ وم: فرط الدهشة والحيرة.

فانه يوم طويل ذو ألوان - كما قاله[١] ابن عباس رضى الله عنهما، أو لا ينطقون بما ينفعهم لأنهم كانوا فى الدنيا لا ينطقون بالتوحيد الذى ينفعهم .

و لما كانوا لا يقدرون على شيء ما إلا باذن الله، و كان الموجع لهم عدم الإذن، بنى للمفعول قوله [دلالة - [٢]] على عدم ناصر لهم ٥ أو فرج يأتيهم : ﴿ و لا يؤذن ﴾ أى من[٣] آذن ما ﴿ لهم ﴾ أى فى كلام اصلا . و لما كان المراد انه لا يوجد لهم إذن و لا يوجد منهم اعتذار من غير أن ينظر إلى تسببه عن عدم الإذن لئلا يفهم أن لهم عذرا و لكنهم لم يبدوه لعدم الإذن، قال رافعا عطفا على " يؤذن "[٤] ﴿فيعتذرون ۞﴾ فدل ذلك على نفى الإذن و نفى الاعتذار عقبه مطلقا، ١٠ و لو نصبه لدل على أن السبب فى عدم اعتذارهم عدم الإذن فينقض المعنى .

و لما كان هذا أمرا فظيعا[٥] / ترجمه بقوله : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى /٦٣٧ إذ كان هذا الموقف ﴿للمكذبين ۞﴾ أى العريقين فى التكذيب بالإخبار بطمس النجوم فجعلت عقوبتهم سكوتهم الذى هو ذهاب نور الإنسان ١٥ ليكون كالطمس كذبوا به .

و لما ذكر [٦] حيرتهم و [٦] دهشتهم التى هى أمارة قول الحكم، و كانت

(١) فى ظ و م : قال (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل : قطعيا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

مواطن ذلك اليوم تسمى أياما لتمام الأحكام فى كل موطن منها، و تميزه بذلك عما عداه، قال: ﴿ هذا ﴾ أى ذلك اليوم كله ﴿يوم الفصل ج﴾ أى بين ما اختلف فيه العباد من الحق و الباطل و العالى و السافل؛ ثم استأنف قوله: ﴿جمعنكم﴾ أى يا مكذبى هذه الأمة بما لنا من العظمة ﴿و الاولين ه﴾ أى الذين تقدم أنا أهلكناهم. و قد كانوا أكثر منكم ٥ عددا و اعظم عددا لنفصل[1] بين المتنازعين و تصلى[2] العذاب و نجزى بالثواب، و قد كان منكم من يقول: أنا أكفى عشرة من ملائكة النار، ثم أشار إلى انقطاع الأسباب فقال مسببا عن ذلك: ﴿ فان كان لكم ﴾ اى ايها المكذبون على وجه هو ثابت من ذواتكم ﴿ كيد ﴾ أى مقاواة بنوع حيلة او شدة ﴿ فكيدون ه﴾ تقريع[3] لهم على كيدهم لاوليائنا المؤمنين فى ١٠ الدنيا - بما مكنهم به من الأسباب و تنبيه على أنه من آذى و ليه[4] فقد آذنه بالحرب[6] و على أنهم عاجزون.

و لما كانوا[5] أقل من أن يجيبوا عن هذا و أحقر [من - [7]] أن يمهلوا للكلام، قال مترجما لحالهم بعد هذا الكلام منبها على أنهم لوعقلوا بكوا على أنفسهم الآن لأنه[8] لاحيلة لهم إذ ذاك[9]: ﴿ويل يومئذ﴾ أى ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: للفصل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نعلى. (٣) فى ظ: اى تقريعا على (٤) من ظ وم، و فى الأصل: فه و ايـا (٥) من ظ وم، و فى الأصل: فى محاربته (٦) من ظ وم، و فى الأصل: كان طبعهم. (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لأنهم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الان.

إذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة فى عذابهم ﴿للمكذبين﴾ اى الراسخين فى التكذيب [بأن السماء -[1]] تفرج كما كانوا يكذبون بأنه يفصل بينهم بعد الموت .

و لما كان الواقع بعد الفصل قرار كل فى داره ، و [كان -[1]] قد
٥ بدأ بالمكذبين لأن التحذير فى السورة أعظم ففصلهم عن المصدقين فقال : انطلقوا - إلى آخره ، ثنى باضدادهم الفريق الناجى المشار إليه فى آخر الإنسان بقوله تعالى « يدخل من يشاء فى رحمته » فقال مؤكدا لأجل تكذيب الكفار بتلك الدار و بأن يكون المؤمنون أسعد منهم : ﴿ ان المتقين ﴾ اى الذين كانوا يجعلون بينهم و بين كل ما يغضب الله
١٠ وقاية مما يرضيه لعراقتهم فى هذا الوصف يوم القيامة ﴿ فى ظلل ﴾ هى فى الحقيقة الظلال [لا - [1]] كما تقدم من ظل الدخان ، و لا يشبهها أعلى ظل فى الدنيا و لا أحسنه[2] إلا بالاسم ، و دل [على - [3]] أنها على حقيقتها بقوله : ﴿ و عيون ﴾ لأنها تكون عنها الرياض و الأشجار [الكبار - [1]] كما دل على أن ذلك الظل المتشعب للتهكم بما ذكر بعده
١٥ من اوصاف النار ، فهذه العيون تبرد الباطن[4] و تنبت الأشجار المظلة كما أن اللهب يحرق[5] الظاهر و الباطن و يهلك ما قرب منه من شجر و[6] غيره فلا / يبقى و لا يذر . /٦٣٨

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : حسنه (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الباطل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يحرق .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : أو .

و لما

و لما ذكر العيون، اتبعها ما ينشأ[1] عنها فقال دالا على ان عيشهم كله لذة: ﴿و فواكه﴾ و لما [2]كان يوجد[2] فى فواكه الدنيا الدون، قال[3] دالا على [4]أن عيشهم كله لذة و[4] أنه ليس هناك دون: ﴿مما يشتهون ه﴾ أى بغاية الرغبة .

و لما فهم[5] من التعبير [بـ « فى » -[6]] أنهم متمكنون من هذا جميعه ٥ تمكن المظروف من ظرفه، قال منبها على أنه أريد بالفاكهة جميع المآكل، و إنما عبر بها إعلاما بأن كل اكل فيها تفكه ليس منه شيء لجلب نفع غير اللذة[7] و لا دفع ضر: ﴿كلوا﴾ أى مقولا لهم: تناولوا جميع المآكل على وجه التفكه و التلذذ لا لحفظ الصحة فانها حاصلة بدونه ﴿واشربوا﴾ اى من جميع المشارب[8] كذلك فان عيونها ليست من الماء خاصة بل ١٠ من كل شراب أكلا وشربا ﴿هنيئا﴾ ليس فى شيء من ذلك توقع ضر[9]، و زاد فى نعيمهم بأن جعل ذلك عوضا فقال: ﴿بما كنتم﴾ أى بجبلاتكم التى جبلتكم[10] عليها ﴿تعملون ه﴾ أى فى الدنيا من الأعمال الصالحة المبنية على أساس العلم الذى أفاد التصديق بالجنة فأوجب دخولها كما أوجب

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بيشها (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: كانوا قد يجدوا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فقال (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ وم، و فى الأصل: افهم (٦) زيد من ظ وم. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الذره (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ضرر (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: جبلكم .

تكذيب المجرمين بالنار دخولهم إياها وعذابهم بها، و تكذيبهم بالجنة طردهم عنها و حرمانهم لنعيمها جزاء وفاقا .

و لما كان ربما توهم متوهم أن هذا [لناس - [1]] معينين فى زمن[2] مخصوص[3]. قال معلما بالتعميم مؤكدا ردا على من ينكر : ﴿ انا ﴾ أى

٥ بما[4] لنا من العظمة[5] ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم[6] ﴿ نجزى المحسنين ﴾ أى كل من كان عريقا فى وصف[7] الإحسان لسنة كملوك الدنيا، يعوقهم [عن - [1]] الإحسان إلى[8] بعض المحسنين عندهم بما يرونه جزاء لهم بعض أهل مملكتهم لما لهم من الأهوية و للوكهم من الضعف .

١٠ و لما كان هذا النعيم عذابا [عظيما - [1]] على من لا يناله قال: ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى [إذ - [1]] يكون هذا النعيم للتقين المحسنين ﴿ للمكذبين ﴾ أى الذين يكذبون بأن الجبال تنسف فتكون الأرض كلها سهلة دمثة مستوية لا عوج فيها أصلا صالحة للعيون و الأشجار و التبسط فى أرجائها كيفما يريد صاحبها و يختار .

١٥ و لما ذكر نعيم أهل الجنة الذى لا ينقضى لأن لهم غاية المكنة فيه ، و كان ذلك آجلا ، و كان المكذبون فى اتساع فى الدنيا ، و تقدم قوله

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م . و فى الأصل وظ : وقت (٣) سقط من م.
(٤) من م ، و فى الأصل : ما (٥) العبارة من « معينين » إلى هنا ساقطة من ظ .
(٦) زيد فى الأصل : كذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) سقط من ظ و م (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : على .

تعالى «ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع» ، وكان الشقاء متى وقع بعد
نعيم نسخه و عد النعيم - و لو كان كثيرا طويلا - قليلا ، قال نتيجة لجواب
القسم ضد ما يقال للتقين تسلية لهم و تحزينا للمكذبين بناء على ما تقديره :
إن المكذبين فى هذه الدنيا فى استدراج و غرور ، و يقول لهم لسان
الحال المعرب عن أحوالهم[1] فى المآل توبيخا و تهديدا : ﴿ كلوا ﴾ / أى ٥ / ٣٩
أيها المكذبون فى هذه الدنيا ﴿ و تمتعوا ﴾ أى كذلك بمثل الجيفة ،
فان المتاع من[2] اسمائها كما مر غير مرة عن أهل اللغة ﴿ قليلا ﴾ أى
و إن امتد زمنه فانه زائل مع قصر مدته فى مدة الآخرة ، و لا يؤثر
ذلك على الباقى النفيس إلا خسيس[3] الهمة ، قال الرازى ، و قال بعضهم :
التمتع بالدنيا[4] من أفعال الكافرين ، و السعى لها من أفعال الظالمين ، ١٠
و الاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين ، و السكون فيها على حد الإذن
و الأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين ، و الإعراض
عنها من أفعال الزاهدين ، و أهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم
حب الدنيا و بغضها و جمعها و تركها .

و لما أحلهم[5] هذا المحل الخبيث ، وكان التقدير : فانه لابد من وقوع ١٥
العذاب بكم يوم الفصل ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأنهم ينكرون وصفهم
بذلك : ﴿ انكم مجرمون ه ﴾ أى عريقون فى قطع كل ما أراد الله به أن

---

(١) فى ظ : اعمالهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الدنيا .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : احل .

يوصل ، فلا جائز أن تعاملوا معاملة المحسنين ، فلذلك كانت نتيجة هذا ﴿ويل يومئذ﴾ اى إذا[1] تعذبون بأجرامكم ﴿للمكذبين ه﴾ اى بوصول الرسل إلى و قتها المعلوم الذي كانت تتوعد به المجرمين في الدنيا [2]حيث كذبوهم[2] لأجل تمتعهم هذا القليل الكدر[3]، و عرضوا أنفسهم للعذاب ٥ الدائم المستمر .

و لما كان التقدير : فانهم كانوا فى دار العمل إذا قيل لهم آمنوا لايؤمنون ، عطف عليه قوله : ﴿و اذا قيل لهم﴾ أى لهؤلاء المجرمين[4] من أى قائل كان ﴿اركعوا﴾ أى صلوا الصلاة التى فيها الركوع ، و أطلقه عليها تسمية لها باسم جزء منها ، وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع ١٠ و الطاعة ، و لأنه خاص بصلاة المسلمين ، و لأن بعض العرب نفر عن الدين من أجله ، و قال : لا أجبي لأن فيه - زعم - إبرازا[5] للاست فيكون ذلك مسبة ، و كذلك السجود ، قال فى القاموس : جبى تجبية : وضع يديه على ركبتيه أو على الأرض أو انكب على وجهه ، و التجبية أن تقوم قيام الركوع ﴿لا يركعون ه﴾ أى لا يخضعون و لا يوجدون الصلاة ١٥ فلذلك كان وعيدهم ، و فيه دلالة على [أن - [6]] الامر للوجوب ليستحق تاركه العذاب و على أن الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ويل يومئذ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يومئذ (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كوكوهم - كذا (٣) فى ظ : الكدر (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : الابراز (٦) زيد من ظ و م .

اى

اى إذ[1] يكون الفصل ﴿للمكذبين ﴾ اى[2] بذلك الذي تقدم[3] في هذه[3] السورة أو بشيء منه أو بغيره مما جاءت به الرسل، و قد كررت هذه الجملة بعدد أجزاء طرف القسم أو[4] أجزاء الجواب لتكون كل جملة منها وعيدا على التكذيب بواحد من [تلك -[5]] الأجزاء، و تكون هذه الجملة العاشرة مؤكدة لتلك التسع، و تكملة[6] لعدها و معناها، و معلمة بأن الويل ٥ لهم دائما من غير انقضاء كما أن الواحد لا انقضاء له.

و لما أعلم هذا[7] أن لهم الويل دائما، / ذكر أن سببه عدم الإيمان / ٦٤٠ بالقرآن و ان من لم يؤمن بالقرآن لم يؤمن بشيء أبدا، فقال مسببا عن معنى الكلام: ﴿ فبأيّ حديث ﴾ أى ذكر يتجدد نزوله على المرسل به في كل وقت تدعو إليه حاجة ﴿ بعده ﴾ أى بعد هذا القرآن الذى ١٠ هو شاهد لنفسه عنه بصحة النسبة إلى الله تعالى من جهة ما حاز من البلاغة فى تراكيبه بالنسبة إلى كل جملة و بالنسبة إلى نظم[8] الجمل بعضها مع بعض، و بالإخبار بالمغيبات و الحمل على المعالى و التنبيه على الحكم و غير ذلك من بحور العلم و رياض الفنون. فالله باعتبار ذلك هو الشاهد بأنه كلامه ﴿ يؤمنون ﴾ أى يجددون[9] الإيمان بسببه[10] بكل ما أتى به ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل: ان (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بهذه (٤) زيد فى الأصل: بشيء منه و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل: تكملة، و فى ظ: مكملة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بهذا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: نظر (٩) من م، و فى الأصل و ظ: يجدد (١٠) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م لحذفناها.

النبي صلى الله عليه و سلم إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث الذى الله شاهد بأنه كلامه بما اشتمل عليه بعد إعجازه من الدلائل الواضحة، و المعانى الشريفة الصالحة، و النظوم الملائمة للطبع و الرقائق المرققة لكل قلب، و البشائر [1]المشوقة لكل سمع[1]، فمن لم يؤمن به لم يؤمن بحديث غيره، ٥ فانه لا شيء يقاربه [2]و لا يدانيه[2]، فكيف [بأن - [3]] يدعى شيء يباريه أو[4] يراقيه، و مثل هذا إنما يقال عند مقاربة اليأس من الموعوظ و العادة قاضية بحلول العذاب إذ ذاك و إنزال البأس، فهو من أعظم[5] أنواع التهديد، فقد رجع آخرها على أولها فى وعيد المكذبين، و انطبق أولها على آخرها فى إخزاء[6] المجرمين - و الله الهادى للصواب[7].

—— (٥) ——

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل : المشوقة السمع (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل «و». (٥) من ظ و م، و فى الأصل : عظيم (٦) من ظ و م، و فى الأصل : اجزء (٧) سقط من ظ و م.

سورة عم يتساءلون[1] و تسمى سورة النبأ

مقصودها الدلالة على أن يوم القيامة - الذي[2] كانوا مجمعين على نفيه، و صاروا بعد بعث النبي صلى الله عليه و سلم في خلاف فيه مع المؤمنين - ثابت ثباتا لا يحتمل[3] شكا و لا خلافا بوجه، لأن خالق الخلق مع أنه حكيم قادر على ما يريد دبرهم أحسن تدبير، بنى لهم مسكنا و أتقنه، ٥ و[4] جعلهم على وجه يبقى به نوعهم من أنفسهم بحيث لا يحتاجون إلى أمر خارج يرونه، فكان ذلك أشد لألفتهم و أعظم لأنس بعضهم ببعض، و جعل سقفهم و فراشهم كافلين لمنافعهم، و الحكيم لا يترك عبيده[5] - و هو تام القدرة كامل السلطان - يمرحون يبغى بعضهم على بعض و يأكلون خيره و يعبدون غيره بلا حساب، فكيف إذا كان حاكما ١٠ فكيف إذا كان أحكم الحاكمين، هذا ما لا يجوز في عقل[6] و لا يخطر ببال أصلا، فالعلم [7]واقع به[7] قطعا، و كل من اسميها واضح في ذلك بتأمل آيته و مبدأ ذكره [و - [8]] غايته ﴿ بسم الله ﴾ الحكيم العليم[9]

---

(١) الثامنة و السبعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها أربعون (٢) من ظ و م، و في الأصل: الذين (٣) من ظ و م، و في الأصل: لا يتمل (٤) من ظ و م، و في الأصل: ثم (٥) من ظ و م، و في الأصل: عبده (٦) زيد في الأصل: عاقل، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: به واقع (٨) زيد من ظ و م (٩) في م: العظيم.

الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى[1] ساوى بين عباده

٦٤١ / فى أصول النعم الظاهرة : الإيجاد و[2] الجاه و المال[2] ، و بيان الطريق الأقوم بالعقل الهادى و الإنزال و الإرسال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من شاء بإتمام تلك النعم[3] فوفقهم لمحاسن[4] الأعمال لما أخبر فى المرسلات

٥ بتكذيبهم بيوم الفصل و حكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، و ختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء ، افتتح هذه بأن[5] ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول[6] فى أمره لايقبل النزاع لما ظهر من بيان القرآن لحكمة الرحمن التى لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز فى البيان ، فقال معجبا منهم غاية العجب زاجرا لهم و منكرا عليهم و متوعدا لهم

١٠ و مفخما للأمر بصيغة الاستفهام منبها على أنه ينبغى أن لايعقل خلافهم، و لا يعرف محل نزاعهم ، فينبغى أن يسأل عنه كل أحد حتى العالم به إعلاما بأن ما يختلفون فيه[7] لوضوحه لايصدق ان عاقلا يخالف أمره[8] فيه و أنه لا ينبغى التساؤل [إلا ـ[9]] عما هو خفى فقال : ﴿ عمّ ﴾ أى عن أى شيء ـ خفف لفظا و كناية بالإدغام ، و حذف ألفه لكثرة الدور

١٥ و الإشارة إلى أن هذا السؤال مما ينبغى أن يحذف ، فان لم يكن فيخفى و يستحى من ذكره و يخفف ﴿ يتسآءلون ج ﴾ أى أهل مكة لكل من يسأل

---

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المال والجاه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : النعيم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمحاسن.
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الرسل (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٨) سقط من م (٩) زيد من ظ و م .

عن

عن شيء من القرآن سؤال شك و توقف و تلدد فيما بينهم و بين الرسول صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضي الله عنهم ، و لشدة العجب سمى جدالهم و إنكارهم[1] وعنادهم - إذا تليت عليهم آياته و جليت بيناته - مطلق سؤال .

و لما فخم ما يتساءلون عنه معجبا [2]منهم فيه[2]، بينه بقوله إعلاما بأن ذلك الإبهام ما كان إلا للاعظام : ﴿عن النبأ﴾ أي من رسالة ٥ الرسول و إتيانه بالكتاب المبين ، و إخباره عن يوم الفصل ، و الشاهد بكل شيء من ذلك الله باعجاز هذا الحديث ، و بوعده الجازم الحثيث .

و لما كان في مقام التفخيم له ، وصفه تأكيدا بقوله : ﴿العظيم ۙ﴾ مع أن النبأ لا يقال إلا لخبر عظيم [شأنه -[3]] ، ففي ذلك [كله -[3]] تنبيه على أنه من حقه أن يذعن له كل سامع و يهتم بأمره[4] ، لا أن يشك فيه ١٠ و يجعله موضعا للنزاع ؛ و عظم توبيخهم بقوله : ﴿الذي هم﴾ أي بضمائرهم مع ادعائهم أنها أقوم الضمائر ﴿فيه مختلفون ۝﴾ أي شديد [5]اختلافهم و ثباتهم[5] فبعضهم صدق و بعضهم كذب ، و المكذبون بعضهم شك و بعضهم جزم و قال بعضهم : شاعر ، و بعضهم : ساحر - إلى غير ذلك [من الأباطيل -[3]] ، و ذلك الأمر هو أمر النبي صلى الله عليه و سلم ١٥ الذي أهمه البعث بعد الموت اشتد التباسه عليهم و كثرت[6] مراجعتهم فيه و مساءلتهم عنه مع[7] عظمه و عظم ظهوره ، و العظيم لا ينبغي الاختلاف

---

(١) زيد في الأصل : و عقايدهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.
(٢ - ٢) من ظ و م ، و في الأصل : منه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : به (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : ثباتهم و اختلافهم .
(٦) من ظ و م ، و في الأصل : كثرة (٧) من ظ و م ، و في الأصل : في .

فيه بوجه، فإن ذا المروءة لاينبغي له ان يدخل فى امر إلا وهو على بصيرة فكيف به إذا كان عظيما فكيف به إذا تناهى عظمه فكيف به / إذا كان أهم ما يهمه فإنه يتعين عليه أن يبحث عنه غاية البحث و يطلب فيه الأدلة و يفحص عن البراهين و يستوضح الحجج حتى يصير من أمره ٦٤٢ /

٥ بعد [١]علم اليقين[١] إلى عين اليقين من حين يبلغ مبلغ الرجال إلى أن يموت فكيف إذا كان بحيث تتلى عليه الأدلة و تجلى لديه قواطع الحجج و تجلب[٢] إليه البينات و هو يكابر فيها و يمارى[٣]، و يعاند و يدارى .

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : سورة النبأ أما مطلقها فرتب [٤]على تساؤل[٤] و استفهام وقع[٥] منهم و كأنه وارد هنا فى معرض العدول

١٠ و الالتفات ، و أما قوله " كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون " فناسب للوعيد المتكرر فى قوله "ويل يومئذ للمكذبين" و كأن قد قيل : سيعلمون عاقبة تكذيبهم ، ثم أورد تعالى من جميل صنعه و ما[٦] إذا اعتبره المعتبر علم أنه لم يخلق [٧]شيء منه[٧] عبثا بل يعتبر به و يستوضح وجه الحكمة فيه ، فعلم أنه لابد من وقت ينكشف فيه الغطاء و يجازى الخلائق على نسبة من أحوالهم فى الاعتبار و التدبر[٨] و الخضوع لمن نصب مجموع

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تجلت (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يمادى (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التساول (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : واقع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اما (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منه شيء (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : التدبير .

تلك الدلائل ، و يستشعر من تكرار الفصول و تجدد الحالات و إحياء الأرض بعد موتها ، جرى ذلك فى البعث و اطراد الحكم ، و إليه الإشارة بقوله "كذلك نخرج الموتى" و قال تعالى منبها على ما ذكرناه "الم نجعل الارض مهادا - إلى قوله - و جنات الفافا" فهذه المصنوعات المقصود بها الاعتبار كما قدم ، ثم[1] قال تعالى "ان يوم الفصل كان ٥ ميقاتا" أى موعدا لجزائكم لو اعتبرتم بما ذكر لكم اعلمتم منه وقوعه و كونه ليقع جزاؤكم على ما سلف منكم «فويل يومئذ للمكذبين» و يشهد لهذا القصد مما بعد[2] من الآيات قوله تعالى لما ذكر ما أعد للطاغين "انهم كانوا لايرجون حسابا و كذبوا بآياتنا كذابا و كل شيء احصيناه كتابا" ثم قال بعد" ان للمتقين مفازا حدائق و اعنابا" و قوله بعد "ذلك ١٠ اليوم الحق" و أما الحياة الدنيا فلعب و لهو و إن الدار الآخرة لهى الحيوان، و قوله بعد "يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا" انتهى . و لما كان [الأمر -[3]] من العظمة فى هذا الحد قال مؤكدا لأن[4] ما اختلفوا فيه و سألوا عنه ليس موضعا للاختلاف و التساؤل بأداة الردع ، فقال تهديدا لهم و توكيدا لوعيدهم: ﴿ كلا ﴾ ١٥ أى ليس ما سألوا عنه و اختلفوا فيه بموضع اختلاف أصلا . و لا يصح أن يطرقه ريب بوجه من الوجوه فلينزجروا عن ذلك و ليرتدعوا قبل

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد .
(٣) زيد من ظ و م ، و حيثما لا تذكر نسخة « م » فهذا يعنى أنها مطموسة فى ذلك المكان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: لبيان.

حلول ما لا قبل لهم به .

و لما كان كأنه قيل : فهل[1] ينقطع ما هم فيه؟ أجاب بقوله مهددا حاذفا متعلق العلم للتهويل لأجل ذهاب النفس كل مذهب : ﴿ سيعلمون ﴾ أى يصلون / إلى حد يكون حالهم فيه فى ترك العناد حال العالم بكل ٦٤٣ / ما ينفعهم و يضرهم ، و هذا عن قريب بوعد لاخلف فيه[2] ، و يكون لهم حينئذ عين اليقين الذى لايستطاع دفاعه بعد علم اليقين الذى دافعوه ، و عظم رتبة هذا الردع و التهديد و الزجر و الوعيد بقوله : ﴿ ثم كلا ﴾ أى أن أمره فى ظهوره رادع عن الاختلاف[3] فى أمره ﴿ سيعلمون ﴾ أى بعد الموت بعد علمهم قبله ما يكون من أمره بوعد صادق لاشك فيه ، و يصير حالهم إذ ذاك حال العالم فى كفهم عن العناد ، و هم بين ذلول و ذليل و حقير و جليل ، فأما من اخترناه منهم للايمان فيكون ذلولا ، و من اردنا شقاءه بالكفران فتراه ناكسا ذليلا ، و يشترك الكل بالذوق فى حق اليقين ، و [قد - [4]] كان هذا كما قال الجليل بعد زمن قليل عند ما أوقعتهم أيام الله و أرغمت منهم الأنوف[5] و أذلت الجباه ، و قراءة[6] ابن عامر على ما قيل عنه بتاء الخطاب أعظم فى[7] الوعيد و أدل على[8] الاستعطاف للتاب .

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : هل (٢) فى م : له (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اختلاف (٤) زيد من ظ (٥) فى م : الأنف (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قرأ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فى

و لما حقق[1] لهم أمره تحقيق من هو على غاية الوثوق بما يقول، دل على ذلك بما لا يحتمل شكا و لا وقفة أصلا، فقال مقررا لهم و منكرا عليهم التساؤل [بما ندب إليه من التأمل و قرر به من النظر فى باهر آياته و غرائب مخلوقاته التى أبدعها -[2]] من العدم دلالة تامة عظيمة على كمال القدرة مع تمام الحكمة الموجب للقطع بكل ما نبهت عليه الرسل ٥ من الشرائع و البعث و الجزاء بادئا بما هم [له -[3]] أشد ملابسة و هو الظرف: ﴿ الم نجعل ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ الارض مهٰدا لا ﴾ أى فراشا لكم موطئا مذللا يمكن الاستقرار عليه لتتصرفوا فيها كيف شئتم ﴿ و الجبال ﴾ أى تعرفون شدتها و عظمتها و عجزكم عن أقل شيء من أمورها ﴿اوتادا صلے ﴾ تثبتها كما أن البيت لا يثبت إلا بأوتاده، قال الأفوه ١٠ الاودى:

و البيت لا يبتنى إلا له عمد و لا عماد إذا لم ترس أوتاد

و ذلك اثلا تميد [بكم - [3]] فانها[4] معلقة على فضاء العلم ممسكة بيد القدرة، فلولا الجبال لعظم ثقلها لأنها بمنزلة السفينة العالية الفارغة على متن البحر فهى فى غاية الحركة لا سيما إذا عظمت الريح فانها حينئذ لا يستقر عليها ١٥ قائم و لا يثبت قاعد و لا نائم[5]، فالجبال بمنزلة الأمتعة الثقيلة التى تنزلها فى الماء[6] فتحفظ عن[6] كثرة التقلب فكيف يصح بوجه أن يتوقف فى إخبار

---

(١) من ظ، و فى الأصل: احق، و فى م: حق (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لأنها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قائم (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: فتحفظها من.

من هذه قدرته لاسيما إذا كان ذلك المخبر به مما[1] ركز سبحانه أمره فى الفطر الأولى و قرر صحته فى العقول التقرير الأوضح الأجلى .

و لما ذكر بما فى الظرف الذى هو فرشهم من الدلالة على تمام القدرة ، أتبعه التذكير بما فى المظروف و هو أنفسهم لتجتمع آيات الأنفس

٥ و الآفاق فيتبين لهم أنه الحق فقال : ﴿و خلقنكم﴾ أى بما دل على ذلك من مظاهر العظمة ﴿ازواجا﴾ طوالا و قصارا و حسانا و دماما و ذكرانا و إناثا لجميع أصنافكم على تباعد / أقطارهم و تنائى ديارهم لتدوم أنواعكم إلى الوقت الذى يكون فيه انقطاعكم[2] . /٦٤٤

و لما ذكر ما هو سبب ابقاء النوع ، ذكر ما هو سبب لحفظه[3]

١٠ من إسراع الفساد فقال : ﴿و جعلنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿نومكم﴾ الذى ركبنا البدن على قبوله ﴿سباتا﴾ [أى -[4]] قطعا عن الإحساس و الحركة التى أتعبتكم فى نهاركم مع[5] الامتداد و الاسترسال إراحة للقوى الحيوانية و الحواس الجثمانية[6] و إزاحة لكلالها[7] مع أنه قاطع لكمال الحياة، فهو مذكر [8]بالموتة الكبرى[8] و الاستيقاظ مذكر بالبعث ، قال الزجاج[9] :

١٥ السبات أن ينقطع عن الحركة و الروح فيه .

(١) زيد فى الأصل : القدرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انفطاركم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حفظه . (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : من (٦) من ظ وم ، و فى الأصل : الجسمانية (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : لكلاها (٨-٨) من ظ وم ، و فى الأصل : بالموت الكبير (٩) راجع المعالم ١٦٦/٧ .

و لما ذكر النوم، اتبعه وقته الأليق به مذكرا بنعمة الظرف الزمانى بعد التذكير بالظرف المكانى، فقال دالا[1] بمظهر العظمة على عظمه: ﴿و جعلنا الّيل﴾ أى بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن ﴿لباسا﴾ أى غطاء و غشاء ساترا بظلمته[2] ما أتى عليه عن العيون كما يستره اللباس لتسكنوا فيه عن المعاش ﴿و جعلنا النهار﴾ أى الذى آيته الشمس ﴿معاشا﴾ أى وقتا للتقلب الذى هو من أسباب التحصيل الذى هو من أسباب المعاش، و هو العيش و وقته و موضعه، و مظهرا لما ستره الليل، فالآية من الاحتباك: ذكر اللباس أولا دليلا على حذف ضده ثانيا، و المعاش ثانيا دليلا على حذف ضده أولا.

و لما ذكر المهاد وما فيه، أتبعه السقف الذى بدورانه يكون الوقت الزمانى و ما يحويه من القناديل الزاهرة و المنافع الظاهرة لإحياء المهاد ومن فيه من العباد فقال: ﴿و بنينا﴾ أى بناء عظيما ﴿فوقكم﴾ أى عاما لجميع جهة الفوق، و هى عبارة تدل على الإحاطة ﴿سبعا﴾ اى من السماوات ﴿شدادا﴾ أى هى فى غاية القوة و الإحكام، لاصدع فيها و لافتق، لايؤثر فيها كر العصور ولا مر الدهور، حتى يأتى أمر الله باظهار عظائم[3] المقدور.

و لما ذكر السقف، ذكر [بعض -[4]] ما فيه [من أمهات المنافع -[4]] فقال دالا بمظهر العظمة على عظمها: ﴿و جعلنا﴾ أى بما لا يقدر عليه غيرنا

---

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عظام (٤) زيد من ظ و م.

﴿سراجا﴾ اى نجما منيرا جدا ﴿وهاجا ﴿١٣﴾﴾ اى هو مع تلألؤه و شدة ضيائه حار مضطرم الاتقاد و هو الشمس، من قولهم: وهج الجوهر: تلألأ. و الجمر: اتقد.

و لما ذكر ما يمحق الرطوبة بحرارته. أتبعه ما يطفىء الحرارة برطوبته

٥ و برودته فينشأ عنه المأكل و المشرب، [1]التى بها[1] تمام الحياة و يكون تولدها من الظرف بالمهاد و السقف، و جعل ذلك أشبه شيء بما يتولد[2] بين الزوجين من الأولاد. فالسماء كالزوج و الأرض كالمرأة، و الماء كالمنى، و النبات من النجم [و الشجر -[3]] كالأولاد فقال[4]: ﴿و انزلنا﴾ اى مما يعجز غيرنا ﴿من المعصرٰت﴾ أى السحائب التى أثقلت بالماء فشارفت[5] أن

١٠ يعصرها الرياح فتمطر كما حصد الزرع- إذا حان له أن يحصد، قال الفراء[6]: المعصر[7]: السحابة التى تتحلى بالمطر و لا تمطر كالمرأة المعصرة / و هى التى دنا حيضها و لم تحض، [و -[3]] قال الرازى: السحائب التى دنت أن تمطر كالمعصرة التى دنت من الحيض ﴿مآء ثجاجا ﴿١٤﴾﴾ أى منصبا بكثرة يتبع بعضه بعضا، يقال: ثجه و ثج بنفسه.

/ ٦٤٥

١٥ و لما ذكر بدايته، أتبعها[8] نهايته فقال: ﴿لنخرج﴾ أى بعظمتنا التى ربطنا بها المسببات بالأسباب ﴿به﴾ أى الماء [تسبيبا -[3]] ﴿حبا﴾

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: توالد (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تشاوقت (٦) راجع البحر المحيط ٤٠٩/٨ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المعصرات (٨) من ظ و م، و فى الأصل: واتبعه.

أى

اى بحا ذا حب هو مقصوده لأنه يقتاته العباد، صرح به لأنه المقصود و بدأ به لأنه القوت الذى به البقاء كالحنطة و الشعير و غيرهما ﴿و نباتا لا﴾ يتفكهون و يتنزهون فيـــه و تعتلفه[1] البهائم. و لما كان من المشاهد الذى لايسوغ إنكاره أن فى الأرض من البساتين ما يفوت الحصر، عبر بجمع[2] القلة تحقيرا له بالنسبة إلى باهر العظمة و نافذ الكلمة فقال: ٥ ﴿و جنّٰت﴾ أى بساتين تجمع أنواع الأشجار و النبات[3] المقتات و غيره ﴿الفافا ه﴾ أى ملتفة الأشجار مجتمعة بعضها إلى بعض من شدة الرى، جمع لف كجـذع[4]، قال البغوى[5]: و قيل: هو جمع الجمع، يقال: جنة لفاء، و جمعها لف - بضم اللام، و جمع الجمع ألفاف. و تضمن هذا الذى ذكره المياه النابعة الجارية و الواقفة، فاكتفى بذكره عن ذكرها، ١٠ قال مقاتل: و كل من هذا الذى ذكر أعجب من البعث.

و لما[6] ذكر [7]ما دل[7] على غاية القدرة و نهاية الحكمة فدل قطعا على الوحدانية لأنه لو كان التعدد لم تكن الحكمة و لم تتم القدرة، فأثمر المحبة لمن اتصف بذلك، فأنتج للطائع الشوق إلى لقائه و الترامى إلى مطالعة كمال نعمائه، و للعاصى ما هو حقيق به من الخوف من لقائه ليرده[ذلك -[8]] ١٥

---

(١) من ظ و م، وفى الأصل: يعلفه (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بجميع. (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كزرع (٥) فى معالم التنزيل ٧/١٦٧ (٦) زيد فى الأصل: كان ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: دلالة (٨) زيد من ظ و م.

عن إعراضه و إبائه ، أتبعه ما أعلم انه ما ذكره إلا للدلالة على النبإ العظيم فى لقاء العزيز الرحيم ، فقال منتجا عما مضى من الوعيد و ما دل على تمام القدرة مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان يوم الفصل ﴾ [أى -[1]] الذى هو النبأ العظيم ، و تقدم الإنذار به فى المرسلات و ما خلق الخلق
٥ إلا لجمعهم[2] فيه و إظهار صفات الكمال ليفصل فيه[3] بين كل ملبس فصلا لا شبهة فيه و يؤخذ للظلوم من الظالم ﴿ كان ﴾ أى فى علم الله و حكمته كونا لابد منه جعل فيه كالجبلة فى ذوى الأرواح ﴿ ميقاتا ﴾ أى حدا يوقت به الدنيا و تنتهى عنده مع ما فيها من الخلائق .

و لما ذكره ، ذكر ما فيه تعظيما له و حثا على الطاعة فقال مبدلا منه
١٠ أو مبينا له : ﴿ يوم ﴾ و لما كان الهائل المفزع النفخ ، لا كونه من معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ ينفخ ﴾ أى من نافخ أذن[4] الله له ﴿ فى الصور ﴾ و هو قرن من نور على ما قيل سعته أعظم مما بين السماء و الأرض ، و هى نفخة البعث و هى الثانية من النفخات الأربع [5]كما مر فى آخر الزمر[5] / ، و لذلك قال : ﴿ فتاتون ﴾ أى بعد القيام من القبور إلى الموقف[6] ٦٤٦ /
١٥ أحياء كما كنتم أول مرة لا تفقدون من أعضائكم و جلودكم و أشعاركم و أظفاركم[7] و ألوانكم الأصلية شيئا يجمعكم من الأرض بعد أن تمزقتم

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لجميعهم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بـه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اذل (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على ما مر فى سورة الزمر فى آخرها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : موقف (٧) زيد فى الأصل : و اطلافكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

فيها، و اختلط تراب من بلى منكم بترابها و تراب بعضكم ببعض، و تمييز ذلك و جمعه و تركيبه كما كان و إعادة الروح فيه يسير عليه سبحانه و تعالى كما فعل ذلك كله من نطفة بعد أن فعله فى آدم عليه السلام من تراب لا أصل له فى الحياة، حال كونكم ﴿ افواجاً ﴾ أى أمما و زمرا و جماعات مشاة مسرعين كل أمة بامامها، روى الثعلبى و ابن ٥ مردويه عن البراء[1] رضى الله عنهم - و قال شيخنا ابن حجر فى ترجمة محمد ابن زهير فى لسان الميزان[2]: إنه ظاهر الوضع - أن معاذا رضى الله عنه سأل عن هذه الأفواج فقال النبى[3] صلى الله عليه و سلم: إن أمتى تحشر على عشرة أصناف: على صور[4] القردة، و على صور[4] الخنازير، و بعض منكسون يسحبون على وجوههم، و بعض عمى و بعض صم[5] بكم، و بعض ١٠ يمضغون ألسنتهم، فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، و بعض منقطعة[6] أيديهم و أرجلهم، و بعض مصلوبون[7] على جذوع من نار، و بعض أشد نتنا من الجيف، و بعض ملبسون جبابا [سابغة - [8]] من قطران لازقة بجلودهم، [9]فسرهم بالقتات[9] و آكلى السحت و أكلة الربا و الجائرين[10] فى الحكم و المعجبين بأعمالهم و العلماء ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: البزار (٢) راجع ٧/١٧٠ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: صورة (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: منقطع. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: مصلبون (٨) زيد من ظ و م (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: فسر بالقينات (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الجبارين.

الذين يخالف [١]قولهم فعلهم[١] و المؤذين للجيران و الساعين بالناس للسلطان، و التابعين للشهوات المانعين حق الله تعالى و المتكبرين خيلاء.

و لما ذكر الآية فى أنفسهم ذكر [٢]بعض آيات[٢] الآفاق، و بدأ بالعلوى لانه أشرف فقال بانيا للمفعول لان[٣] المفزع مطلق التفتيح،
٥ و لأن ذلك أدل على قدرة الفاعل و هوان[٤] الأمور عليه: ﴿و فتحت السمآء﴾ اى شقق هذا الجنس تشقيقا كبيرا، و قرأ الكوفيون بالتخفيف لأن التكثير[٥] يدل عليه ما سبب عن الفتح من قوله: ﴿فكانت﴾ أى [كلها - [٦]] كينونة كأنها جبلة لها ﴿ابوابا [٧]﴾ أى كثيرة جدا لكثرة الشقوق الكبيرة[٧] بحيث صارت كأنها لاحقيقة لها إلا الأبواب.

١٠ و لما ذكر السقف، ذكر أقرب الأرض إليه و أشدها، فقال على طريقة كلام القادرين أيضا: ﴿و سيرت﴾ أى حملت بأيسر أمر على السير ﴿الجبال﴾ على ما تعلمون من صلابتها و صعوبتها فى الهواء كأنها الهباء المنثور، و على ذلك دل قوله: ﴿فكانت﴾ أى كينونة راسخة ﴿سرابا[٥]﴾ أى لا نرى فيها إلا خيالا يتراءى [٨]و هى سايرة تمر مر[٨] السحاب
١٥ ثم تخفى لتناثر أجزائها كالهباء - يا لها من عظمة تجب لها القلوب و تتعاظم / الكروب.

/ ٦٤٧

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فعلهم قولهم (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: الآيات (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: أهون (٥) من ظ و م، و فى الأصل: النكر (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ، و فى الأصل و م: الكثيرة (٨-٨) فى ظ و م: هو سائره.

و لما

و لما بين ان يوم الفصل هو النبأ العظيم بعد ان دل عليه و ذكر ما فيه من المسير ، ذكر ما إليه من الدارين المصير ، فقال بعد التذكير بما فى الجبال من العذاب بحزونتها[١] و ما فيهـــا من السباع و الحشرات و الأشجار الشائكة و القواطع المتشابكة و غير ذلك من عجائب التقدير مؤكدا[٢] لتكذيبهم: ﴿ان جهنم﴾ أى النار التى تلقى أصحابها متجهمة لهم ٥ بغاية ما يكرهون ﴿كانت﴾ أى[٣] جبلة و[٣] خلقا ﴿مرصادا ﴾ أى موضع رصد[٤] لأعداء الله ترصدهم فيها خزنة النار ، فاذا رأوهم كردسوهم فيها ، [٥]و لأولياء الله[٥] ترصدهم فيها خزنة الجنة لإنجائهم [٦]من النار[٦] عند ورودها أو هى راصدة بليغة الرصد للكفار حتى صارت مجسدة [٧]من الرصد[٧] لتجمع أصحابها فلا يفوت منهم واحد كالمطعان لكثير الطعن ، و المكثار ١٠ للبالغ[٨] فى الإكثار[٩] ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن على جسر جهنم سبعة[١٠] محابس يسئل عند[١١] أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله ، فان جاء بها تامة جاز إلى [الثانى فيسئل عن الصلاة ، فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : بحرونتها (٢) زيد فى الأصل : لانكارهم معجبا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥-٥) من م ، وفى الأصل وظ : اما اولياء الله فان الجنة ترصدهم. (٦-٦) فى ظ و م : منها (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للرصد (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الكثير المبالغ (٩) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ ، و فى الأصل و م : سبع (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : على .

فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز إلى ـ[١]] الرابع فيسئل عن الصوم، فان جاء به تاما جاز إلى الخامس فيسئل عن الحج، فان جاء به تاما جاز إلى السادس فيسئل عن [العمرة فان جاء بها تامه جاز إلى السابع فيسأل عن ـ[٢]] المظالم، فان خرج منها و إلا قيل: انظروا فان كان له تطوع
٥ تكمل به أعماله. فاذا فرغ انطلق به إلى الجنة.

و لما كان درء المفاسد أولى من جلب المصالح، قدم ذكر المخوف فقال: ﴿ للطٰغين ﴾ أي المجاوزين [٣]لحدود الله[٣] ﴿ مٰابا ﴾ أي مرجعا و مأوى بعد أن كان الله ذرأهم لها فكأنهم كانوا فيها[٤] ثم هيأهم للخروج منها و البعد عنها بفطرهم الأولى، ثم بما أنزل الله من الكتب و [٥]أرسل
١٠ من الرسل[٥] فكانه بذلك أخرجهم منها، ثم رجعوا إليها بما أحدثوا من التكذيب.

و لما[٦] ذكر مصيرهم إليها ذكر[٧] إقامتهم فيها فقال حالا من ضمير "الطاغين": ﴿ لٰبثين فيهآ ﴾ و لما كان جمع القلة يستعار للكثرة[٨] فكان الحقب يطلق على الزمان من غير حد، و يطلق على زمان محدود، فقيل
١٥ على ثمانين سنة، و على سبعين ألف سنة، فكان السياق من تصدير السورة بالنباء و بوصفه مع التعبير بالنبا العظيم[٩] و ما بعد ذلك يفهم أن المراد

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: الحدود.
(٤) من ظ و م، و في الأصل: لها (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: الرسل الذين ارسلها (٦) من ظ و م، و في الأصل: ثم (٧) من ظ و م، و في الأصل: ذاكر (٨) من ظ و م، و في الأصل: لكثرة (٩) في م: بالعظيم.

الدوام إن اريد ما لا حد له و أن المراد إن أريد المحدود جمع الكثرة، و أكثر ما فسر به[1] الحقب، و أنه للمبالغة[2] لا التحديد، كان جمع القلة هنا غير مشكل، فمن حمله على ما دون ذلك فكفاه زاجرا لم يضره التعبير [به -[3]]، و من اجترا عليه و استهان به كان فتنة له كما كان حصر عدد الخزنة للنار بتسعة عشر[4] فلم يضر إلا نفسه، فلذلك عبر عن ظرف ٥ اللبث بقوله[5]: ﴿ احقابا ﴾ أى دهورا عظيمة متتابعة لا انقضاء لها على أن التعبير به - ولو حمل على الأقل و جعل منقضيا - لاينافى ما صرح فيه بالخلود لأنه أثبت شيئا و لم ينف ما فوقه، و عن الحسن[6] أنه [قال -[7]] : لايكاد يذكر الحقب إلا حيث يراد تتابع الأزمنة/ و تواليها /٦٤٧ من غير انقضاء. ١٠

و لما كان المسكن لايصلح إلا بالاعتدال و الماء الذى هو حياة كل شىء، قال ذاكرا حال هذا اللبث : ﴿ لايذوقون ﴾ أى ساعة ما[8] فكيف بما فوق الذوق ﴿ فيها ﴾ أى النار خاصة، وكأنه أشار بتقديمه[9] إلى أنهم يذوقون فى دار أخرى الزمهرير ﴿ بردا ﴾ اى روحا و راحة لنفعهم من الحر أو مطلق البرد ﴿ و لاشرابا ﴾ من ماء او غيره يغنيهم من العطش ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٢) من ظ و م، و فى الأصل : المبالغة. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : تسعة عشر (٥) زيد فى الأصل : فيها، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) راجع المعالم ٧/١٦٧. (٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م، و فى الأصل : من الساعات (٩) من ظ و م، و فى الأصل : تبغلبية.

على حال من الأحوال ﴿ الا ﴾ [1] حال كون ذلك الشراب ﴿ حميما ﴾ اى ماء حارا يشوى الوجوه قد انتهى حره ﴿ و ﴾ حال كون ذلك الشراب مع حرارته، أو البرد ﴿ غساقا ﴾ أى عصارة أهل النار [2] من القيح و الصديد البارد المنتن، فالاستثناء على هـــذا موزع الحميم من الشراب
٥ و الغساق من البرد، فالحميم شرابهم فى دولة السعير، و الغساق فى دولة الزمهرير .

و لما حكم عليهم بهذا العذاب [الذى لايطاق، ذكر حكمته - [3]] فقال [4] أنه جزاهم [5] بذلك ﴿ جزآء وفاقا ﴾ أى ذا وفاق لأعمالهم [6] لأنهم كانوا يأخذون أموال الناس فيحرقون صدورهم عليها و يبردون بها الشراب
١٠ و يصفونه و يبخرونه، فهم يحرقون الآن بعصارة غيرهم المنتنة، وكأنهم بعد الأحقاب - إن جعلت منقضية - يبدلون عذابا غير الحميم و الغساق، ثم [علل - [3]] عذابهم بقوله، مؤكدا تنبيها على ان الحساب من الوضوح بحالة [7] يصدق به [7] كل أحد، فلا يكاد يصدق ان أحدا يكذب به فلا يجوزه فقال: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى بما هو لهم كالجبلة التى لاتقبل غير
١٥ ذلك فهم يفسدون القوى العلميه بأنهم ﴿ لايرجون ﴾ أى فى حال من الاحوال و لو رأوا كل آية ﴿ حسابا ﴾ فهم لايعملون [8] بغير الشهوات،

---

(١) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : مخبرا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل : جازاهم (٦) من ظ، وفى الأصل وم : اعمالهم (٧-٧) من ظ وم، وفى الأصل : يصدق فيه (٨) من ظ و م، و فى الأصل : لايعلمون .

فوافق هذا خلودهم فى النار، و عبر عن تكذيبهم بنفى الرجاء لأنه ابلغ، و ذلك لأن الإنسان يطمع فى الخير بأدنى احتمال[1].

و لما دل[2] انتفاء رجائهم على تكذيبهم المفسد للقوة العلمية، صرح به على وجه أعم فقال: ﴿ وكذبوا بايٰتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة الدالة[3] أنها من[4] عندنا ﴿ كذابا ﴾ أى تكذيبا هو فى غاية المبالغة بحيث ٥ لو سمعوا أكذب[5] الكذب ما كذبوا به[6] كما كذبوا بها، فكان[7] تجريعهم لما لا يصح[8] أن يشربه أحد[9] - و إن جرع منه [شيئا - [10]] مات فى الحال من غير موت - لهم جزاء على تكذيبهم بالخوارق التى يجرعون بها الصادقين أنواع [11]الحرق، و قرئ[11] بالتخفيف للدلالة على أنهم كذبوا فى تكذيبهم. ١٠

و لما كان التقدير: فكل شيء جعلنا له وزانا، عطف عليه قوله: ﴿وكل شيء﴾ أى مطلقا من أعمالهم و غيرها أو كل ما يقع عليه الحساب

(١) من ظ و م، و فى الأصل: احتماله (٢) من م، و فى الأصل وظ ادلت.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: الدال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: اكذ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بها.
(٧) زيد فى الأصل: فكان تقرمنهم بما لا يوصف و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لا يوصف أيضا (٩) زيد فى الأصل: و يجزج منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) زيد من ظ و م (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل: الحرب و قرا.

/٦٤٨ ﴿احصينه﴾ و لما كان/ الإحصاء موافقا للكتابة [1] فى الضبط، اكد [1] فعله بها فقال: ﴿كتباً﴾ فلا جائز أن نترك شيئا من الاشياء بغير جزاء، و يمكن تنزيل الآية على الاحتباك و هو أحسن: دل [2] فعل الإحصاء على حذف مصدره، و إثبات مصدر "كتب" عليه [3] أى أحصيناه إحصاء
٥ وكتبناه [4] كتابا، و ذلك الإحصاء و الكتب لعدم الظلم.

و لما ذكر عذابهم و وجه موافقته لجزائهم، سبب عن تكذيبهم ما يقال لهم بلسان الحال أو [5] المقال إهانة وزيادة فى الجزاء على طريق الالتفات المؤذن بشدة [6] الخزى و [6] الغضب عليهم [7] و كمال القدرة [6] له سبحانه و تعالى [6] فقال، و يجوز أن يكون سببا عن مقدر بعد "كتابا" [نحو - [8]]:
١٠ ليجازيهم على كل شيء منه، قائلا لهم [6] على لسان [6] الملائكة أو لسان الحال: ﴿فذوقوا﴾ أى من هذا العذاب فى هذا الحال بسبب تكذيبكم بالحساب، و أكد ذوقهم فى الاستقبال فقال: ﴿فلن نزيدكم﴾ أى شيئا من الأشياء [فى وقت من الأوقات - [9]] ﴿الا عذاباً﴾ فان داركم ليس بها إلا الجحيم كما أن الجنة ليس بها إلا النعيم، فأفهم هذا ان حصول [10] شيء
١٥ لهم غير العذاب محال.

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بالضبط (٢) زيد فى الاصل: عليه اى على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عليهم.
(٤) من ظ وم، و فى الأصل: كتبنا (٥) من ظ، و فى الأصل و م "و".
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٧) سقط من ظ وم (٨) زيد من ظ.
(٩) زيد من ظ و م (١٠) تكرر فى الأصل فقط.

و لما ذكر جزاء الكافرين و أشعر آخره بكونه إخزاء، ذكر جزاء المؤمنين المخالفين لهم فقال مستأنفا مؤكـــدا لتكذيب الكافرين به: ﴿ ان للمتقين ﴾ أى الراسخين فى الخوف المقتضى لاتخاذ الوقاية مما يخاف فوقوا أنفسهم من سخط الله بما يرضيه من الأعمال و الأقوال و الأحوال ﴿ مفازا ﴾ أى فوزا و موضع فوز و زمان فوز بالراحة الدائمة من ٥ جميع ما مضى ذكره للطاغين الذين هم أضدادهم، و قد كشفوا أنفسهم للعذاب كل الكشف، ثم فسره أو أبدل منه على حذف مضاف [أى فوز - [1]]: ﴿ حدآئق ﴾ أى بساتين فيها أنواع الأشجار ذوات الثمار و الرياحين لتجمع مع لذة المطعم لذة [2]البصر و الشم[2]، قد أحدقت بها الجدران و حوطت بها، قال ابن جرير[3]: فان لم تكن بحيطان محدقة بها لم يقل لها ١٠ حديقة. و خص أشجار العنب لطيبها و حسنها و شرفها و ما فيها من لذة الذوق، و عبر عن أشجارها بثمرتها إعلاما بأنها لا توجد إلا موقرة حملا وأن ثمرتها هى [جل - [1]] منفعتها فقال: ﴿ و اعنابا ﴾.

و لما ذكر المساكن النزهة المؤنقة المعجبة، ذكر ما يتمتع به و هو جامع لألذاذ الحواس: البصر و اللمس و الذوق[4] فقال: ﴿ وكواعب ﴾ أى ١٥ نساء كعبت ثديهن ﴿ اترابا ﴾ أى على سن واحد ما مس جلد واحدة التراب قبل الأخرى، بل لو كن مولودات لكانت ولادتهن فى ان واحد.

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: الشم و البصر.
(٣) راجع جامع البيان ٢٩/١١ (٤) زيد فى الأصل: والشم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما ذكر النساء ذكر الملائم لعشرتهن فقال : ﴿ وكاسا ﴾ [أى-[١]] من الخمر التى لامثل لها فى لذة الذوق ظاهرا و باطنا و كمال السرور و إنعاش[٢] القوى . و لما كانت العادة [جارية - [١]] بأن الشراب الجيد يكون قليلا ، دل على / كثرته دليلا على جودته بقوله : ﴿ دهاقا ۵ ﴾ /٦٤٩
٥ اى ممتلئة .

و لما كانت مجالس الخمر فى الدنيا ممتلئة بما ينغصها من اللغو و الكذب [٣]إلا عند من[٣] لا مروءة له فلا ينغصه القبيح ، قال نافيا[٤] عنها ما يكدر لذة السمع : ﴿ لايسمعون فيها ﴾ أى الجنة فى وقت ما ﴿ لغوا ﴾ أى لغطا يستحق أن يلغى لأنه ليس له معنى أعم من أن يكون مهملا ليس
١٠ له معنى أصلا ، أو مستعملا ليس له معنى موجود فى الخارج و إن قل ، أو له معنى و لكنه لايترتب [به - [٥]] كبير فائدة . و لما انتفى الكذب بهذه الطريقة ، [و - [١]] كان التكذيب أذى للكذب ، نفاه بقوله : ﴿ ولا كذٰبا ۚ ۵ ﴾ فان هذه الصيغة تقال على التكذيب [و مطلق الكذب - [١]] ، فصار المعنى : و لا أذى بمعارضة فى القول ، مع موافقة قراءة
١٥ الكسائى بالتخفيف فان معناها كذبا أو مكاذبة ، و شدد فى قراءة الجماعة لرشاقة اللفظ و موازنة " اعنابا و أترابا " مع الإصابة لحاق المعنى من[٦] غير أدنى جور عن القصد و لاتكلف بوجه ما[٧] .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انفاظ (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من لا من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نافعا .
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٧) سقط من م .

و لما

و لما كان العطاء إذا كان على المعاوضة كان أطيب لنفس الآخذ قال : ﴿ جزآء ﴾ و بين أنه ما جعله جزاء لهم إلا إكراما للنبي صلى الله عليه و سلم فانه سبحانه لايجب [1]عليه لأحد[1] شيء لأن أحدا لا يمكنه أن يوفى شكر نعمة من نعمه فان عمله من نعمه فقال : ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك باكرام[2] أمتك بانواع الإكرام ، و فى ﴿ عطآء ﴾ إشارة ٥ إلى ذلك و هو بذل من غير جزاء ﴿ حسابا ﴾ أى على قدر الكفاية و إن فعل الإنسان منهم ما فعل و حسب جميع أنواع الحساب ، من قولهم : أعطاه فأحسبه - إذا تابع عليه العطاء و أكثره حتى جاوز[3] العد و قال : حسبى ، لايمكن أن يحتاج مع هذا العطاء و إن زاد فى الإنفاق ، و اختير التعبير به دون "كافيا" مثلا لأنه أوقع فى النفس ، فانه يقال : إذا كان ١٠ هذا الحساب فما الظن بالثواب .

و لما ذكر سبحانه سعة فضله ، وصف نفسه الأقدس بما يدل على عظمته زيادة فى شرف المخاطب صلى الله عليه و سلم لأن عظمة العبد على حسب عظمة السيد ، فقال مبدلا على قرءاة الجماعة و قاطعا بالرفع على المدح عند الحجازيين و أبى عمرو : ﴿ رب السمٰوٰت و الارض ﴾ أى ١٥ مبدعهما و مدبرهما و مالكهما ﴿ وما بينهما ﴾ ملكا و ملكا . و لما شمل[4]

(١-١) من م ، و فى الأصل و ظ : لأحد عليه (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : باكرم (٣) زيد فى الأصل : الحدو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

ذلك العرش و ما دونه[1]، علله بقوله : ﴿ الرحمن ﴾ اى الذى له الإنعام
العام الذى أدناه الإيجاد، و ليس ذلك لأحد غيره، فان الكل داخل
فى ملكه و ملكه، و لذلك قال دالا على الجبروت بعد صفة الرحمة :
﴿ لايملكون ﴾ أى أهل السماوات و الأرض و من بين ذلك أصلا
٥ دائما فى وقت من الأوقات فى الدنيا و لا فى الآخرة لا فى يوم بعينه:
﴿منه﴾ أى العام النعمة خاصة ﴿ خطابا ج ﴾ اى أن يخاطبوه أو يخاطبوا غيره
بكلمة فما فوقها فى أمرهم / فى غاية الاهتمام به بما أفاده التعبير بالخطاب، / ٦٥٠
فكيف بما دونه[2] و إذا لم يملكوا ذلك منه فمن و الكل فى ملكه وملكه ؟
و عدم ملكهم لأن يخاطبهم مفهوم موافقة ، و الحاصل أنهم لايقدرون
١٠ على خطاب ما من ذوات أنفسهم كما هو شأن المالك . و أما غيره فقد
يملكون أن يكرهوه[3] على خطابهم و أن يخاطبوه بغير إذن من ذلك
[الغير - [4]] و لا رضى و بغير تمليك منه لهم لأنه لاملك له ، و إذا
كان هذا فى[5] الخطاب فما ظنك بمن يدعى الوصال بالاتحاد[6] - عليهم اللعنة
و لهم سوء المآب ، ما أجرأهم على الاتحاد ! و قال الأستاذ أبو القاسم
١٥ القشيرى : كيف يكون للكون المخلوق و الفقير المسكين مكنة تملك
منه خطابا [7] أو تتنفس نفسا[7] كلا بل هو الله الواحد[8] الجبار .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دونها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
دونهم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون (٤) زيد من م (٥) من ظ
و م ، و فى الأصل : من (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : باتحاد (٧-٧) من ظ
و م ، و فى الأصل : تنفس تنفسا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحد .

و لما كان هذا ربما افهم سد باب الشفاعة عنده سبحانه ، و كان الكلام إنما ينشأ من الروح ، و كان الملائكة أقرب شيء إلى الروحية ، أكد هذا المعنى مزيلا ما[1] قد يوهمه فى الشفاعة سواء قلنا : إن الروح هنا جنس أم[2] لا ، فقال ذاكرا ظرف " لايتكلمون" : ﴿ يوم يقوم الروح ﴾ أى هذا الجنس أو خلق من خلق الله عظيم الشأن جدا ، قيل : هو ٥ الملك[3] الموكل بالأرواح أو جبرءيل عليه السلام ، أو القرآن المشار إليه بمثل قوله تعالى " تنزل الملائكة و الروح [من أمره -[4]] " " وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا " ـ قاله ابن زيد ﴿ و الملئكة ﴾ أى كلهم ، و نبه بالاصطفاف على شدة الأمر فقال : ﴿ صفالاقى ﴾ للقاء ما فى ذلك اليوم من شدائد الأهوال و لحفظ الثقلين و هم فى وسط دائرة صفهم ١٠ من الموج[5] و الاضطراب لعظيم ما هم فيه ، ثم زاد الأمر عظما بذكر العامل فى لا يوم" فقال : ﴿ لايتكلمون ﴾ أى من تقدم كلهم بأجمعهم فيه بكلمة واحدة مطلق كلام خطابا كان أى فى أمر عظيم أو لا ، لا له سبحانه و لا لغيره أصلا و [لا -[4]] أحد منهم ، و يجوز أن يكون هذا حالا لهؤلاء الخواص فيكون الضمير لهم فغيرهم بطريق الأولى ١٥ ﴿ ا" من اذن له ﴾ أى فى الكلام إذنا خاصا ﴿ الرحمن ﴾ أى الملك الذى لاتكون نعمه[6] على أحد من خلقه[6] إلا منه ﴿ و قال صوابا ه ﴾ فان

(١) من ظ و م . و فى الأصل : بما (٢) فى ظ و م : أو (٣) سقط من م .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المدح (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م

لم يحصل الأمر إن لم يقع الكلام من أحد منهم أصلا، و هذا كالدليل
على آية الخطاب بأنه إذا كان الروح و القريب منه بهذه المثابة فى حال
كل من حضره كان أحوج ما يكون إلى الكلام فما الظن بغيرهم؟ و هم فى
غيره كذلك بطريق الأولى و غيرهم فيه و فى غيره من باب الأولى، و أما[1]
٥ فى الدنيا فانه و إن كان لا يتكلم أحد إلا باذنه لكنه قد يتكلم بالخطأ .

و لما عظم ذلك اليوم بالسكوت خوفا من ذى الجبروت "و خشعت
الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا" أشار / إليه بما يستحقه زيادة فى عظمته / ٦٥١
فقال: ﴿ذلك﴾ أى المشار إليه لبعد مكانته و عظم[2] رتبته و علو منزلته
﴿اليوم الحق ج﴾ أى فى اليومية لكونه ثابتا فى نفسه فلا بد من كونه
١٠ و لا زوال له ثبوتا لا مرية فيه لعاقل و ثابتا [3]كل ما[3] أثبته و باطلا
[كل ما -[4]] نفاه . و لما قرر من عظمته ما يعجز غيره عن أن يقرر
مثله، و كان قد خلق القوى و القدر و الفعل بالاختيار. فكان من حق كل
عاقل تدرع[5] ما ينجى منه، سبب عن ذلك تنبيها على الخلاص منه و حثا
عليه قوله: ﴿فمن شآء﴾ [أى - [4]] الاتخاذ من المكلفين الذين أذن لهم
١٥ ﴿اتخذ﴾ أى بغاية جهده ﴿الى ربه﴾ أى خالقه نفسه المحسن إليه أو رب
ذلك اليوم باستعمال قواه التى أعطاه الله إياها فى الأعمال الصالحة ﴿مابا ه﴾
أى مرجعا هو المرجع مما[6] يحصل له فيه الثواب بالإيمان و الطاعة، فان
الله جعل لهم قوة و اختيارا، و لكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شىء

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيم .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الاصل : كما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : تردع (٦) من ظ و م . و فى الأصل . بما .

إلا بمشيئة الله .

و لما قدم فى هذه السورة من شرح هذا النبأ العظيم ما قدم من الحكم و المواعظ و اللطائف و الوعد و الوعيد ، لخصه فى قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ انآ ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ انذرنٰكم ﴾ أى أيها الأمة و خصوصا العرب بما مضى من هذه السورة و غيرها ﴿ عذابا ﴾ ٥ و لما كان لابد من إتيانه و كونه سواء كان بالموت أو بالبعث ، و كان كل ما تحقق إتيانه أقرب شيء قال : ﴿ قريبا ﴾ .

و لما حذر منه ، عين وقته مشددا لتهويله [فقال ـ[1]] : ﴿ يوم ينظر المرء ﴾ أى جنسه الصالح منه و الطالح نظرا لا مرية فيه[2] ﴿ ما ﴾ أى الذى ﴿ قدمت [3]يداه ﴾ اى كسبه[3] فى الدنيا من خير و شر ، و عبر بهما لأنهما ١٠ محل القدرة فكنى بهما عنها[4] مع ان أكثر ما يعمل كائن بهما مستقلتين به أو مشاركتين فيه خيرا كان[5] أو شرا . و لما كان التقدير : فيقول المؤمن : يا ليتنى قمت قبل هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ و يقول الكٰفر ﴾ أى العريق فى الكفر عند ما يرى من [تلك ـ[1]] الأهوال متمنيا محالا : ﴿ يا ليتنى كنت ﴾ أى كونا لابد منه و لا يزول ﴿ ترابا ﴾ أى فى الدنيا فلم أخلق و لم أكلف ، ١٥ أو[6] فى هذا اليوم فلم أعذب ، و المراد به الجنس أو إبليس الذى تكبر

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اى كسبته يداه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عنهما (٥) زيد فى الأصل : التقدير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اى .

عن السجود لآدم عليه السلام المخلوق من التراب، و عظم نفسه بالحسد والافتخار بكونه مخلوقا من نار، يقول ذلك عند ما يرى ما [١] أعد الله [١] لآدم عليه السلام و لخواص [٢] بنيه من الكرامة [٣] من النعيم المقيم، و لهذا المتكبر على خالقه من العذاب الدائم الذى لايزول [٣]، و عن ابى هريرة

٥ و [٤] ابن عمر رضى الله عنهم ان الله تعالى يقتص [٥] يوم البعث للبهائم بعضها من بعض ثم يقول لها: كونى ترابا، فتكون، فيتمنى الكافر [٦] مثل ذلك [٧]. فقد علم أن ذلك اليوم فى غاية العظمة و انه لابد [٨] من كونه، فعلم أن التساؤل عنه للتعجب من [٩] كونه من أعظم الجهل، فرجع آخرها على أولها، و انعطف / مفصلها اىّ انعطاف على موصلها، و اتصل مع ذلك /٦٥٢

١٠ بما بعدها أىّ اتصال، فان المشرف بالنزع على [١٠] الموت يرى كثيرا من الأهوال و الزلازل [١١] و الأوجال التى يتمنى لأجلها انه كان منقطعا عن الدنيا ليس له [١٢] بها وصال يوما من الأيام و لا ليلة من الليال [٣] - و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب [٣].

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ وم، و فى الأصل: لخواصه. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ وم، وفى الأصل: عن (٥) زيد فى الأصل: يوم القيامة، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: اللعين (٧) زيد فى الأصل: انتهى والله الهادى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: منه، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها. (٩) من ظ وم، و فى الأصل: مع (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: عند. (١١) من ظ وم، وفى الأصل: الزلزال (١٢) من ظ وم، وفى الأصل: لها.

سورة النازعات[1] و تسمى الساهرة[2] و الطامة

مقصودها بيان أواخر[3] أمر الإنسان بالإقسام على بعث الآنام، و[4] وقوع القيام يوم الزحام و زلل الأقدام[5]، بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام، تنبيها على أنه وصل الأمر فى الظهور إلى مقام ليس بعده مقام، و صور ذلك بنزع الأرواح بأيدى[6] الملائكة الكرام، ٥ ثم أمر فرعون اللعين و موسى عليه السلام، و اسمها النازعات واضح فى ذلك المرام، إذا تؤمل القسم و جوابه المعلوم للأئمة الأعلام، وكذا الساهرة و الطامة إذا تؤمل السياق، و حصل التدبر فى تقرير الوفاق ﴿بسم الله﴾ الظاهر الباطن الملك العلام ﴿الرحمن﴾ الذى عم بالإنعام ﴿الرحيم ه﴾ الذى خص [7]اهل ولايته[7] بالتمام، فاختصوا بالإكرام فى ١٠ دار السلام .

لما ذكر سبحانه يوم[8] يقوم الروح و يتمنى الكافر العدم، اقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذى ذكره بأيدى الملائكة عليهم السلام

---

(١) التاسعة و السبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ست و اربعون.
(٢) من ظ و م، وفى الأصل: الساهر (٣) فى ظ: آخر (٤) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل: القيام. (٦) من ظ، وفى الأصل: و يتمنى الكافر بيد، و فى م: بيدى (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: اولياءه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حين.

على ما يتأثر عنه من البعث و ساقه على وجه التاكيد بالقسم لانهم به مكذبون فقال تعالى: ﴿والنّزعٰت﴾ أى من الملائكة - كما قال على و ابن عباس رضى الله عنهم - للأرواح و لأنفسها من مراكزها[1] فى السماوات امتثالا[2] للأوامر الإلهية ﴿غرقاً ۙ﴾ أى إغراقا بقوة شديدة تغلغلا إلى أقصى

٥ المراد من كل شيء من البدن حتى الشعر و الظفر و العظم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ أقصى المدّ ، و كان ذلك لنفوس[3] الكفار و العصاة كما ينزع السفود و هو الحديدة المتشعبة المتماكسة الشعب من الصوف المبلول ، و عم ابن جرير[4] كما هى عادته فى كل ما يحتمله اللفظ فقال : و الصواب أن يقال : إن الله تعالى لم يخصص ، فكل

١٠ نازعة داخلة فى قسمه - يعنى الاعتبار بما آتاها[5] الله من القدرة على ذلك النزع الدالة على تمام الحكمة و الاقتدار على ما يريده[6] سبحانه .

/٦٥٣ و لما ذكر الشد مبتدئا به لانه أهول ، أتبعه / الرفق فقال : ﴿ و النّشطٰت ﴾ أى المخرجات برفق للارواح أو لأجنحتها من محالها ﴿ نشطاً ۙ ﴾ اى رفقا فلا تدع و إن كان رفيقا بين الروح و الجسد تعلقا

١٥ كما ينشط الشيء من العقال أى يحل من عروة كانت [عقدت - [7]] على هيئة الأنشوطة ، قال الفراء[8] إنه سمع العرب يقولون : نشطت

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مواكزها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الامثالا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : النفوس (٤) راجع جامع البيان ١٦/٣٠ (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : آتاه (٦) فى ظ و م : يريد (٦) زيد من ظ و م (٨) راجع المعالم ٧ / ١٧٠ .

العقال - إذا حللته، و انشطت - إذا عقدت بأنشوطة[١] - انتهى، و النشط أيضا[٢]: الجذب و النزع، يقال: نشطت الدلو نشطا - إذا نزعتها. و قال الخليل: النشط و الإنشاط مدك الشيء إلى نفسك حتى ينحل، و كان هذا لأرواح أهل الطاعة، و كذلك نزع النبات و الإنشاء و الإنماء لكل ما يراد نزعه أو نشطه، فالذى قدر بعض عبيده على هذا الذى فيه تمييز ٥ الأرواح من غيرها على ما لها من اللطافة و شدة الممازجة قادر على تمييز [٣]جسد كل ذى[٣] روح من جسد غيره بعد أن صار كل ترابا و اختلط بتراب الآخر.

و لما ذكر نوعى السل بالشدة و الرفق، ذكر فعلها فى إقبالها إليه و رجوعها عنه فقال: ﴿ و السّٰبحٰت ﴾ [أى -[٤]] من الملائكة أيضا ١٠ فى الجو بعد التهيؤ للطيران إلى ما أمرهم الله به من أوامره من الروح أو غيرها[٥] ﴿ سبحا ه ﴾ هو فى غاية السرعة لأنه لاعائق لها بل [قد -[٤]] اقدرها الله على النفوذ فى كل شيء كما أقدر السابح فى الماء و الهواء، و لذلك نسق عليه بالفاء[٦] قوله: ﴿ فالسّٰبقٰت ﴾ أى بعد السبح فى الطيران إلى ما أمروا به من غمس الأرواح فى النعيم أو الجحيم أو غير ١٥ ذلك مما أمروا به فى أسرع من اللمح مع القدرة و الغلبة لجميع ما يقع

(١) من ظ وم، وفى الأصل: بنشوطة (٢) من ظ و م، وفى الاصل: حينئذ.
(٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: كل جسد ذوى (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، وفى الأصل: غيرهما (٦) زيد فى الأصل: عليه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

محاولته ﴿ سبقا ۙ ﴾ .

و لما بان بـــذلك حسن امتثالها للأوامر، بان به عظيم نظرها فى العواقب فدل على ذلك بالفاء فى قوله : ﴿ فالمدبرٰت ﴾ أى الناظرات فى أدبار[1] الأمور و عواقبها[2] لإتقان ما أمروا به فى الأرواح و غيرها
٥ ﴿ امرا ۘ ﴾ أى عظيما ، و يصح أن يكون ذلك للشمس و[3] القمر والكواكب و الرياح و الخيل السابحة فى الأرض و الجو لمنفعة العباد و تدبير أمورهم، و بعضها سابق لبعض، و به قال بعض المفسرين، و الجواب محـــذوف إشارة إلى أنه من ظهور العلم به - بدلالة ما قبله وما بعده عليه - فى حد لامزيد عليه، فهو بحيث لايحتاج إلى ذكره لحذفه كاثباته بالبرهان ،
١٠ فتقديره : لتذهبن بالدنيا التى أنتم بها مغترون لنزعنا لها من محالها و تقطيع أوصالها ، فان كل ما تقدم من أعمال ملائكتنا هو من مقدمات ذلك تكذيبا لقول الكفار "ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيي و ما يهلكنا إلا الدهر" المشار إليه بتساؤلهم عنها لأنه[4] على وجه الاستهزاء و[5] التكذيب و لتقومن الساعة ؟ أو أنكم لمبعوثون بعد الموت و انتهاء هذه الدار ؟
١٥ ثم لمجازون بما عملتم بأسباب موجودة مهيأة بين اظهركم دبرناها و أوجدناها حين أوجبنا هذه الحياة الدنيا / و إن كنتم لاترونها كما أن هذه الأمور /٦٥٤ التى أخبرناكم بها فى نزع الأرواح و النبات و المنافع موجودة بين أظهركم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عواقب (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ادبارها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : او .

و الميت اقرب ما يكون منكم و هى تعمل أعمالها. و المحتضر اشد ما يكون صوتا و أعظمه حركة إذا هو قد خفت و همد بعد ذلك الأمر و سكت و امتدت أعضاؤه و مات، و ذهب عنكم قهرا وفات الذى[1] فات كأنه قط ما كان ، و لا تغلب فى زمن من الأزمان. بتلك الأسباب التى تعمل اعمالها و تمد[2] حبالها و ترسى[3] أثقالها ، و تلقى اهوالها و أوجالها ، ٥ و انتم لا ترونها ، فيا لله العجب أن لا يردكم ذلك على كثرته عن أن تستبعدوا على قدرته تمييز تراب جسد من تراب جسد آخر .

و قال الإمام ابو جعفر بن الزبير : لما أوضحت سورة النبأ حال الكافر فى قوله "[يا ـ[4]] ليتنى كنت ترابا " عند نظره ما قدمت يداه، و معاينته من العذاب عظيم ما يراه . و بعد ذكر تفصيل أحوال و اهوال، ١٠ أتبع ذلك ما قد كان حاله عليه فى دنياه من استبعاد عودته فى أخراه، وذكر قرب ذلك عليه سبحانه كما قال فى الموضع الآخر "و هو أهون عليه" و ذلك بالنظر إلينا و لما عهدناه. و إلا فليس عنده سبحانه شيء أهون من شيء "إنما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون" فقال تعالى "و النازعات غرقا" الى قوله "يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة ١٥ ائذا كنا عظاما نخرة" إذ يستبعدون ذلك و يستدفعونه "فانما[5] هى زجرة واحـــدة" أى صيحة "فاذا هم بالساهرة" أى الأرض قياما ينظرون

(١) زيد فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يمتد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ترى (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : انما .

ما قدمت ايديهم و يتمنون ان لو كانوا ترابا و لاينفعهم ذلك، ثم ذكر تعالى من قصة فرعون و طغيانه ما يناسب الحال[1] فى قصـــد الاتعاظ و الاعتبار . و لهذا أتبع القصه بقوله سبحانه " ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى " - انتهى .

٥ و لما أقسم على القيام بتلك الأفعال العظام التى ما أقدر اهلها عليها إلا الملك العلام، ذكر ما يكون فيه من الأعلام تهويلا لأمر الساعة لأن النفوس المحسوسات نزاعة ، فالغائبات[2] عندها منسية مضاعة[3] فقال ناصبا الظرف بذلك المحذوف لأنه لشدة وضوحه كالملفوظ [به -[4]] : ﴿ يوم ترجف ﴾ اى تضطرب اضطرابا كبيرا مزعجا ﴿الراجفة ۙ﴾

١٠ أى الصيحة ، و هى النفخة الاولى التى هى بحيث يبلغ - من شدة إرجافها للقلوب[5] و جميع الأشياء الساكنة[6] من الارض و الجبال إلى[7] نزع النفوس من جميع [أهل -[8]] الأرض - مبلغا تستحق به ان توصف بالعراقة [9]فى الرجف[9]، قال البغوى[10] : و أصل الرجفه الصوت و الحركة .

و لما ذكر الصيحة الأولى ، أتبعها[11] الثانية حالا منها دلالة على قربها

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : لحال (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الغايات. (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : مضاعفة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : القلوب (٦) زيد فى الأصل : الجبال من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ وم . و فى الأصل : التى (٨) زيد من ظ وم. (٩-٩) من ظ وم ، و فى الأصل : بالرجف (١٠) راجع المعالم ١٧١/٧ (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : اتبعه .

قربا

قربا معنويا لتحقق الوقوع . و لأن ذلك كله في [حكم -[1]] يوم واحد ، فصح مجيء الحال وإن بعد زمنه من زمن صاحبه فقال : ﴿تتبعها الرادفة ۝﴾ / أي الصيحة التابعة لها التي يقوم بها جميع الأموات و تجتمع الرفات ، / ٦٥٥ و تضطرب من هولها الأرض و السماوات ، و تدك[2] الجبال و يعظم الزلزال . و يكون عنها التسيير[3] بعد المصير إلى الكثيب المهيل ، و [نحو -[1]] ٥ ذلك من الأمر الشديد الطويل . قال حمزة الكرماني : روى [السدى -[4]] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى أمطر عليهم [5]ماء من[5] تحت العرش يدعى ماء الحياة فينبتون منه كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت اجسادهم[6] نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم نومة[7] فبيناهم في قبورهم[8] نفخ في الصور[9] ثانية فجلسوا و هم يجدون ١٠ طعم النوم في رؤسهم و أعينهم[10] .

و لما ذكر البعث ، ذكر حال المكذب[11] به لأن السياق له ، فقال مبتدئا بنكرة موصوفه : ﴿قلوب يومئذ﴾ اى إذ قام الخلائق بالصيحة التابعة للأولى ﴿واجفة ۝﴾ أي شديدة الاضطراب أجوافها خوفا تكاد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : تذل (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : التيسير (٤) زيد من م (٥-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : من ماء . (٦) من ظ و م ، و في الأصل : احرارهم (٧) من ظ و م ، و في الأصل : النوم (٨) زيد من الأصل : اذا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩) زيد في الأصل : نفخة . و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (١٠) من ظ وم ، وفي الأصل : عينيهم (١١) من ظ و م ، و في الاصل : المكذبين .

يخرج منها من شدة الوجيف . و لما وصفها بالاضطراب ، و كان قد يخفى سببه لكونه قد يكون عند[1] السرور العظيم كما قد يكون عند الوجل الشديد ، أخبر عنه بما يحقق معناه[2] فقال : ﴿ ابصارها ﴾ أى أبصار اصحابها [3]فهو من[3] الاستخدام ﴿ خاشعة ۝ ﴾ أى ذليلة ظاهر عليها الذل[4] و اضطراب

٥ القلوب من سوء الحال و لذلك أضافها إليها .

و لما وصفها[5] بالاضطراب و الذل ، علله ليعرف منه ان من يقول ضد قولهم يكون له ضد وصفهم من الثبات و السكون و العز الظاهر فقال : ﴿ يقولون ﴾ اى فى الدنيا قولا يجددونه كل وقت من غير خوف و لا استحياء استهزاء و إنكارا : ﴿ ءانا لمردودون ﴾ أى بعد الموت ممن

١٠ يتصف[6] ردنا كائنا من كان ﴿ فى الحافرة ۝ ﴾ أى فى الحياة التى كنا فيها قبل الموت و هى حالتنا الأولى ، من قولهم : رجع فلان فى حافرته ، اى[7] طريقته التى جاء بها لحفرها أى أثر فيها بمشيه كما تؤثر الأقدام و الحوافر فى الطرق[8] ، أطلق على المفعولة[9] فاعلة مبالغة و ذلك حقيقته[10] ، ثم قيل لمن كان فى أمر تخرج[11] منه ثم رجع إليه : رجع إلى[12] حافرته ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ضد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بمعناه . (٣ ـ ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو م (٤) زيد فى الأصل : الاضطراب و اما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل ا وصفهم (٦) من ظ وم ، و فى الأصل : اتصف (٧) زيد فى الأصل وظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : طريق . (٩) من ظ وم ، و فى الأصل : المفعول (١٠) من ظ و م ، و فى الاصل : حقيقه (١١) من م ، و فى الأصل وظ : تخرج (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

و قيل: الحافرة الأرض التى هى محل الحوافر.

و لما وصف قلوبهم بهذا الإنكار الذى ينبغى لصاحبه أن يذوب [منه -] خجلاً إذا فرط منه مرة واحدة، و أشار إلى شدة وقاحتهم بتكريره[٢]، أتبعه التصريح بتكريرهم له على وجه مشير[٣] إلى العلة الحاملة لهم على قوله و هو قولهم: ﴿ ءاذا كنا ﴾ أى كونا صار جبلة لنا ﴿ عظاما نخرة[٤]ه ﴾ ٥ اى هى فى غاية الانتخار حتى تفتتت، فكان الأنتخار و هو البلى و التفتت و التمزق كأنه طبع لها طبعت عليه، و هى أصلب البدن فكيف بما عداها من الجسم، و على قراءة " ناخرة " المعنى أنها[١] خلا ما فيها فصار الهواء ينخر فيها أى يصوّت.

و لما كان العامل فى "إذا" مقدرا بنحو أن يقال: رد إذذاك[٥] ١٠ إلى[٦] حالتنا الأولى و نقوم كما كنا؟ دل[٧] على هذا المحذوف قوله تعالى عنهم: ﴿ قالوا ﴾ أى مرة من المرات: ﴿ تلك ﴾ أى الردة إلى الحالة الأولى العجيبة جدا البعيدة من العقل فى زعمهم ﴿ اذاً ﴾ اى إذ رد إلى حياتنا الأولى لا شىء لنا كما ولدنا لا شىء لنا، و نفقد كل ما سعينا فى تحصيله و جمعه و تأثيله ﴿ كرة ﴾ أى رجعة[٨] و إعادة و عطفة[٨] ﴿ خاسرة ۝ ﴾ ١٥ اى هى لشدة خسارتنا فيها بما فقدنا مما حصلناه من [الحال و -[٩]] المآل

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مشيرا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٥) فى ظ و م: عند ذاك (٦) فى م: فى (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فدل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ و م.

و صالح الخلال، عريقة فى الخسارة حتى كأنها [١]هى الخاسرة[١]، و لعله عبر بالماضى لأنهم [٢]ما سمحوا بهذا القول[٢] إلا مرة من الدهر، و أما أغلب قولهم[٣] فكان أنهم يكونون على تقدير البعث أسعد من المؤمنين على قياس ماهم عليه فى[٤] الدنيا و نحو هذا من الكذب على الله.

٥ و لما كان التقدير: نعم و الله لتردن يا هؤلاء، إنما هذا الذى تقولونه كله استبعاد منكم كما أنكم مقرون بسهولته لو عقلتم، أما من جهة القدرة فلأن الابتداء أصعب من الإعادة و أنتم مقرون بالابتداء و لأن الاستبعاد إن كان من جهة وقوع الظن بأن [من -[٥]] صار ترابا يصير عوده محالا من جهة تعذر تميز ترابه من تراب غيره، فتميز[٦] النازع

١٠ و الناشط من الملائكة للروح من الجسد أصعب من ذلك بكثير، و كذا غير هذا مما تدبره الملائكة من الأمور، فكيف يصعب على ربهم سبحانه شيء يسهل مثله عليهم، و أما من جهة العوائد فان أحدا لايدع رعية له بغير حساب أصلا، و أما من جهة الوعد فقد تقدم به، و ليس من شيم الكرام فضلا عن الملوك إخلاف الوعد و لا إقرار الظلم فلا

١٥ تكذبوا بها و لا تستصعبوها، قال مسببا عن هذا المقدر مهددا لأصحاب الشبهة المقلدين: ﴿ فانما هى ﴾ أى القيامة ﴿زجرة﴾ اى صيحة بانتهار تتضمن الأمر بالقيام و السوق إلى المحشر و المنع من التخلف ﴿واحدة ﴾

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: فى الخسارة (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما يحوا بالقول (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قلوبهم (٤) من م، و فى الأصل و ظ. من (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: ايتمير.

عبر

عبر بالزجر و هو أشد من النهى لانه يكون للعرض لأنها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلا ، فكان كأن لسان الحال قال عن تلك الصيحة : أيها الأجساد[1] البالية ! انتهى عن الرقاد ، و قومى إلى الميعاد ، بما حكمنا به من المعاد ، فقد انتهى زمان الحصاد ، و آن [أوان ـ[2]] الاجتناء لما قدم من الزاد ، فيا ويل من ليس له زاد ! ﴿ فاذا هم ﴾ أى فتسبب عن هذه النفخة ٥ ـ وهى الثانية ـ أنهم فاجأوا بغاية السرعة كونهم[3] أحياء قائمين ﴿ بالساهرة ﴾ [أى ـ[4]] على [ظهر ـ[5]] الأرض البيضاء المستوية الواسعة التى يجددها الله للجزاء فتكون سعتها كأنها قد ابتلعتهم على كثرتهم التى تفوت العد ، و تزيد على الحد ، سميت بذلك لأن الشراب يجرى فيها من الساهرة و هى العين الجارية ، أو لأن[6] سالكها يسهر خوفا / كما أن النوم يكون أمنة ، ١٠ [7]أو لأن[7] هذه الأرض بالخصوص لا نوم فيها مع طول الوقوف و تقلب الصروف الموجبة للحتوف .

و لما كانت قصة موسى عليه الصلاة و السلام مع القبط أشبه شيء بالقيامة لما حصل فيها من التقلبات و التغيرات و إيجاد المعدومات من الجراد و القمل و الضفادع على تلك الهيئات الخارجة عن العادات فى ١٥ أسرع وقت ، و قهر[8] الجبابرة و المن على الضعفاء حتى كان آخر ذلك أن

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الاجسام (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كانهم (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٧ – ٧) من ظ و م ، و فى الاصل : وان (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : قتل .

حشر بنى إسرايل [1]فنشطهم من[1] القبط نشطا[2] رفيقا كلهم وجميع ما لهم مع دوابهم [إلى ربهم - [3]] وحشر جميع القبط وراءهم فنزعهم نزعا كلهم بحشر فرعون لهم [4]بأصوات المنادين عنه[4] فى أسرع وقت وأيسر امر إلى هلاكهم كما يحشر[5] الأموات بعد إحيائهم بالصيحة الى الساهرة، ٥ ثم كانت العاقبة فى الطائفتين بما للدبرات امرا أن نجا بنو إسرايل بالبحر كما ينجو يوم البعث المؤمنون[6] بالصراط، وهلك فرعون وآله به كما يتساقط الكافرون[7] بالصراط، وذلك أنه رآى فرعون وجنوده البحر قد انفلق لبنى إسرايل فلم يعتبروا بذلك ثم دخلوا فيه وراءهم، ولم يجوزوا أن الذى حسره عن مكانه قادر على أن يعيده كما [8]ابتدأه فيغرقهم[8] ١٠ واستمروا فى عماهم حتى رده[9] الله فأغرقهم به كما أن من يكذب بالقيامة رأى بدأ الله له [و - [3]] لغيره وإفناءه بعد إبدائه ثم انه لم يجوز أن يعيده كما بدأه أول مرة، وصل بذلك قوله تعالى جوابا لمن يقول: هل لذلك من دليل؟ مخاطبا لأشرف الخلق إشارة إلى أنه لا يعتبر هذا حق اعتباره إلا أنت، مستفهما عن الإتيان للتنبيه والحث على جمع النفس

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: فنشرهم بين (٢) من ظ و م، وفى الأصل: نشرا (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: باصوات المنازل (٥) من ظ و م، وفى الأصل: يحشرهم (٦ - ٦) من ظ و م، وفى الأصل: المؤمنين يوم البعث (٧) زيد فى الأصل: الى النار، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: ابتدا فيغرقهم. (٩) من ظ و م، وفى الأصل: ردهم.

على التأمل و التدبر و الاعتبار مقررا و مسليا له صلى الله عليه و سلم و مهددا للمكذبين أن يكون حالهم - و هم أضعف أهل الأرض لأنه لاملك لهم - كحال فرعون فى هذا ، و قد كان اقوى أهل الأرض بما كان له من الملك و كثرة الجنود و قوتهم و سحرهم و مرودهم فى خداعهم و مكرهم و رآى من الآيات ما لم يره أحد قبله ، فلما أصر على التكذيب و لم ٥ يرجع و لا افاده التأديب أغرقه الله و آله فلم يبق منهم أحدا و قد كانوا لا يحصون عددا بحيث أنه قيل : ان طليعته كانت على عدد بنى إسراءيل ستمائة ألف: ﴿هل اتىٰك﴾ أى يا أعلم الخلق ﴿حديث موسىٰ ؟ﮃ﴾ أى ما كان من أمره الذى جددناه له حين أردناه[1] فيكون كافيا لك فى التسلية و لقومك فى الحث على التصديق و التنبيه على الاعتبار و التهديد على ١٠ التكذيب[2] و الاصرار ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ ناديٰه ربه ﴾ أى المحسن [إليه -[3]] بايجاده و تقريبه و تدبيره أمر إرساله و تقديره ﴿ بالواد المقدس ﴾ أى المطهر غاية التطهر[4] بتشريف الله له بانزال النبوة المفيضة / للبركات ، ثم بينه بقوله : ﴿طوىً ﮄ﴾ و هو الذى طوى فيه [5]الشر عن بنى إسراءيل[5] و من أراد[6] الله من خلقه و نشر بركات النبوة على جميع أهل الأرض: ١٥ المسلم باسلامه ، و غيره برفع عذاب الأستئصال عنه ، فان[7] العلماء[8] قالوا : إن

/ ٦٥٨

---

(١) فى م : أردنا (٢) زيد فى الأصل : و الافتراء و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ ، و فى الأصل : التطهير ، و فى م : الطهر (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن بنى اسرائيل الشر (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : اراده (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٨) زيد فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

عذاب القبر - أى عذاب الاستئصال - ارتفع حين أنزلت التوراة .
و هو واد بالطور بين أيلة و مصر .

و لما ذكر المناداة فسر ثمرتها بقوله مستأنفا منبها لأصحاب الشهوة المعجبين المتكبرين، و قد أرشد السياق إلى أن التقدير: ناداه قائلا: ﴿ اذهب الى فرعون ﴾ اى ملك مصر الذى كان استعبد بنى إسراءيل ثم خوّف من واحد منهم فصار يذبح أبناءهم خوفا منه[1] و هو أنت فربيناك فى بيته لهلاكه حتى يعلم أنه لا مفر من قدرنا، فكنت أعز بنى إسراءيل، و كان سبب هلاكه معه فى بيته بمرأى منه و مسمع و هو لايشعر بذلك ثم قتلت منهم نفسا و خرجت من بلدهم خائفا تترقب .

و لما أمره بالذهاب إليه، علله بما يستلزم إهلاكه على يده عليه الصلاة و السلام إشارة له بالبشارة بأنه لا سبيل له عليه، و لذلك أكده لأن مثل[2] ذلك أمر يقتضى طبع البشر التوقف فيه فقال: ﴿انه طغى ﴾ اى الحد[3] و تجاوز الحد فاستحق المقابلة بالجد، ثم سبب عن الذهاب إليه قوله: ﴿ فقل ﴾ اى له تفصيلا لبعض ما تقدم فى "طه" من لين القول ولطف الاستدعاء فى الخطاب: ﴿ هل لك ﴾ اى[4] ميل و حاجة ﴿ الى[5] ان تزكّى ﴾ اى تتحلى بالفضائل، و تتطهر من الرذائل، و لو بأدنى أنواع التزكى: الطهارة [5] الظاهرة و [5] الباطنة الموجبة للنماء و الكثرة، و إفهام الآدنى بما

(١) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ماءل - كذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: العد (٤) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

يشير

يشير إليه إسقاط تاء التفعل المقتضى للتخفيف، و ذلك بالإذعان المقتضى للايمان و إرسال بنى إسراءيل. و قرأ الحجازيان و يعقوب بالتشديد أى تزكية بليغة لأن[1] من دخل فى التزكى على يد كامل لاسيما نبى من أولى العزم أوشك أن يبلغ الغاية فى الزكاء.

و لما أشار له إلى[2] الطهارة عن الشرك، أتبعها الأعمال فقال: ٥ ﴿ و اهديك ﴾ أى أبين لك بعد التزكية بالإيمان الذى هو الأساس: كيف المسير ﴿الى ربك﴾ أى الموجد لك و المحسن إليك[3] و المربى لك[3] بتعريفك ما يرضيه من الأعمال و ما يغضبه من الخصال[4] بعد أن بلغك[5] فى الدنيا غاية الآمال[6] ﴿ فتخشى ﴾ اى فيتسبب عن ذلك أنك تصير تعمل أعمال من يخاف من عذابه خوفا عظيما، فتؤدى الواجبات و تترك ١٠ المحرمات و سائر المنهيات، فتصير الى اعلى رتب التزكية فتجمع[7] ملك الآخرة إلى ملك الدنيا، فان الخشية هى الحاملة على كل خير، و الأمن هو الحامل على الشر.

و لما كان التقدير / : فذهب إليه كما أمره الله تعالى، فقال [له -[9]] / ٦٥٩ ذلك فطلب الدليل على صحة الرسالة و استبعد أن يختص عنه [8]بهذه ١٥ المنزلة العلية[8] و قد رباه وليدا ﴿ فأرٰنه ﴾ أى فتسبب عن طلبه له انه

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عوالى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: الذميمة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى م: بلغك (٥) زيد فى الأصل و ظ: قال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) بهامش ظ: فتضم (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) فى ظ و م: بعلوه.

دل على صدقه بان أراه ﴿ الأية ﴾ اى[1] العلامة الدالة على ذلك ﴿ الكبرٰى ﴾ و هى قلب العصا حية أو جميع معجزاته ﴿ فكذب ﴾ أى فتسبب عن رؤية ذلك أنه أوقع التكذيب بشيء إنما[2] يقتضى عند رؤيته التصديق ﴿ وعصىٰ ﴾ أى أوقع العصيان، و هو الإباء الكبير[3] و التكبر
٥ عن امتثال[3] ما دعى إليه مجموعا إلى التكذيب بعد إقامة الدليل على الصدق و تحقق الأمر.

و لما كان التمادى على التكذيب ممن [4]راى و[4] عرف الحق و لاسيما إذا[5] كان كبيرا مستبعدا[6] جدا، أشار إليه بأداة التراخى مع دلالتها على حقيقه التراخى ايضا فقال: ﴿ ثم ادبر ﴾ أى فرعون بعد المهلة و الأناة
١٠ ادبارا عظيما بالتمادى على اعظم مما كان [فيه - [7]] من الطغيان بعد خطوب جليلة و مشاهد طويلة، حال كونه ﴿ يسعىٰ ﴾ أى يعمل بغاية جهده عمل من هو مسرع غاية الإسراع فى ابطال[8] الأمر الربانى بقلة [9]عقله و فساد رأيه[9] وابى أن يقبل الحق ﴿ فحشر ﴾ أى فتسبب عن ادباره ساعيا و تعقبه أنه جمع السحرة طوعا و كرها و زاد عليهم أيضا جنوده
١٥ ﴿ فنادىٰ ﴾ أى فى المجامع ﴿ فقال ﴾ اى مناديه الذى لايشك أنه عنه،

(١) زيد فى الأصل و ظ : اراه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الاصل : كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) فى ظ و م : لامتثال (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : ان (٦) من ظ و م، و فى الأصل : مستعبدا (٧) زيد من م (٨) من م، و فى الأصل و ظ : امطار (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل : رايه و فساد عقله.

فكان قوله كقوله[1]: ﴿ انا ﴾ و قال[2] حمزة الكرمانى: قال له موسى عليه السلام: إن ربى أرسلنى إليك، لئن آمنت بربك تكون أربعمائة سنة فى السرور و النعيم، ثم تموت فتدخل الجنة، فقال: حتى أستشير هامان، فاستشاره فقال: أتصير عبدا بعد [3]ما كنت[3] ربا تعبد، فعند ذلك بعث الشرط و جمع السحرة و الجنود، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال: ٥ أنا ﴿ربكم الاعلى[4] ﴾ فكان هذا نداوه يعنى كلكم أرباب بعضكم فوق بعض و أنا أعلاكم، و لارب فوقى أصلا، و ذلك لأن الإله عنده[4] الطبيعة، و هى مقسمة[5] فى الموجودات، فهم كلهم أرباب، و من كان أعلى كان أنفذ فى المراد، و هو كان أعلى منهم فقبحه الله و لعنه و لعن من تمذهب بمذهبه كابن عربى و ابن الفارض[6] و أتباعهما حيث أنكروا المختار الملك ١٠ القهار، و رسوله المصطفى المختار، و تبعوا فى وحدة الوجود بعض الفلاسفة ثم[7] الحلاج بعد فرعون هذا الذى لم يصرح الله بذم أحد ما صرح بذمه، و لم يصرح بشقاء أحد ما صرح بشقائه. كهذه الآية فانها مصرحة بوقوع نكاله فى الآخرة كما وقع فى الدنيا، [و - [8]] قوله تعالى " فأخذناه و جنوده فنبذناهم فى اليم / فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ١٥ / ٦٦٠

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حال النداء (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قرا (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: ان تكون (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عند (٥) من ظ و م، و فى الأصل: منقسمة (٦) زيد فى الأصل: هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

و جعلناهم أئمة يدعون الى النار و يوم القيامة لا ينصرون و اتبعناهم
فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة هم من المقبوحين" الى غير ذلك من
الآيات البينات [1] و الدلائل الواضحات التى لاتحصى [1] و هى كثيرة ، و أعظمها
القياس البديهى الانتاج [2] " و ان فرعون لعال فى الارض و انه لمن المسرفين"
٥ "وان المسرفين هم أصحاب النار" و روى [3] أن ابليس لما سمع منه قوله هذا قال:
إنى [4] تجبرت على آدم فلقيت [5] ما لقيت ، و هذا يقول هذا؟ و هذا دعاه إليه
الكبر الناشىء من فتنة السراء التى الصبر فيها أعظم من الصبر فى الضراء ،
قال [الإمام - [6]] الغزالى فى كتاب الصبر من الإحياء [7] : فالصبر على
الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن [8] العبودية و تشتهى الربوبية ،
١٠ و لذلك [9] قال بعض العارفين : ما من نفس إلا و هى مضمرة ما أظهره
فرعون من قوله " انا ربكم الأعلى" و لكن فرعون وجد [له - [10]] مجالا
و قبولا "[11] فأظهره إذ استخف [11] [فأطاعوه - [10]] و ما من أحد إلا و هو
يدعى ذلك مع عبده و خادمه و أتباعه و كل من هو تحت قهره و طاعته وإن
كان ممتنعا من إظهاره . فان امتعاضه و غيظه عند تقصيرهم فى خدمته
١٥ لا يصدر إلا عن إضمار الكبر و منازعة الربوبية فى رداء الكبرياء - انتهى .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الاح - كذا (٣) من ظ و م . و فى الأصل : روى (٤) فى ظ و م : أنا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فالقيت (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع ٤/٤٥ (٨) من ظ وم و الإحياء ، و فى الاصل : من (٩) من ظ وم و الإحياء ، و فى الأصل : فلذلك (١٠) زيد من الإحياء (١١-١١) من ظ و م و الإحياء ، و فى الأصل : فاذا استحق .

و يؤيده ان النبي صلى الله عليه و سلم ما لام خادمه فى شيء قط - و الله [1]تعالى هو الموفق للصواب[1] .

و لما أخبر سبحانه عنه بهذه الكلمة الشنعاء القادحة فى الملك، وكان الملوك لا يحتملون ذلك بوجه، سبب عنها و عقب قوله: ﴿فاخذه الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له و لا أمر لأحد معه أخذ ٥ قهر و ذل منكلا به [2]مخذلا له[2]: ﴿نكال الآخرة﴾ فهو مصدر من المعنى، أى أخذ تنكيل[3] فيها يكون مثلا يتقيد به و يتعظ كل من سمعه عن مثل حال فرعون، و قدمها اهتماما بشأنها[4] و إشارة إلى [أن -[5]] عظمة عذابها اعظم و لا يذوقه الإنسان إلا بكشف غطاء الدنيا بالموت، و تنبيها على أن المنع من مثل هذه الدعوى للصدق بها امكن، و ليس ذلك ١٠ للفاصلة لأنه لو قيل: «الآخرى» لوافقت ﴿و الاولى ﴾ أى و نكال[6] الدنيا الذى هو قبل الآخرة[7] فان من سمع قصة غرقه و مجموع ما اتفق له كان [له -[5]] ذلك نكالا مانعا من عمل مثله أو أقل منه، قال الضحاك[8]: أما فى الدنيا فأغرقه الله تعالى [و ألقاه -[9]] بنجوة من الأرض، و أما فى العقبى فيدخله الله تعالى النار [و -[9]] يجعله ظاهرا على تل منها ١٥

(١-١) فى ظ و م: الموفق (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: نكل (٤) فى م: بها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بنكال (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الأخرى (٨) راجع المعالم ٧ / (٩) زيد من ظ و م.

مغلولا مقيدا ينادى عليه هذا الذى ادعى الربوبية دون الله - انتهى . و أنا لا أشك أن الحلاج و ابن عربى و ابن الفارض [و أتباعهم -[1]] يكونون فى النار تحتهم و تحت آله يشربون عصارتهم ، فانهم[2] ادعوا[3] أنه ناج و صدقوه فيما ادعاه[4] و ادعوا لأنفسهم و غيرهم [مثل - [5]] ما ادعاه

٥ تكذيبا للقرآن / و إغراقا فى العدوان ، و زادوا عليه بابتذال الاسم الأعظم ٦٦١ / الذى حماه الله من أن يدعيه أحد[6] قبل ارسال النبى صلى الله عليه و سلم فادعوا[7] أنه يطلق عليهم و على كل أحد بل كل[8] شىء ، و أمارة هذه الطائفة الخبيثة التى لا تتخلف أن تقول لأحدهم[9] : العن فرعون الذى أجمع على لعنه [10] جميع الطوائف . و هو مثل عندهم فى الشرارة[11] و الخبث

١٠ فلا يلعنه ، و إن لعنه فبعد توقف .

و لما لخص سبحانه و تعالى ما مضى من قصصه فى هذه الكلمات اليسيرة أحسن تلخيص و أقربه مع عدم المخالفة لشىء[12] مما مضى لأن المفصل موضع الاختصار أما باعتبار النزول فانه نزل[13] أولا فكان تقريب القصص

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كانهم (٣) زيد فى الأصل انهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ادعى (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، فى الأصل : لاحد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فادعى (٨) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : لاحد (١٠) العبارة من هنا الى « و الخبث » ساقطة من ظ (١١) من م ، و فى الأصل : الشهادة (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بشىء (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ترك .

للناس بالاقتصار على[1] ما لا بد منه اولى ليستأنسوا به، و أما من جهة الترتيب فلتذكيرهم بما مضى ليجتمع [في -[2]] المخيلة في أقرب وقت و يتذكر[3] به ذلك المبسوط، و ختمه بأخذه هذا الاخذ الغريب. أرشد [إلى -[4]] ما في القصة من العبرة، مشيرا إلى استحضار ما مضى كله، فقال مؤكدا ٥ مقررا للمكذب[5] و منبها للصدق[6]: ﴿ ان في ذلك ﴾ أي الأمر العظيم[7] الذي فعله و الذي فعل به ﴿ لعبرة ﴾ أي أمرا [عظيما -[7]] يتعمد الاعتبار به من معنى إلى معنى حتى يقع به الوصول إلى كثير من المعارف ﴿ لمن يخشى ﴾ أي من شأنه الخوف العظيم من الله لأن الخشية - كما تقدم - هي[8] اساس الخير، فأول العبور[9] ان ينقل السامع حال غيره ١٠ إليه فيتذكر بانجاء بني إسرائيل على ضعفهم[10] منهم على قوتهم ثم بقوة ما حصل لهم من القهر من ذلك حتى أوجب اتباعهم بالجنود ثم بفرق البحر ثم بايرادهم إياه ثم باغراقهم[11] فيه كلمح البصر لم يخرج منهم مخبر قدرة الله تعالى على إيراد الكفار[12] النار و قهر [13]كل جبار[13] و بجعل العصا حية و إخراج القمل و الضفادع من الأرض و تحويل الماء دما ١٥

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: مع (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و في الأصل وظ: يذكر (٤) زيد من م (٥) من ظ وم، وفي الأصل: للمكذبين. (٦) من ظ وم، وفي الأصل: للمصدقين (٧) زيد في م: اى (٨) سقط من م. (٩) في ظ: القبول (١٠) من ظ و م، و في الأصل: ضعف (١١) من ظ و م، و في الأصل: بغرقهم (١٢) زيد في الأصل: في، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (١٣-١٣) من م، و في الأصل و ظ: الكفار.

قدرتُه سبحانه و تعالى على ذلك السامع بالعذاب و غيره وعلى خصوص البعث ـ إلى غير ذلك من العبر [و ـ[1]] واضح الأثر .

و لما ختم [2]قصة فرعون ـ لعنه الله[2] ـ بالعبرة ، وكان أعظم عبرتها القدرة التامة لاسيما على البعث كما هى مشيرة إليه بأولها و آخرها ، ٥ و العقوبة على التكذيب [به لأن التكذيب به ـ[1]] يجمع مجامع [الشر ـ[1]] و التصديق به يجمع مجامع الخير ، و كانوا يستبعدونه لاستبعاد القدرة عليه ، وصل به ما هو كالنتيجة منه ، فقال مقررا مخاطبا لأصحاب الشبهة[3] الشاكين موقفا لهم على القدرة منكرا[4] عليهم استبعادهم ذلك ملتفتا بعد تخصيص الخطاب به صلى الله عليه و سلم [لما تقدم من دقة فهمه و جلالة علمه ١٠ صلى الله عليه و سلم ـ[1]] إلى عموم الخطاب لوضوح هذا البرهان لكل إنسان استعطافا بهم فى توبيخ: ﴿ ءانتم ﴾ أى أيها / الأحياء مع كونكم /٦٦٢ خلقا [ضعيفا ـ[1]] ﴿ اشد خلقا ﴾ أى اصعب و أثقل من جهة التقدير والإيجاد ﴿ام السمآء[4] ﴾ على ما فيها من السعة و الكبر و العلو و المنافع .

و لما كان الجواب قطعا : السماء ـ لما يرى من عظمها لأن العالم ١٥ الإنسانى[5] مختصر العالم الآفاقى ، و يزيد الآفاقى طول البقاء مع عدم التأثر ، وصل به قوله دليلا على قدرته على البعث لقدرته على ما هو أشد منه لأن الذى قدر على ابتداء الأكبر هو[6] على إعادة الأصغر أقدر[7] ، مبينا

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) فى م : قصته (٣) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : منكر (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الإنسان (٦) زيد فى الأصل : قادر ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال .

لكيفية خلقه لها: ﴿بنٰها ﴿٢٧﴾﴾ اى جعلها سقفا للأرض على ما لها من العظمة، ثم بين البناء بقوله: ﴿رفع سمكها﴾ [أى -[1]] جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو سمتها الذاهب فى العلو رفيعا، قال فى القاموس: السمك السقف، أومن أعلى البيت إلى أسفله، أو القامة من كل شيء[2]، و قال أبو حيان[3]: السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الذى [4]يلينا و سطحها[4] الذى يلى ما فوقها. ﴿فسوّٰها ﴿٢٨﴾﴾ أى عدلها عقب ذلك بأن جعلها مستوية لاشيء فيها أعلى من شيء و لا أخفض و لا فطور فيها، و أصلحها بما تم به كمالها من الكواكب و غيرها، و جعل مقدار ثخن كل سماء و ما بين كل سماءين و ثخن كل أرض و ما بين كل أرضين على السواء لايزيد شيء من ذلك على الآخر اصلا.

و لما كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو اشد من خلق الآدمى من عدم، أتبعه ما يتصور به البعث فى كل يوم و ليلة مرتين فقال: ﴿واغطش﴾ أى أظلم إظلاما لا يهتدى معه إلى ما كان[5] فى حال الضياء ﴿ليلها﴾ اى بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه. [6]و أضافه إليها[6] لأنه يحدث بحركتها[7]، و بدأ به لأنه كان أولا، و العدم قبل الوجود

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: و الله أعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) فى البحر المحيط ٨/٤٢٢ (٤) من م و البحر، و فى الأصل: بيننا أوالسطح، و فى ظ: يلينا أو السطح (٥) زيد فى الأصل: معه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: اضافها إليه. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ببركتها.

﴿و اخرج ضحٰها ﴾ بطلوع شمسها فأضاء نهارها، فالآية من الاحتباك: دل بـ«أغطش» على «أضاء» و باخراج الضحى على إخفاء الضياء، و لعله عبر بالضحى عن النهار لأنه أزهر ما فيه و أقوى نورا.

و لما بدأ بدلالة العالم العلوى لأنه أدل لما فيه من العجائب و المنافع ٥ مع كونه أشرف، فذكر أنه أتقن السماء التى هى كالذكر، ثنى بأنه سوى ما هى لها كالأنثى فقال: ﴿و الارض ﴾ و لما كان المراد استغراق[1] الزمان باستمرار الدحو[2]، حذف الخافض فقال: ﴿بعد ذلك﴾ أى المذكور كله ﴿ دحٰها ﴾ أى بسطها و مدها للسكنى و بقية المنافع بعد أن كان خلقها و أوجدها قبل إيجاد السماء غير مسوّاة بالفعل و لامدحوة.

١٠ و لما ذكر الدحو، أتبعه ما استلزمه من المنافع لتوقف السكنى المقصودة بالدحو عليه / فقال كالمبين له من غير عاطف: ﴿ اخرج منها ﴾ ٦٦٣ / أى الأرض ﴿ مآءها ﴾ بتفجير العيون، و إضافته إليها دليل على أنه فيها ﴿ و مرعٰها ﴾ الذى يخرج بالماء، و المراد ما يرعى منها و مكانه و زمانه.

١٥ و لما ذكر الأرض و منافعها، ذكر المراسى التى تم بها نفعها فقال: ﴿ و الجبال ﴾ أى خاصة ﴿ ارسٰها ﴾ اى اثبتها و أقرها [و - [3]] مع كونها ثابتة لاتتحول فانه سبحانه جعلها مراسى للأرض تكون سببا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: باستغراق (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المدحو (٣) زيد من ظ و م.

لثباتها كما أن المراسى سبب لثبات السفينة . و لما كانت الإعادة واضحة من تناول الحيوان المأكل و المشرب[1] و غيرهما[2] من المتاع فانه كلما نقص منه شيء تناول[3] ما قدر له ليعود ذلك[4] أو بعضه، قال منبها على أنه كل يوم فى إعادة بانيا حالا مما تقدم تقديره: حال كونها ﴿ متاعا ﴾ [5]مقدرا ٥ ﴿ لكم ﴾ تتمتعون بما فيها من المنافع ﴿ و لانعامكم ﴾ اى مواشيكم بالرعى و غيره .

و لما ذكر ما دل على البعث، أتبعه ما يكون عن البعث مسببا عنه دلالة على أن الوجود ما خلق إلا لأجل البعث لأنه محط الحكمة: ﴿ فاذا جاءت ﴾ أى بعد الموت ﴿ الطآمة الكبرى ﴾ أى الداهية الدهياء التى تطم - أى ١٠ تعلو - على سائر الدواهى و تغطيها فتكون أكبر داهية توجد، و هى البعث بالنفخة الثانية - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما[6]، و العامل فى " إذا "[7] محذوف تقديره: فصل الناس إلى شقى و سعيد .

و لما كان الشيء لا يعرف قدره إذا كان غائبا الا بما يكون فيه، قال مبدلا منه: ﴿ يوم يتذكر ﴾ [أى - [8]] تذكرا عظيما ظاهرا - ١٥ بما أشار إليه الإظهار ﴿ الانسان ﴾ أى الخلق الآنس بنفسه الغافل عما[9]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل: المشارب (٢) من ظ و م ، و فى الأصل: غيرها. (٣) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: منافع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع البحر ٨/٤٢٣ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: اذ (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بما .

خلق له ﴿ما سعى ۙ﴾ اى عمل[1] كله من خير و شر لأنه يراه فى صحيفة أعماله، و الإخبار عن تذكره منبها على ما فى ذلك [اليوم - [2]] من الخطر لأن أحدا لا يعمل جهده[3] فى تذكره إلا لمحوج إلى ذلك و هو الحساب و تدوينه فى صحيفة أعماله .

٥ و لما أشار إلى الحساب ذكر ما بعده فقال : ﴿ و برزت ﴾ أى أظهرت[4] إظهارا عظيما ، و بناه للفعول لأن الهائل مطلق تبريزها لاكونه من معين ، مع الدلالة على الخفة و السهولة لكونه على طريقة [كلام - [5]] القادرين ﴿ الجحيم ﴾ أى النار التى اشتد وقدها و حرها ﴿لمن يرى ۝﴾ أى كائنا من كان لأنه لا حائل بين أحد و بين رؤيتها ، لكن الناجى

١٠ لا يصرف بصره إليها فلا يراها كما قال تعالى " لا يسمعون حسيسها " .

و لما كان جواب " إذا " كما مضى محذوفا ، و كان تقديره أن قسم الناس قسمين : قسم للجحيم و قسم للنعيم ، قال تعالى مسببا عنه مفصلا : ﴿ فاما من طغى ۙ﴾ أى تجاوز الحد فى العدوان فلم يخش مقام ربه ، قال فى القاموس : طغى : جاوز القدر وارتفع [و - [2]] طغى : غلا فى

١٥ الكفر و أسرف فى المعاصى و الظلم ، و الماء : ارتفع .

و لما كان الذى بعد حدود الله هو الدنيا ، صرح به / فقال : ﴿ و اٰثر ﴾ /٦٦٤ أى أكرم و قدم و اختار ﴿ الحيوة الدنيا ۙ﴾ بأن جعل أثر العاجلة[5]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عمله (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بجهده (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ظهرت (٥) زيد فى الأصل : الدنيوية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الدنية لحضورها عنده أعظم من أثر الآخرة العليا لغيابها[١]، فكان كالبهائم لا إدراك له لغير الجزئيات الحاضرة، فانهمك فى جميع أعمالها و أعرض عن الاستعداد للآخرة بالعبادة و تهذيب النفس فلم ينه نفسه عن الهوى.

و لما كان الإنسان مؤاخذا بما اكتسب، سبب عن أعماله هذه قوله مؤكدا لتكذيبهم ذلك: ﴿فان الجحيم﴾ أى النار الشديدة التوقد العظيمة ٥ الجموح على من يدخلها ﴿هى﴾ أى لا غيرها ﴿المأوىٰ ﴾ أى المسكن له - هذا مذهب البصريين أن[٢] الضمير محذوف، و عند الكوفيين ان [" أل "-[٣]] نائب عن الضمير - قاله أبو حيان[٤].

و لما ذكر الطاغى، أتبعه المتقى فقال: ﴿و اما من خاف﴾ و لما [كان -[٣]] ذكر الخوف مما يتعلق بالشىء لأجل ذلك الشىء أعظم من ١٠ ذكر الخوف من ذلك الشىء نفسه فقال: ﴿مقام ربه﴾ أى قيامه بين يدى المحسن إليه عند تذكر إحسانه فلم يطغ فكيف عند تذكر جلاله و انتقامه، أو المكان الذى يقوم فيه بين يديه و[٥] الزمان، و إذا خاف ذلك [المقام -[٣]] فما ظنك بالخوف من صاحبه، و هذا لا يفعله إلا من تحقق المعاد. ١٥

و لما ذكر الخوف ذكر ما يتأثر عنه و لم يجعله مسببا عنه ليفهم[٦] أن كلا منهما فاصل على حياله و أن انفصل عن الآخر فقال:

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لغائبها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لأن.
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى البحر المحيط ٨ / ٤٢٣ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: او (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مفهما.

﴿و نهى النفس﴾ اى التى لها المنافسة ﴿عن الهوىٰ ﴾ اى كل ما تهواه فانه لايجر إلى خير لأن النار حفت بالشهوات، و الشرع كله مبنى على ما يخالف الطبع و ما تهوى الأنفس، و ذلك هو المحارم التى حفت بها النار فانها بالشهوات، قال الرازى: و الهوى هو[1] الشهوة المذمومة ٥ المخالفة لأوامر الشرع، قال الجنيد: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها، أى فأفاد ذلك أنه لم يؤثر الحياة الدنيا، فالآية من الاحتباك: أتى بطغى دليلا على ضده ثانيا، و بالنهى عن الهوى ثانيا دلالة على إيثار الدنيا أولا . و لما كان مقام ترغيب، ربط الجزاء بالعمل كما صنع فى الترهيب فقال و أكد لأجل تكذيب الكفار: ﴿فان الجنة﴾ اى ١٠ البستان الجامع لكل ما يشتهى ﴿هى﴾ أى خاصة ﴿المأوىٰ ﴾ اى له[2]، لايأوى إلى غيرها[3]، و هذا حال المراقبين .

و لما قسمهم هذا التقسيم المفهم[4] أن هذا شيء لابد منه، استأنف ذكر استهزائهم تعجبا[5] منهم فقال: ﴿يسئلونك﴾ أى قريش على سبيل التجديد و الاستمرار سؤال استهزاء و إنكار و استبعاد: ﴿عن الساعة﴾ أى البعث ١٥ الآخر لكثرة ما تتوعدهم بها عن أمرنا . و لما كان السؤال عنها مبهما

(١) زيد فى الأصل: هوى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: ابد الابدين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انهم (٥) من م، و فى الأصل و ظ: تعجبا .

بينه بقوله: ﴿ ايَّان مرسٰها ﴾ اى [فى اى -[1]] وقت إرساؤها[2] اى وقوعها و ثباتها و استقرارها.

و لما كان / إيراد هذا هكذا[3] مفهما الانكار عليهم فى هذا السؤال، / ٦٦٥ و كان من المعلوم أنه يقول: إنهم ليسألوننى و ربما[4] تحركت نفسه الشريفة صلى الله عليه و سلم إلى إجابتهم لحرصه على إسلامهم شفقة عليهم، فطمه عن ذلك و صرح بالانكار بقوله: ﴿ فيم ﴾ أى فى أى شيء ﴿ انت من ذكرٰها ﴾ أى ذكرها العظيم لتعرفها و تبين وقتها لهم حرصا على إسلامهم، و ذلك لايفيد علمها، ثم عرفها بما لايمكن المزيد عليه مما[5] أفادته الجملة التى قبل من أنه لا يمكن علمها لغيره سبحانه و تعالى فقال: ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك وحده ﴿ منتهٰها ﴾ أى منتهى علمها[6] ١٠ و جميع امرها[7]؛

و لما [8]كان غاية أمرهم أنهم[8] يقولون: انه متقول من عند نفسه، قلب عليهم الأمر فقال: ﴿ انما انت ﴾ أى يا أشرف المرسلين ﴿ منذر ﴾ أى مخوف على سبيل الحتم الذى لابد منه مع علمك بما تخوف به العلم الذى لامرية فيه ﴿ من يخشٰها ﴾ أى فيه أهليه أن يخافها خوفا عظيما ١٥ فيعمل لها لعلمه باتيانها لا محالة و علمه بموته لامحالة و علمه بأن كل ما

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: و ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كله (٤) من ظ و م. و فى الأصل: لما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٦) من ظ و م، و فى الأصل: امرها. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: علمها (٨-٨) فى ظ و م: كانوا.

تحقق وقوعه فهو قريب، و ذلك لا يناسب تعيين وقتها[1] فان من فيه أهلية الخشية لايزيده إبهامها إلا خشية، و غيره لايزيده ذلك إلا[2] اجتراء و إجراما، فما أرسلناك[2] إلا للانذار بها لا للاعلام بوقتها، فان النافع الأول دون الثاني، و لست في شيء مما يصفونك به كذبا منهم لأنا ما
٥ نرسل المرسلين إلا مبشرين و منذرين و لا أنت[3] مبعوث[4] لتحرير وقت الساعة و علم عينه[5]، و إنما قصره على من يخشى لأن غيره لا ينتفع بانذاره، فكان كأنه لم يحصل له الإنذار، و لهذا المعنى أضاف إشارة إلى أنه عريق في إنذار من يخشى، و أما غيره فهو منذر له في الجملة أي يحصل له صورة الإنذار لأنه منذره[6] بمعنى أنه يحصل له معنى الإنذار.
١٠ و لما أثبت أنه منذر، و كان أخوف الإنذار الإسراع، قال مستأنفا محقرا لهم الدنيا مزهدا لهم فيها: ﴿كأنهم﴾ أي هؤلاء المنكرين لصحة الإنذار بها ﴿يوم يرونها﴾ أي يعلمون قيامها علما هو كالرؤية و يرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة و قيامهم من القبور من علمهم بما مر من زمانهم و ما يأتي[7] منه ﴿لم يلبثوا﴾ أي في الدنيا و[8] في القبور
١٥ ﴿الا عشية﴾ اى من الزوال إلى غروب الشمس. و لما كانوا على غير ثقة من شيء مما يقولونه قال: ﴿او ضحٰها ﴿٤٦﴾﴾ أي ضحى عشية من العشايا

(١) من ظ وم، و في الأصل: وقوعها (٢-٢) في ظ و م: اجراما واحتراء فما أرسلت (٣) من ظ وم، و في الأصل: ما (٤) من ظ وم، و في الأصل: بمبعوث (٥) من ظ و م، و في الأصل: غيبه (٦) من م، و في الأصل و ظ: منذر (٧) من ظ و م، وفي الأصل: اتى (٨) من ظ وم، و في الأصل: أو.

و هو البكرة[1] إلى الزوال، و العشية ما بعد ذلك، اضيف إليها الضحى
لأنه من النهار، و الإضافة تحصل بأدنى ملابسة، و هي هنا كونهما من
نهار واحد، فالمراد ساعة من نهار أوله أو آخره، لم يستكملوا نهارا تاما
و لم يجمعوا / بين طرفيه، و هذا كما قال صلى الله عليه و سلم «ما الدنيا في /٦٦٦
الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع[2]» و هذا تعبير ٥
لنا بما نحسه تقريبا لعقولنا و إن كانت القاعدة أنه لا نسبة لما يتناهى [إلى ما
لا يتناهى -[3]] على أن الكفار أيضا يستقصرون مدة لبثهم، فكأنهم أصناف:
بعضهم يقول: ان لبثتم إلا عشرا، و بعضهم يقول: إن لبثتم الا يوما،
و بعضهم يتحير فيقول: اسأل العادين، أو أن تلك أقوالهم، و الحق من
ذلك [هو -[3]] ما أخبر الله به غير مضاف إلى أقوالهم من أن ما مضى ١٠
لهم في جنب ما يأتي كأنه ساعة من نهار بالنسبة إلى النهار [الكامل -[3]]
كما قال تعالى في سورة يونس عليه الصلاة و السلام "و يوم يحشرهم كأن
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم" على ان منهم من يقول
ذلك أيضا كما قال تعالى في سورة المؤمنين حين قال تعالى "كم لبثتم في
الارض عدد سنين قالوا[4] لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين" و ذلك ١٥
بالنسبة إلى ما كشف لهم عن أنهم يستقبلونه مما[5] لا آخر له أو أنهم لما
نزعتهم نفخة إسرافيل عليه الصلاة و السلام بيد القدرة من قبورهم غرقا

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: من أول النهار (٢) أخرجه ابن ماجه في الزهد - باب مثل الدنيا (٣) زيد من ظ و م (٤) تكرر في الأصل فقط.
(٥) من ظ و م، و في الأصل: عما.

نزعا شديدا فقاموا و رأوا تلك الأهوال و علموا ما يستقبلونه من
الأوجال استقصروا[1] مدة لبثهم قبل ذلك لأن من استلذ شيئا استقصر
مدته و هم استلذوا ذلك و إن كان من أمرّ المرّ فى جنب لهم عن (؟)
أنهم[2] لاقوه، فقد رجع اخرها بالقيامة على اولها، و التف مفصلها بنزع
٥ الانفس اللوامة على موصلها، و اتصلت بأول ما بعدها من جهة الخشية
و التذكر فيا طيب متصلها، فسبحان من جعله[3] متعانق المقاطع و المطالع،
و أنزله رياضا محكمة المذاهب و المراجع، و الله[4] سبحانه و تعالى هو الموفق
للصواب و إليه المرجع و المآب[4] .



(١) من ظ و م، و فى الأصل: استقروا (٢) زيد فى الأصل و ظ: و الله اعلم، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لصه (٤-٤) فى ظ و م: الموفق .

سورة[1] عبس[2] و تسمى الصاخة

مقصودها[3] شرح "انما أنت منذر من يخشاها" بأن المراد الأعظم تزكية القابل للخشية[4] بالتخويف بالقيامة التى قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، و بكل من الابتداء و الإعادة لطعامه[5] و التعجيب ممن أعرض مع قيام الدليل، و الإشارة إلى أن الاستغناء و الترف امارة ٥ الإعراض و عدم القابلية و التهيؤ للكفر و الفجور، و إلى أن المصائب أمارة للطهارة و الإقبال و استكانة القلوب و سمو النفوس لشريف الأعمال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبه أرق و ألطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب و أولى، و اسمها "عبس" هو الدال على ذلك بتأمل آياته و تدبر فواصله وغاياته، / و كذا الصاخة النافخة بشرها و شررها و الباخة ١٠ ٦٦٧ / { بسم الله } الذى له القدرة البالغة و الحكمة الباهرة { الرحمن } الذى عم بنعمة[6] الإيجاد الظاهره ثم بآيات البيان الزاهرة[7] { الرحيم } الذى خص أولياءه بأن أتم نعمته عليهم، فكانت بهم إلى مرضاته سائرة.

---

(١) الثامنون من سور القرآن الكريم، مكية، و عددآيها ٤٢ (٢) زيد فى الأصل: وتولى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: و مقصودها (٤) زيد فى الأصل: بالخشية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ وم، وفى الأصل: لطفا منه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: بنعمته (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الزاهر.

لما قصره سبحانه على إنذاره من يخشى، و كان قد جاءه صلى الله
عليه و سلم عبد الله بن أم مكتوم [الأعمى - ١] رضى الله تعالى عنه،
و كان من السابقين، و كان النبي صلى الله عليه و سلم حين مجيئه مشتغلا
بدعاء ناس من صناديد قريش إلى الله تعالى، و قد وجد منهم نوع لين،
٥ فشرع عبد الله رضى الله عنه يسأله [و هو لا يعلم ما هو فيه من الشغل،
يسأله - ١] أن يقرئه و يعلمه [مما علمه الله - ١]، فكره أن يقطع
كلامه مع أولئك خوفا من أن يفوته منهم ما يرجوه من إسلامهم
المستتبع لإسلام ناس كثير من أتباعهم، فكان يعرض عنه و يقبل عليهم،
و تظهر الكراهة فى وجهه، لاطفه سبحانه و تعالى بالعتاب عن التشاغل
١٠ عن أهل ذلك بالتصدى لمن شأنه أن لا يخشى لافتتانه بزينة الحياة الدنيا
و إقباله بكليته على ما يفنى، فقال مبينا لشرف الفقر[٢] و علو مرتبته و فضل
أهل الدين و إن هانوا، و خسة أهل الدنيا و إن زانوا، معظما له صلى الله
عليه و سلم بسياق الغيبة كما قال سعد بن معاذ رضى الله عنه لما حكم فى
بنى قريظة : و على من ههنا - يشير الى ناحية النبي صلى الله عليه و سلم و هو
١٥ معرض عنها حياء منه صلى الله عليه و سلم و إجلالا له : ﴿ عبس ﴾ أى
فعل الذى هو أعظم خلقنا و نجله عن أن نواجهه بمثل هذا العتاب بوجهه
فعل الكاره للشيء من تقطيب الوجه بما له من الطبع البشرى حين يحال
بينه و بين مراده، و آذن بمدحه صلى الله عليه و سلم بأن ذلك خلاف
ما طبعه عليه سبحانه من رحمة المساكين و محبتهم و السرور بقربهم و صحبتهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ، و فى الأصل و م : الفقه .

[بقوله -[1]] : ﴿ وتولّىٰٓ ۙ ﴾ أى كاف نفسه الإعراض عنه رجاء ان يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الإسلام و يسلم باسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله ، [لأجل -[2]] ﴿ ان جآءه الاعمىٰ ﴾ الذى ينبغى أن يبالغ فى العطف عليه وفى إكرامه جبرا لكسره و اعترافا بحقه فى مجيئه، و ذكره[3] بالوصف الاشعار بعذره[4] فى الإقدام على قطع الكلام و البعث ٥ على الرأفة [به - [5]] و الرحمة له ، فكان النبي صلى الله عليه و آله و سلم إذا رآه بعد ذلك قال : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى، و استخلفه على المدينة الشريفة عند غزوه مرتين، قال أنس بن مالك رضى الله عنه[6] : و رأيته يوم القادسية عليه درع و معه رأية سوداء رضى الله عنه -

و لما عرف بسياق الغيبة ما أريد من الإجلال ، وكان طول الإعراض ١٠ موجبا للانقباض ، أقبل عليه صلى الله عليه و سلم فقال : / ﴿ و ما يدريك ﴾ / ٦٦٨ اى و اى شىء يجعلك داريا بحاله و إن اجتهدت فى ذلك فان ذوات الصدور لا يعلمها إلا الله تعالى ﴿ لعله ﴾ أى الأعمى ﴿ يزكّىٰٓ ۙ ﴾ أى يكون بحيث يرجى تطهره و نمو أحواله الصالحة[7] بما يسمع منك[8] و لو على أدنى الوجوه بما يشير إليه إدغام تاء الا فتعال (؟) ، و كذا قوله : ﴿ او يذكر ﴾ أى ١٥ أو يقع منه التذكر لشىء يكون سببا لزكائه[9] و تذكره و لو كان [10]ذلك منه[10]

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر.
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يتعذره (٥) زيد من ظ (٦) راجع المعالم ١٧٤/٧ .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الصالح (٨) من ظ ، و فى الأصل و م : منه .
(٩) من ظ ، و فى الأصل و م : لزكاته (١٠-١٠) من م ، و فى الاصل و ظ : منه ذلك .

على أدنى الوجوه المخرجة من[1] الكفر فان الخير لا يحقر شيء منه، و سبب عن تزكيه و تذكره قوله: ﴿فتنفعه﴾ أى عقب تذكره و سببه ﴿الذكرىٰ ؛﴾ و فى ذلك إيماء إلى أن الإعراض كان لتزكية غيره و تذكره، و قراءة النصب على أنه جواب «لعل».

٥ و لما ذكر العبوس و التولى عنه فأفهما ضدهما لمن كان مقبلا عليهم، بين ذلك فقال: ﴿اما من استغنىٰ ؕ﴾ أى طلب الغنى و هو المال و الثروة فوجده و ان لم يخش و لم يجئ إليك ﴿فانت له﴾ أى دون الأعمى ﴿تصدىٰ ؕ﴾ اى تتعرض بالإقبال عليه و الاجتهاد فى وعظه رجاء اسلامه واسلام أتباعه باسلامه و هم عتبة بن ربيعة و ابو جهل

١٠ و [أبي و ـ[2]] أمية ابنا خلف، و أشار[3] حذف تاء التفعل فى قراءة الجماعة و ادغامها فى قراءة نافع و ابن كثير [إلى ـ[4]] أن ذلك كان على وجه خفيف كما هى عادة العقلاء.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال سبحانه " ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى " و قال بعد " انما انت منذر من يخشاها " افتتحت هذه

١٥ السورة الأخرى بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر و الخشية و جميل الاعتناء الربانى بهم و [انهم و[5]] ان كانوا فى دنياهم ذوي[6] خمول لا يؤبه لهم[6] فهم عنده[6] سبحانه فى عداد من اختاره لعبادته

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المخرج (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: إلى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من ظ، و فى الأصل و م: ذو (٦-٦) من ظ، و فى الأصل و م: فهو عندهم.

و اهله[1] لطاعته و إجابة رسوله[2] صلى الله عليه و سلم و أعلى منزلته لديه «رب أشعث أغبر لا يؤبه له[3] لو أقسم على الله لأبره» و منهم ابن أم مكتوم الأعمى مؤذن رسول الله صلى الله عليه و سلم [و هو - [4]] الذى [5]بسببه نزلت[5] السورة و وردت[6] بطريق العتب وصاة لنبيه صلى الله عليه وسلم و تنبيها على أن يعمل نفسه الكريمة على مصابرة [أمثال - [4]] ابن ٥ أم مكتوم و أن لا يحتقر و حاشاه صلى الله عليه و سلم من ذلك، و لكن التحذير من هذا و إن لم يكن وقع[7] يشعر بعظيم الاعتناء بمن حذر، و منه قوله سبحانه "لئن اشركت ليحبطن عملك" و "لا تدع مع الله الها اخر" و "لا تمش فى الارض مرحا" و هو كثير، و بسط هذا الضرب لا يلائم مقصودنا فى هذا التعليق، لما دخل عليه صلى الله ١٠ عليه و سلم ابن أم مكتوم سائلا و مسترشدا و هو صلى الله عليه و سلم يكلم رجلا من أشراف قريش و قد طمع فى إسلامه و رجاء إنقاذه من النار و إنقاذ ذويه و أتباعه، فتمادى على طلبه[8] هذا الرجل لما كان يرجوه / و وكل ابن أم مكتوم إلى إيمانه [فأغفل - [9]] فورية[10] مجاوبته / ٦٦٩ و شق عليه إلحاحه خوفا من تفلت[11] الآخر و مضيه على عقبه و هلاكه ١٥

(١) من م، و فى الاصل و ظ : اهلا (٢) فى م : رسله (٣) من ظ و م، وفى الأصل : به (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل : نزلت بسببه.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل : ورث (٧) من ظ، و فى الأصل و م : يقع.
(٨) فى ظ : تقلبه (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل : فورى.
(١١) من ظ و م، و فى الأصل : تقلب.

عتب سبحانه و تعالى عليه فقال ”عبس و تولى ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر“ و هى منه سبحانه واجبة ، وقد تقدم فى السورة قبل قول موسى عليه الصلاة و السلام ”هل لك الى أن تزكى“ فلم يقدر له بذلك و لا انتفع ببعد صيته فى دنياه و لا أغنى عنه ما نال
٥ منها و بارت [مواد - ١] تدبيره و عميت عليه الأنباء إلى أن قال «ما علمت لكم[٢] من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى» «و انى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل» فأنى يزكى ؟ و لو سبقت له سعادة لأبصر من حاله عين اللهو و للعب حين مقالته الشنعاء «أم أنا خير من هذا الذى هو مهين».
١٠ و لما سبقت لابن أم مكتوم الحسنى لم يضره عدم الصيت الدنياوى و لا أخل[٣] به عماه بل عظّم ربه شأنه لما نزل فى حقه ”و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى“ فيا له صيتا[٤] ما أجله ، بخلاف من قدم ذكره ممن طرد فلم يتزك[٥] و لم ينتفع بالذكرى حين قصد بها «إنما أنت منذر من يخشاها» كابن أم مكتوم ، و من نمط ما نزل فى ابن أم مكتوم
١٥ قوله تعالى ”و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه“ [و قوله : ”و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه“ -[٥]] فتبارك ربنا ما أعظم لطفه بعبيده-اللهم لا تؤيسنا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلكم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : خل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : صليتا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم يترك .

من رحمتك [١] ولا تقنطنا من لطفك [١] ولا تقطع بنا عنك بمنك وإحسانك - انتهى [٢].

ولما كان فعله ذلك فعل من يخشى أن يكون عليه في بقائهم على كفرهم ملامة، بين له أنه سالم من ذلك فقال: ﴿ وما ﴾ [أي - [٣]] فعلت ذلك والحال أنه ما ﴿ عليك ﴾ اى من [٤] بأس في ﴿ الا يزكّى ﴾ ٥ أصلا ورأسا ولو بأدنى تزك - بما أشار اليه الإدغام [٥] - ان عليك إلا البلاغ، ويجوز أن يكون استفهاما أي وأي شيء يكون عليك في عدم تزكيه، وفيه أشاره إلى أنه يجب الاجتهاد في تزكية التابع الذي عرف منه القبول.

ولما ذكر المستغني، ذكر مقابله فقال: ﴿ واما من جاءك ﴾ حال ١٠ كونه ﴿ يسعى ﴾ أي مسرعا رغبة فيما عندك من الخير المذكر [٦] بالله وهو [٧] فقير ﴿ وهو ﴾ أي والحال أنه ﴿ يخشى ﴾ أي يوجد الخوف من الله تعالى ومن الكفار في أذاهم على الإتيان الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معاثر الطريق لعماه ﴿ فانت عنه ﴾ اى خاصة في ذلك المجلس لكونه في الحاصل ﴿ تلهّى ﴾ أي تتشاغل لأجل أولئك الأشراف ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد في الأصل: والله اعلم، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ و م. (٥) زيد في الأصل وظ: وما عليك، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: المذكور (٧) زيد في الأصل: أي، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

الذين تريد إسلامهم ليعلو بهم الدين تشاغلا حميما ـ بما اشار اليه حذف التاء، من لهى عنه كرضى ـ إذا سلى وغفل وترك، وفى التعبير بذلك اشارة
/ إلى أن الاشتغال بأولئك لا فائدة فيه على ما تفهمه[1] تصاريف المادة / ٦٧٠
وإلى أن من يقصد الانسان [2]ويتخطى رقاب الناس اليه له عليك حق
٥ عظيم، والآية من الاحتباك: ذكر الغنى أولا يدل على الفقر ثانيا، وذكر المجيء والخشية ثانيا يدل على ضدهما أولا. وسر ذلك التحذير مما يدعو اليه الطبع البشرى من الميل الى الأغنياء، ومن الاستهانة بحق الآتى إعظاما لمطلق إتيانه.

ولما كان العتاب الذى هو من شأن[2] الأحباب ملوحا بالنهى عن
١٠ الإعراض عمن وقع العتاب عليه، وكل من كان حاله كحاله والتشاغل عن راغب، صرح به فقال: ﴿كلآ﴾ أى لا تفعل ذلك أصلا فان الأمر فى القضاء والقدر ليس على ما يظن العباد ولا هو جار على الأسباب التى تعرفونها بل هو من وراء علومهم على حكم تدق عن [3]أفكارهم وفهومهم[3]؛ ثم علل ذلك فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك: ﴿انها﴾ أى القرآن، ولعله
١٥ أنث الضمير باعتبار ما تلى عليهم فى ذلك المجلس[4] من الآيات [5]أو السور[5] ﴿تذكرة ج﴾ أى تذكرهم تذكيرا عظيما بما[6] إن تأملوه شاهدوه فى أنفسهم

---

(١) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) من ظ وم، وفى الأصل: مفهومهم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: المحاسن (٥ - ٥) من ظ وم، وفى الأصل: والسورة. (٦) من م، وفى الاصل وظ: لما.

و فى الآفاق[1]، ليس فيه شىء إلا و هم[2] يعرفونه لو اقبلوا بكليتهم عليه، فما على المذكر بها غير البلاغ، فمن أقبل عليه فأهلا و سهلا، و من أعرض فبعدا [له -[3]] و سحقا.

و لما كان سبحانه قد خلق للانسان عقلا و اختيارا. و يسر أمر[4] القرآن فى الحفظ و الفهم لمن أقبل عليه، سبب عن ذلك قوله: ﴿فمن شآء﴾ أى ٥ ذكره[5] بعد مشيئة الله تعالى كما تقدم تقييده فى القرآن غير مرة ﴿ذكره ؕ﴾ أى حفظ القرآن كله و تذكر ما فيه من الوعظ من غير تكرير و لا معالجة تحوج إلى الإعراض عن بعض المقبلين الراغبين، و للاشارة[6] إلى حفظه كله ذكر الضمير.

و لما كان التقدير: حال كون القرآن مثبتا أو حال كون الذاكر[7] ١٠ له [مثبتا -[8]]، قال واصفا لتذكرة مبينا لشرفها بتشريف ظرفها و ظرف ظرفها: ﴿فى صحف﴾ أى أشياء يكتب فيها من الورق و غيره ﴿مكرمة ۙ﴾ اى مكررة التكريم و معظمته[9] فى السماء و الأرض فى كل أمة و [كل -[10]] ملة ﴿مرفوعة﴾ أى علية[11] المقدار باعلاء كل أحد لاسيما من له الأمر كله ﴿مطهرة ۙ﴾ أى منزهة عن أيدى أهل السفول و عن قولهم ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانفاق (٢) من م، و فى الأصل و ظ: هو.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) فى ظ و م: الذكر.
(٦) من ظ، و فى الأصل و م: الاشارة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الذكر (٨) زيد من ظ (٩) من م، و فى الأصل و ظ: بعظمة (١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م، و فى الأصل: عالية.

انها شعر أو سحر و نحو ذلك ، و علق [ايضا - [1]] بمثبت - [2]بالفتح أو الكسر[2] على اختلاف المعنيين - قوله مبينا شرف ذلك الظرف لذلك الظرف إشارة إلى نهاية الشرف للظروف: ﴿بايدى سفرة﴾ أى كتبة يظهرون الكتابة بما فيها من الأخبار الغريبة و الأحكام العلية فى[كل - [3]]
٥ حال، فان كان[4] ما تعلق به الجار بالفتح فهو حقيقة فى أنهم ملائكة يكتبونه من[5] اللوح المحفوظ، أو يكون جمع سافر إما بمعنى / الكاتب ٦٧١ / أو المسافر [أى - [3]] القاطع للمسافة أو السفير الذى [هو - [3]] المصلح لأنهم سفراء بين الله و أنبيائه، و بهم يصلح أمر الدين و الدنيا، و ان كان بالكسر فهو مجاز لأن من أقبل على كتابة الذكر يكون مهذبا فى الحال
١٠ [6]او فى[6] المآل فى الغالب، و تركيب سفر للكشف[7] ﴿كرام﴾ [أى ينطوون على معالى الأخلاق مع أنهم أعزاء على الله - [3]] ﴿بررة﴾ اى أتقياء فى اعلى مراتب التقوى و الكرم و أعزها و أوسعها .

و لما كان الوصف بهذه الأوصاف العالية للكتبة الذين[8] أيديهم ظرف للصحف [9]التى هى[9] ظرف للتذكرة للتنبيه على علو المكتوب
١٥ و جلالة مقداره و عظمة آثارة و ظهور ذلك لمن تدبره و تأمله حق تأمله

---

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : الفتح و بالكسر (م) زيد من ظ وم (٤) من م ، وفى الأصل وظ : كل (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : فى (٦ - ٦) من ظ وم ، و فى الأصل : «و» (٧) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٩ - ٩) من ظ وم ، و فى الأصل : الذين هم .

و أنعم

و أنعم[1] نظره، عقبه [بقوله -[2]] ناعيا على من [لم -[3]] يقبل بكليته عليه داعيا عليه باعظم شدائد الدنيا التى هى القتل فى صيغة الخبر لانه أبلغ: ﴿ قتل الانسان ﴾ أى هذا النوع الآنس بنفسه الناسى لربه[3] المتكبر على غيره المعجب بشمائله التى أبدعها له خالقه، حصل قتله بلعنه و طرده و فرغ منه بأيسر سعى و أسهله من كل من يصح ذلك منه لأنه اسرع ٥ شيء إلى الفساد لأنه مبنى على النقائص إلا من عصم[4] الله ﴿ مآ اكفره[5] ﴾ أى ما أشد تغطيته للحق و جحده له و عناده فيه لإنكاره البعث و إشراكه بربه و غير ذلك من أمره، فهو دعاء عليه بأشنع[6] دعاء [و -[2]] تعجيب من إفراطه فى ستر محاسن القرآن التى لاتخفى[6] على أحد و دلائله على القيامة و كل شيء لا يسع [أحدا -[2]] التعبير[7] فى وجه شيء منها، و هذا الدعاء ١٠ على وجازته يدل على سخط عظيم و ذم بليغ و هو و إن كان فى مخصوص فالعبرة بعمومه[8] فى كل من كفر نعمة الله، روى أنها نزلت فى عتبة بن أبي لهب غاضب اباه فاسلم ثم استصلحه أبوه و أعطاه مالا و جهزه إلى الشام فبعث إلى النبي صلى الله عليه و سلم يعلمه[8] أنه كافر برب النجم إذا هوى، و أفحش فى غير هذا، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: اللهم ابعث ١٥ عليه كلبا من كلابك، فلما انتهى إلى مكان من الطريق فيه الأسد

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: امعن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كربه (٤) من م، و فى الأصل و ظ: عصمه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بامنع (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا تختلف (٧) من ظ و م، و فى الأصل: التعبير به (٨) سقط من ظ و م.

ذكر الدعاء فجعل لمن معه الف دينار إن اصبح [حيا -[1]] فجعلوه في وسط الرفقة و المتاع و الرحال فأقبل الأسد إلى الرحال و وثب فاذا هو فوقه فمزقه فكان أبوه يندبه و يبكي عليه و قال: ما قال محمد شيئا إلا كان، [و -[1]] مع ذلك فما نفعه ما عرف من ذلك، فسبحان من
٥ بيده القلوب يضل من يشاء و يهدي من يشاء، و كل ذلك من هدايته و إضلاله شاهد بأن له الحمد.

و لما كان أكثر انصباب التعجيب[2] منه ناظرا الى تكذيبه بالساعة لأجل ظهور أدلتها في القرآن جدا و لأنه توالت في هذه السور[3] إقامة الأدلة عليها بما لا مزيد عليه، شرع في إقامة الدليل عليها بآية
١٠ الأنفس من ابتداء الخلق في أسلوب / مبين لخسته و حقارته و أن من ألبسه أثواب[4] الشرف بعد تلك الخسة و الحقارة جدير منه بالشكر لا بالكفر، فقال منبها له بالسؤال: ﴿من اى شيء﴾ و الاستفهام للتقرير مع التحقير ﴿خلقه[5]﴾ ثم أجاب اشارة الى ان الجواب واضح لا يحتاج فيه الى وقفة أصلا فقال مبينا حقارته: ﴿من نطفة[5]﴾ أي[5] ماء يسير جدا لا من
١٥ غيره ﴿خلقه﴾ أي أوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط[6] ﴿فقدره﴾ أي هيأه لما يصلح له من الأعضاء الظاهرة و الباطنة و الأشكال و الأطوار

٦٧٢ /

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: التعجب (٣) من ظ و م، و في الأصل: السورة (٤) من ظ و م، و في الأصل: ثواب. (٥) من م، و في الأصل و ظ: على (٦) في ظ: التخليط.

إلى [أن -[1]] صلح لذلك[2] ثم جعله فى ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ثم الرحم ثم المشيمة ، أو هى[3] على ما[3] قال أهل التشريح ثلاثة أغشية : أحدها المشيمة تتصل بسرة الجنين تمده[4] بالغذاء ، و الثانى يقبل[5] بوله ، و الثالث يقبل البخارات التى تصعد منه بمنزلة العرق و الوسخ فى أبدان الكاملين ، و أعطاه قدرة لما أراده [منه -[1]] ﴿ ثم ﴾ أى بعد انتهاء المدة ٥ ﴿السبيل﴾ أى الأكمل فى العموم و الاتساع و الوضوح لا غيره ، و هو مخرجه من بطن أمه و طريقه إلى الجنة أو النار[6] ﴿ يسره ۗ﴾ أى سهل له امره فى خروجه بأن فتح فم الرحم[7] و ألهمه أن ينتكس ، و ذلل [له -[1]] سبيل الخير و الشر ، و جعل له عقلا يقوده إلى ما يسر له منهما ، و فيه[8] إيماء الى أن الدنيا [9]دار الممر[9] ، و المقصد غيرها[10] و هو الأخرى ١٠ التى تدل عليها الدنيا ، و لذلك عقبه بقوله عادا الموت من النعم لأنه لو دام الإنسان حيا مع ما يصل اليه من الضعف و الخوف لكان فى غاية البشاعة و الشماتة لأعدائه و المساءة لأوليائه على أن الموت سبب الحياة الأبدية : ﴿ ثم ﴾ أى بعد أمور قدرها سبحانه من أجل و تقلبات

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كذلك (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٤) من ظ ، و فى الأصل : يمد ، و فى م : يمده . (٥) من م ، و فى الأصل وظ : تقبله (٦) زيد فى الأصل : الى ايهما ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : الفروج (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٩-٩) من ظ وم ، وفى الأصل : راد مض - كذا . (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : غيره .

﴿ اماته ﴾ و أشار إلى إيجاب المبادرة إلى التجهيز بالفاء المعقبة فى قوله: ﴿ فاقبره ﴾ أى جعل له قبرا فغيبه [فيه - [1]] او أمر بدفنه تكرمة له و صيانة عن السباع ، و الإقبار جعلك لميت قبرا و إعطاؤك القتيل لأهله ليدفنوه ، و المعنى الامتنان بأنه جعل للانسان موضعا يصلح لدفنه و جعله ٥ بعد الموت بحيث يتمكن [2] من دفنه ، و لوشاء لجعله يتفتت مع النتن و نحوه مما [3] يمنع من قربانه ، أو جعله بحيث يتهاون به فلا يدفن كبقية الحيوانات ، فقد عرف بهذا أن أول الإنسان نطفة مذرة ، و آخره جيفة قذرة ، و هو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، فما شرفه بالعلم إلا الذى أبدعه و صوره ، و ذلك موجب لأن يشكره لا أن يكفره .

١٠ و لما كانت مدة البرزخ طويلة ، و كان البعث [أمرا - [4]] محققا غير معلوم الوقت بالعين بغيره تعالى ، عبر عن المعانى الثلاثة بأداتى [5] التراخى و التحقق فقال: ﴿ ثم اذا شآء ﴾ أى إنشاره [6] ﴿ انشره ﴾ اى بعثه من قبره كما كان فى دنياه بزيادة أنه على تركيب قوى / لا يتهيأ فيه فراق الروح الجسد . /٦٧٣

١٥ و لما كان إخباره بأنه مع [7] الذى يسر له السبيل قد يفهم انه لا يعمل إلا بما يرضيه ، نفى ذلك على سبيل الردع فقال: ﴿ كلا ﴾ أى ليرتدع هذا الإنسان الذى عرف أن هذه حالاته أولا و آخرا و أثناءا و مخرجا

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يمكن (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فما (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : باداة (٦) زيد فى الأصل : بعد القبر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) فى ظ : هو .

تارة

تارة من مخرج البول و أخرى من مخرج الحيض و مقبرا ، و ليـنزجر[1] و ليعرف، نفسه بالذلة و الخسة و الحاجة و العجز ، و ليعرف ربه سبحانه بالعزة و العظمة و الكبرياء و الفناء و القدرة على تشريف الحقير و تحقير الشريف ، و بأنه سبحانه لا يلزمه شيء فلا يلزم من تعريف هذا الإنسان السبيل و تمييزه له أنه لا يفعل إلا ما لا يعاتب عليه، فانه لا يكون [من -[2]] ٥ الإنسان و غيره إلا ما يريده ، و تارة يريد هداه ، و تارة يريد ضلاله ، فقد يأمر بما لا يريده و يريد ما لا يأمر به و لا يرضاه ، و لذلك قال مستأنفا نفى ما أفهمه بتيسيره[3] للسبيل من [أن -[4]] الإنسان يفعل جميع ما أمره به الله الذى يسر له السبيل : ﴿ لما يقض ﴾ أى يفعل الإنسان فعلا نافذا ماضيا ﴿ مآ امره[5] ﴾ أى به الله كله من غير تقصير ما من حين ١٠ تكليفه إلى حين إقباره بل من حين وجد آدم عليه الصلاة و السلام إلى حين نزول هذه الآية و إلى آخر الدهر ، لأن الإنسان [مبنى -[2]] على النقصان و الإله منزه التنزه الأكمل ، و ما قدروا الله حق قدره ، و ايضا الإنسان الذى هو النوع لم [يعمل -[2]] بأسره بحيث لم يشذ منه فرد جميع ما أمره ، بل أغلب[5] الجنس عصاه و كذب بالساعة التى هى ١٥ حكمة الوجود ، و إن صدق بها[6] بعضهم كان تصديقه بها تكذيبا لأنه يعتقد أشياء منها على خلاف ما هى عليه .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ليزجر (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ : بتيسره.
(٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نقلب (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : به .

و لما ردعه بعد تفصيل [ما له ـ[1]] فى نفسه من الآيات ، و أشار
إلى ما له من النقائص، شرع يقيم الدليل على تقصيره بأنه لا يقدر
على شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم[2] الذى به قوامه فكيف بغيرها
فى أسلوب دال[3] على الإنشار بآيات الآفاق منبه[4] على سائر النعم فى مدة
٥ بقائه المستلزم لدوام احتياجه إلى ربه فقال مسببا عن ذلك : ﴿ فلينظر الانسان ﴾
أى يوقع النظر التام [5]على كل[5] شىء يقدر على النظر به من بصره
و بصيرته و مدّ له المدى فقال : ﴿ الى طعامه ﴾ يعنى مطعومه و ما يتصل
به ملتفتا إليه بكليته بالاعتبار بما فيه من العبر التى منها أنا لو
لم نيسره له هلك .

١٠ و لما كان المقصود النظر إلى صنائع الله تعالى فيه ، و كانت أفعال
الإنسان و أقواله فى تكذيبه بالبعث أفعال من ينكر ذلك الصنع ، قال
سبحانه مفصلا لما يشترك فى علمه الخاص و العام من صنائعه فى الطعام ،
مؤكدا تنبيها على أن التكذيب بالبعث يستلزم التكذيب / بابداع النبات ٦٧٤ /
و إعادته ، و ذلك فى أسلوب مبين أن الإنسان محتاج إلى جميع ما فى
١٥ الوجود ، و لو نقص منه شىء اختل أمره ، و بدأ أولا بالسماوى لأنه
أشرف ، و بالماء الذى هو حياة كل شىء ، تنبيها له على ابتداء خلقه :
﴿ انا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ صببنا الماء ﴾ أى الذى جعلنا منه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المعظم (٣) من م ،
و فى الأصل وظ : دل (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : منبها (٥-٥) من ظ ،
و فى الأصل و م : بكل .

كل شيء حي ﴿ صبا ۙ﴾ و ثنى بالارض التى هى كالانثى بالنسبة إلى السماء فقال: ﴿ ثم ﴾ أي[1] بعد مهلة[2] من إنزال الماء. و فاوتنا بينها فى البلاد و النبات ﴿ شققنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿الارض﴾ بالنبات الذى هو فى غاية الضعف عن شق أصعب الأشياء فكيف بالأرض اليابسة المتكزرة جدا عند مخالطة الماء، و حقق المعنى فقال: ﴿ شقا ۙ﴾ ٥ ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له مبينا الاحتياج إلى النبات بقوله: ﴿فانبتنا﴾ اى أطلعنا على وجه الاتصال الموجب للتغذى و النمو ﴿فيها﴾ بسبب الشق ﴿حبا ۙ﴾ أي لاقتيات الإنسان و غيره من الحيوان كالحنطة و الشعير و الرز[3] و غيرها.

و لما كان الحب قوتا فبدأ به لأنه الأصل فى القوام، عطف عليه ١٠ ما هو فاكهة و قوت فقال[4]: ﴿وعنبا﴾ هو فاكهة فى حال عنبيته و قوت باتخاذه زبيبا و دبسا و خلا[5]. و لما كان ذلك[6] فى بيان عجائب الصنع ليدل على القدرة على كل شيء فيدل [على -[7]] القدرة على البعث فذكر ما إن أخذ من منبته قبل بلوغه فسد، و إن ترك اشتد و صلح للادخار، و أتبعه ما إن ترك على أصله فسد[8]، و إن أخذ [و عولج -[9]] صلح ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: قاى - كذا (٢) من م، و فى الأصل و ظ: مهملة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: البرز (٤) من ظ، و فى الأصل: وغير ذلك، و كل ذلك ساقط من م (٥) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من م (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اخذ (٩) زيد من ظ و م.

للادخار، أتبعه [ما لا يصلح -[1]] الادخار بوجه فقال: ﴿و قضباً﴾ و هو الرطب من البقل و غيره، و هو يزيد على الماضيين بأنه فيه ما هو دواء نافع و سم ناقع، و بأنه[2] يقطع مرة بعد أخرى فيخلف، سمى بمصدر قضبه - إذا قطعه بحصد أو قلع.

٥ و لما ذكر ما لا يصلح أن يؤكل إلا رطبا من غير تأخير، أتبعه ما لا يفسد بحال لا على أمه و لا بعد القطاف [و يصلح بعد القطاف -[3]] فيؤكل أو يعصر، فيكون له دهن للاستصباح و الادهان[4] و الائتدام، و فيه تقوية للعظام و الأعصاب و لا يفسده[5] الماء بوجه كما أن العنب يعصر فيكون منه دبس و خل و غيرهما[6]، و متى خالطه الماء فسد، [فقال -[1]]:

١٠ ﴿و زيتونا﴾ يكون فيه مع ما مضى حرافة و غضاضة فيها إصلاح المزاج. و لما ذكر ما لا يفسد و شجره يصبر على البرد، أتبعه ما هو كالعنب يؤكل على أمه و[7] يقطع فيدخر[7]، فهو جامع بين التحلى و التحمض بالخل و التفكه[8] و التقوى و التداوى للسم الناقع و السحر الصارع من عجوة المدينة الشريفة و غير ذلك من ثمرة و شجرة، و لا يصبر شجره على

١٥ البرد فقال: ﴿و نخلا﴾ و كل من هذه الأشجار مخالف للآخر فى الشكل و الحمل و غير ذلك مع الموافقة فى / الأرض و السقى.

/ ٦٧٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الاصل: انه (٣) زيد من م.
(٤) من م، و فى الأصل و ظ: الادهاء (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لا يفسد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: نحوهما (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: يدخر بعد قطعه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الفكه.

و لما

و لما ذكر هذه الأشياء من الأقوات و الفواكه لكثرة منافعها ، و كانت البساتين تجمعها و غيرها مع ما لها من بهجة العين و سرور النفس[1] و بسط الخاطر و شرح القلب قال: ﴿و حدآئق﴾ جمع حديقة و هي الروضة ذات النخل و الشجر ، أو كل ما أحاط به [البناء -[2]] و هي تجمع ذلك [كله -[3]] ﴿غلبا لا﴾ جمع غلباء - بفتح الغين و المد، ٥ و هي الحديقة ذات أشجار كثيرة عظام[4] غلاظ طوال ملتفة الأغصان متكاثفة [متكاثرة -[2]] ، مستعار من وصف الرقاب ، يقال : غلب فلان - كفرح أي غلظ عنقه، و الغلباء[5] أيضا من القبائل العزيزة الممتنعة ، و من الهضاب المشرفة .

و لما ذكر ما يتفكه و يدخر جمع فقال: ﴿و فاكهة﴾ أي ثمرة ١٠ رطبة يتفكه بها كالخوخ و العنب و التين و التفاح و الكمثرى [6]و البرقوق[6] مما يمكن أن يصلح فيدخر و مما لا يمكن . و لما ذكر فاكهة الناس ، ذكر فاكهة بهية الحيوان فقال: ﴿و ابا لا﴾ أي و مرعى و نباتا و عشبا و كلأ ما دام رطبا يقصد ، من أب الشيء - إذا أمه .

و لما جمع ما يقتات و ما يتفكه ، فدل دلالة واضحة[7] على تمام ١٥ القدرة ، ذكر بالنعمة فيه قارعا بأسلوب الخطاب لتعميم الأفراد بعد سياق

(١) من ظ و م ، و في الأصل : العين (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ وم ، و في الأصل : عظيمة (٥) من ظ ، و في الأصل و م : غلب .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٧) من م ، و في الأصل و ظ : واحدة.

العتاب للتصريح بأن[1] الكل عاجزون عن الوفاء بالشكر فكيف إذا انضم إليه الكفر فقال. ﴿ متاعا ﴾ و هو منصوب على الحال . و لما ذكر ما يأكله الناس و ما يعلف للدواب ، و كان السياق هنا لطعام الإنسان ، قال مقدما ضميرهم: ﴿ لكم ولانعامكم ۝ ﴾ بخلاف ما فى السجدة و قد ٥ مضى ، و الإنعام بها يكون تمام الصلاح للانسان بما له فيها من النعم بالركوب و الأكل و الشرب و الكسوة و الجمال و سائر المنافع ، و ذكر هذا[2] ذكرا ظاهرا مشيرا[3] إلى المعادن لأن منها ما لا يتم ما مضى إلا به ، و هى آلات الزرع و الحصد[4] و الطبخ و العجن و غير ذلك ، و الملائكة المدبرة لما صرفها الله فيه من ذلك ، فدل ذلك على أن الوجود كله خلق ١٠ [5]لأجل منافع[5] الإنسان ليشكر لا ليكفر ، و دلت القدرة على ذلك قطعا على القدرة على البعث .

و لما ذكر عجائب الصنع فى الطعام ، و كان ذلك يقطف فيعود[6] لا سيما المرعى [7]فانه يأتى[7] عليه الخريف فينشف ثم يتحطم من الرياح و يتفرق فى الأرض ثم يصير ترابا ثم يبعث الله المطر فيجمعه من ١٥ الارض بعد أن صار ترابا ثم ينبته كما كان ، و كان ذلك مثل إحياء الموتى سواء ، فتحقق لذلك ما تقدم من أمر الإنشار بعد الإقبار ، و كان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فان (٢) فى م : الذى (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : مشير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : القصد (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المنافع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ويعود (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فياتى .

ذلك ايضا مذكرا بأمر أبينا[1] آدم عليه الصلاة و السلام لما أمره الله بالأكل من الجنة إلا من الشجرة التى نهاه عنها، فلما أكل منها أخرجه من الجنة فسجنه فى دار ليست بجنة[2] و لا نار و لا غيرهما بل هى من ممتزج الدارين و كالبرزخ بينهما، فيها ما يذكر بهذه و ما يذكر بتلك، و فيها أمثلة الموجودات كلها، قال مسببا عما ثبت به الإحياء للبعث إلى ٥ المحشر معبرا بأداة التحقق لأن الساعة مما لابد منه و لا محيد عنه لأنها سر[3] الكون فان فيها حساب الذين استخلفوا فى هذا الوجود و أفيضت[4] عليهم النعم التى أودعها فيه، و أشار إلى أنهم عاجزون عن القيام بشكرها، وكثير منهم - بل أكثرهم - زاد على ذلك بكفرها، فأوجب ذلك - و لا بد - حسابهم على ما فعلوا فيما استخلفوا فيه و استرعوه كما [5]هى عادة[5] كل ١٠ مسترع و مستخلف: ﴿ فاذا جآءت ﴾ أى كانت و وجدت لأن كل ما هو كائن كأنه لاقيك و جاء [إليك-[6]] ﴿ الصآخة ﴾ أى الصرخة العظيمة التى يبالغ فى إسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها[7] لشدتها. و كأنها تطعن فيها لقوة وقعتها و عظيم وجبتها، و تضطر الآذان إلى أن تصيخ إليها [أى-[6]] تسمع[8]، و هى من أسماء القيامة، و أصل الصخ: الضرب ١٥ بشيء صلب على مصمت .

(١) فى ظ : انشاء (٢) فى ظ وم : جنة (٣) من ظ وم ، و فى الأصل : سلو . (٤) من م ، وفى الأصل وظ : اقتضت (٥-٥) من ظ وم ، و فى الأصل : هو عبادة (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : تعمها (٨) من ظ ، و فى الأصل و م : تسمع .

و لما كان وصفها بما يقع فيها أهيب، قال مبدلا من "اذا" ما يدل على جوابها من نحو: اشتغل كل بنفسه و لم يكن عنده فراغ ما لغيره: ﴿يوم يفر المرء﴾ أى الذى هو أعظم الخلق مروءة. و لما كان السياق للفرار، قدم أدناهم رتبة فى الحب و الذب فأدناهم[1] على سبيل الترقى، و أخر

٥ الأوجب فى ذلك فالأوجب بخلاف ما فى "سأل" كما مضى فقال: ﴿من اخيه﴾ لأنه يألفه صغيرا و قد يركن إليه كبيرا مع طول الصحابة و شدة القرب فى القرابة فيكون عنده فى غاية العزة .

و لما كانت الأم مشاركة له فى الإلف، و يلزم من حمايتها أكثر مما يلزم[2] الأخ و هو لها آلف و إليها أحنّ و عليها أرق و أعطف قال:

١٠ ﴿و امه﴾ و لما كان الأب أعظم منها فى الإلف لأنه أقرب فى النوع و للولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النفع أكثر ممن قبله قال: ﴿و ابيه لا﴾ و لما كانت الزوجة التى هى أهل لان تصحب[3] ألصق بالفؤاد[4] و أعرق فى الوداد، و كان الإنسان أذب عنها[5] عند الاشتداد، قال: ﴿و صاحبته﴾ و لعله أفردها إشارة إلى أنها عنده فى الدرجة العليا من

١٥ المودة بحيث لا يألف غيرها .

و لما كان للوالد إلى الولد من المحبة و العاطفة [و الإباحة ـ[6]]

---

(١) زيد فى الأصل: رتبة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل وظ: فى، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: لانها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى الفؤاد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: منها (٦) زيد من ظ و م .

بالسر

بالسر و المشاورة فى الأمر ما ليس لغيره، و لذلك يضيع عليه رزقه وعمره قال: ﴿و بنيه ۙ﴾ و إن اجتمع فيهم الصغير الذى هو عليه أشفق و الكبير الذى هو فى [قلبه -[1]] أجل و فى عينه أنبل و من بينهما من الذكر و الأنثى.

و لما ذكر فراره الذى منعه قراره، علله فقال: ﴿لكل امرئ﴾ ٥ أى و إن كان أعظم الناس مروءة ﴿منهم يومئذ﴾ أى [إذ -[2]] تكون هذه الدواهى العظام و الشدائد و الآلام ﴿شان﴾ أى أمر بليغ[3] عظيم ﴿يغنيه ۙ﴾ [أى يكفيه -[2]] فى الاهتمام بحيث لايدع له حصة يمكنه[4] صرفها إلى غيره[5] و يوجب له لزوم / المغنى، و هو المنزل - الذى يرضيه /٦٧٧ مع أنه يعلم [أنه -[1]] يتبعونه و يخاف أن يطالبوه لما هم فيه من الكرب ١٠ بما لعله قصر فيه من حقوقهم.

و لما ذكر اليوم، قسم أهله إلى القسمين المقصودين بالتذكرة أول السورة، فقال دالا على البواطن بأشرف الظواهر[6]: ﴿وجوه يومئذ﴾ اى إذ[7] كان [8]ما تقدم[8] من الفرار و غيره ﴿مسفرة ۙ﴾ أى بيض مضيئة بالإشراق و الاستنارة، من أسفر الصبح - إذا أشرق و استنار ١٥ ﴿ضاحكة﴾ لما علمت من سعادتها ﴿مستبشرة ج﴾ أى طالبة للبشر و هو

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل وظ: يمكن (٥) من ظ و م، و فى الأصل: غيرها (٦) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م، و فى الأصل وظ: اذا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

تغير البشرة من السرور و موجدة لذلك ، و هي بيضاء نيرة بما يرى من تبشير الملائكة ، و ذلك بما كانت فيه في الدنيا من عبوس الوجوه[1] و تغيرها و شحوبها[2] من خشية الله تعالى و ما يظهر من[3] جلاله في الساعة كابن أم مكتوم رضي الله عنه الذي كان يحمله خوف الساعة على
٥ حمل الراية في أشد الحروب كيوم القادسية و الثبات بها حتى يكون كالعمود ، لايزول[4] عن[5] مركزه أصلا ليرضى المعبود .

و لما ذكر أهل السعادة الذين هم المقبلون على الخير المصابون في أنفسهم بما يكفر سيئاتهم و يعلي درجاتهم ، ذكر أضدادهم فقال تعالى : ﴿ و وجوه ﴾ و أكد بإعادة الظرف لإزالة الشبهة فقال : ﴿ يومئذ ﴾
١٠ [أي - ٦] إذ وجد ما ذكر ﴿ عليها ﴾ أي ملاصقة لها مع الغلبة و العلو ﴿ غبرة لا ﴾ أي اربداد[7] و كأنه بحيث يصير كأنه[8] قد علاها غبار و هي عابسة حذرة وجلة مندعرة ، و ذلك مما يلحقها من المشقات و كثرة الزحام مع رعب الفؤاد ، و تذكر ما هي صائرة إليه من الأنكاد الشداد ﴿ ترهقها ﴾ أي تغشاها و تقهرها و تعلوها ﴿ قترة ﴾ أي كدورة
١٥ و سواد و ظلمة ضد الإسفار فهي باكية عابسة مما كانت فيه في الدنيا

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الوجه (٢) من ظ و م ، و في الأصل : نحوبتها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : في (٤) من م ، و في الأصل و ظ : لايزال (٥) زيد في الأصل : امره ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها . (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : امداد - كذا (٨) من م ، و في الأصل و ظ : كأنها .

من الفرح و اللعب و الضحك و الآمن من العذاب ؛ فالآية من الاحتباك : ذكر الإسفار و البشر أولا يدل على الخوف و الذعر ثانيا ، و ذكر الغبرة ثانيا يدل على البياض و النور أولا ، و سر ذلك أنه ذكر دليل الراحة و دليل التعب لظهورهما ترغيبا و ترهيبا .

و لما كان[1] هذا الأمر[2] هائلا ، و كان الفاجر، لما على قلبه من الرين ٥ و له من القساوة ، قليل الخوف من الأجل عديم الفكر فيما يأتى به غد[3] لما غلب عليه من الشهوتين : السبعية و البهيمية بخلاف المتقى فى كل ذلك ، استأنف الإخبار زيادة فى التهويل فقال : ﴿اولـئك﴾ أى البعداء[4] البغضاء ﴿هم﴾ أى خاصة [5]لا غيرهم[5] ﴿الكفرة﴾ أى الذين ستروا دلائل الإيمان ﴿الفجرة ﴾ أى الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا ١٠ عريقين فى ذلك الكفر و الفجور ، و هم فى الأغلب المترفون[6] الذين يحملهم غناهم على التكبر و الأشر / و البطر ، فلجمعهم بين الكفر و الفجور جمع /٦٧٨ لهم بين الغبرة و القترة ، كما يكون للزنوج من البقاعة[7] إذا علا وجوههم غبار و وسخ ، فقد عاد آخرها على أولها فيمن يستحق الإعراض عنه و من يستحق الإقبال عليه - و الله الهادى . ١٥

---

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : ذكر (٢) فى ظ : امرا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عدل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المترفهون (٧) فى ظ : القناعة .

سورة التكوير[1]

مقصودها التهديد الشديد[2] بيوم الوعيد الذي هو محط الرحال، لكونه أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن[3] هذا القرآن تذكرة [4]لمن ذكره[4] في صحف مكرمة [4]مرفوعة مطهرة[4] بأيدي سفره، و الدلالة على حقية كونه كذلك بأن[5] السفير به أمين في الملأ الأعلى مكين المكانة
٥ فيما هنالك و الموصل له إلينا منزه عن التهمة بريء من النقص لما يعلمونه من حاله قبل النبوة و ما كانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم المتطاولة التي نبههم بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من أمره و لم يأتهم بعدها إلا بما[6] هو شرف له و تذكير بما في أنفسهم و في الآفاق من الآيات، و ذلك كاف [لهم - [7]] في الحكم بأنه صدق و العلم اليقين بأنه حق،
١٠ و اسمها التكوير أدل[8] ما فيها على ذلك بتأمل الظرف و جوابه و ما فيه من بديع القول و صوابه، و ما تسبب عنه من عظم الشأن لهذا القرآن ﴿ بسم الله ﴾ الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذي عمت نعمة إيجاده وبيانه الأبرار و الفجار ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص أهل وداده بما أسعدهم في

(١) الحادية والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٢٩ .
(٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م، وفي الأصل : فان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م . و في الأصل و ظ : فان (٦) من م، و في الأصل و ظ : ما (٧) زيد من م (٨) تكرر في الأصل فقط .

دار القرار •

لما ختمت سورة[1] عبس بوعيد الكفرة [الفجرة -[2]] بيوم الصاخة لجحودهم [3]بما لهذا[3] القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه باتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك و الملكوت حتى كأنه رأى عين كما رواه[4] الإمام أحمد[5] و الترمذي[6] و الطبراني[7] ٥ و غيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم برجال ثقات أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة رأى العين فليقرأ "اذا الشمس كورت". فقال بادئا بعالم الملك و الشهادة لأنه أقرب تصورا لما يغلب على الإنسان من الوقوف مع المحسوسات، معلما بأنه سيخرب تزهيدا في كل ما يجر إليه و حثا على ١٠ عدم المبالاة به و الابتعاد من التعلق بشيء من أسبابه: ﴿اذا الشمس﴾ أي التي هي أعظم آيات السماء الظاهرة [8]و أوضحها للحس •

و لما كان المهول مطلق تكويرها الدال على عظمة مكورها، بني للفعول على طريقة كلام القادرين قوله: ﴿ كورت ﴾ أي لفت بأيسر أمر من غير كلفة[9] ما أصلا، فأدخلت في العرش - كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما[10] ١٥ فذهب ما كان ينبسط من نورها، من كورت العمامة - إذا لففتها فكان

---

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: بهذا (٤) من ظ و م، و في الأصل: رآه (٥) راجع المسند ٢/٢٧ (٦) راجع الجامع - التفسير (٧) راجع مجمع الزوائد ٧/١٣٤ (٨) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه نسخت من ظ (٩) من م، و في ظ: انفة (١٠) راجع البحر المحيط ٨/٤٣١ •

بعضها على بعض و انطمس بعضها ببعض، و الثوب ـ إذا جمعته فرفعته، فالتكوير كناية عن رفعها أو إلقائها فى جهنم زيادة فى عذاب أهلها و لاسيما عبدتها، أو ألقيت عن فلكها، من طعنه فكوره اى ألقاه مجتمعا، و التركيب للادارة و الجمع و الرفع للشمس، فعل دل عليه "كورت"
٥ لأن "إذا" تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط، و [لما ـ[1]] كان التأثير فى الأعظم دالا على التأثير فيما دونه بطريق الأولى، أتبع ذلك قوله معمما بعد التخصيص: ﴿ و اذا النجوم ﴾ أى كلها صغارها وكبارها ﴿انكدرت ﴾ أى انقضت فتهاوت و تساقطت و تناثرت حتى كان ذلك كأنه بأنفسها من غير فعل فاعل فى غاية الإسراع، أو أظلمت،
١٠ من كدرت الماء فانكدر، قال ابن عباس رضى الله عنهما[2]: يكور الله الشمس و القمر و النجوم [يوم القيامة ـ[1]] فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا، و قال الكلبى و عطاء: [2]تمطر السماء يومئذ نجوما، لا يبقى نجم إلا وقع.

و لما بدأ بأعلام السماء لأنها أشهر و أعم تخويفا و إرهابا، و ذكر
١٥ منها اثنين [هما ـ[1]] أشهر ما فيها و أعمها نفعا، أتبعها أعلام الأرض فقال مكررا للظرف لمزيد الاعتناء بالتهويل: ﴿ و اذا الجبال ﴾ أى التى هى فى العالم السفلى كالنجوم فى العالم العلوى، و هى[3] أصلب ما فى الأرض،

(١) زيد من م (٢) راجع معالم التنزيل ٧/١٧٧ (٣) من م، و فى ظ: هو.

و دل على عظمة القدرة بالبناء للمفعول فقال: ﴿سيرت ۝﴾ أى وقع تسييرها بوجه الأرض فصارت كأنها السحاب فى السير و الهباء فى النثر لتستوى الأرض فتكون قاعا صفصفا لا عوج فيها، لأن ذلك اليوم لا يقبل العوج فى شيء من الأشياء بوجه .

و لما ذكر أعلام الجماد، أتبعه أعلام الحيوان النافع الذى هو ٥ أعز أموال العرب و أغلبها على وجــه دل على عظم الهول فقال: ﴿و اذا العشار ﴾ أى النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر ، جمع عشراء مثل نفساء ، و هى أحب أموال العرب إليهم و أنفسها عندهم لأنها تجمع اللحم و الظهر و اللبن و الوبر ، روى أن النبى صلى الله عليه و سلم [مر-[1]] ١٠ فى أصحابه بعشار من النوق حفل ، فأعرض عنها و غض بصره فقيل له : يا رسول الله ! هذا أنفس أموالنا ، لم لا تنظر إليها ؟ فقال : قد نهانى الله عن ذلك، ثم تلا "و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا"- الآية . و لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة ﴿عطلت ۝﴾ أى تركت[2] مهملة كأنه لا صاحب لها مع أنها أنفس أموالهم ، فكانت إذا بلغت ذلك أحسنت ١٥ إليها و أعزتها و اشتد إقبالها عليها[3] : و قالت : جاء خيرها من ولد و لبن، لأن الأمر، لاشتغال كل أحد بنفسه، أهول من أن يلتفت أحد إلى شيء و إن عز .

و لما[4] ذكر المقرعات الدالات على إرادة أمر عظيم ، قرب ذلك

---

(١) زيد من م (٢) من م، وفى ظ : عطلت (٣) من م ، وفى ظ : ايها (٤) من م ، و فى ظ : ان .

الأمر بافهام أنه الحشر، و دل على عمومه بذكر ما يظن إهماله فقال: ﴿ و اذا الوحوش ﴾ أى دواب البر التى لا تأنس بأحد التى يظن انه لاعبرة بها و لا التفات إليها فما ظنك بغيرها ﴿ حشرت ۝ ﴾ أى بعثت و جمعت من كل أوب قهرا لإرادة العرض على الملك الأعظم و الفصل

٥ فيما بينها فى أنفسها[1] حتى يقتص للجماء من القرناء و بينها[2] و بين غيرها[3] أيضا حتى يسأل العصفور قاتله، لم قتله؟ قال قتادة[4]: يحشر كل شىء للقصاص حتى الذباب ـ انتهى. و لا يستوحش [الوحش ـ[5]] من الناس و لا الناس من الوحوش من شدة الأهوال، و ذلك أهول و أفزع و أخوف و أفظع، قال القشيرى: و لا يبعد أن يكون ذلك بايصال منافع

١٠ إليها جوازا لا وجوبا كما قاله أهل البدع ـ انتهى. و كل شىء فى الدنيا يحضر فى تلك الدار، فاذا وقع الفصل جعل الخبيث فى جهنم زيادة فى عذاب أهلها، و الطيب فى الجنة زيادة فى نعيم أهلها.

و لما أفهم هذا الحشر، ذكر ما يدل على ما ينال أهل الموقف من الشدائد من شدة الحر فقال: ﴿ و اذا البحار ﴾ أى على كثرتها

١٥ ﴿ سجرت ۝ ﴾ أى لجر بعضها إلى بعض حتى صارت بحرا واحدا وملئت[6] حتى كان ما فيها أكثر [7]منها و أحمت[7] حتى كان كالتنور التهابا و تسعرا [8]فكانت شرابا لأهل النار وعذابا عليهم، و لا يكون هذا إلا وقد حصل

---

(١) من م، و فى ظ: انفسهما (٢) من م، و فى ظ: بينهما (٣) من م، و فى ظ: غيرهما (٤) راجع البحر المحيط ٨/٤٣٢ (٥) زيد من م (٦) من م، و فى ظ: غلت (٧ - ٧) من م، و فى ظ: منهما واحمست (٨) و من هنا يستأنف الأصل.

من

من الحرما يذيب الأكباد .

و لما ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين و من السفلية أربعة ، فأفهم جميع الخلق[1] أن الأمر فى غاية الخطر فتشوفت النفوس[2] / إلى ما يفعل ، قال ذاكرا لما أراد من عالم الغيب و الملكوت ، و هو[3] / ٦٧٩
أمور ستة على عدد ما مضى من عالم الملك و الشهادة ترغيبا فى الأعمال ٥
الصالحة و القرناء الصالحين لئلا يزوج بما يسوءه و ابتدأ بما يناسب تكوير الشمس : ﴿ و اذا النفوس ﴾ أى من كل ذى نفس من الناس و غيرهم ﴿زوجت ۝﴾ أى قرنت بأبدانها و جمع[4] كل من الخلق إلى ما كانت نفسه تألفه و تنزع إليه ، فكانوا أصنافا كما قال تعالى "احشروا الذين ظلموا و ازواجهم [5]و ما كانوا يعبدون من دون الله[5]" ، و التفاف[6] الأزواج ١٠
كالتفاف[7] الشمس حتى يذهب نورها .

و لما صرح الأمر فكانت القلوب أحر من الجمر ، ذكر ما هو المقصود الأعظم و هو السؤال على وجه يفهم العموم فقال : ﴿و اذا المؤدة﴾ أى ما دفن من الأولاد حيا بعد الولادة أو حصل تسبب فى قتله قبل الولادة بدواء و نحوه ، سميت مؤدة لما يوضع عليها من التراب ١٥

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : النفس (٣) من ظ و م . وفى الأصل : هى (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : جميع (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : التفات (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كالتفات .

فيثقلها فيقتلها[١] "و أدا" مقلوب "آدا" إذا أثقل، و إلقاؤها فى البئر المحفور[٢] لها قريب من انكدار النجوم[٣] و تساقطها . و لما كان هذا أهون القتل عندهم، و كانوا يظنون أنه مما لا عبرة به، بين أنه معتنى به و أنه لابد من بعثها و جعلها بحيث تعقل و تجيب و إن كان نفخ[٤] ٥ الروح فيها فى زمن يسير فقال: ﴿سُئِلَتْ ۝﴾ أى وقع سؤالها عما يليق أن تسأل عنه، ثم قيل على طريق الاستئناف تخويفا للوالدين: ﴿ بِأَيِّ ﴾ أى [٥]بسبب أى[٥] ﴿ ذَنْبٍ ﴾ [يا -[٦]] أيها الجاهلون ﴿ قُتِلَتْ ۝ ﴾ أى استحقت به عندكم القتل و هى [لم -[٧]] تباشر[٧] سوءا لكونها لم تصل إلى حد التكليف، فما ظنك بمن هو فوقها و بمن هو جان، و سؤالها ١٠ هو على وجه التبكيت لقاتلها، فان العرب كانت تدفن البنات أحياء مخافة الإملاق أو لحوق العار بهن، و يقولون: نردها إلى الله هو أولى بها، فلا يرضون البنات لأنفسهم و يرضونها لخالقهم، و كان فيهم من يتكرم عن[٨] ذلك[٩] و من يفدى المؤدات و يربيهن، و ليس فى الآية دليل على تعذيب أطفال الكفرة و لاعدمه، فان الكافر الذى يستحق

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيقلبها (٢) من م، و فى الأصل و ظ: المفحو (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الشمس (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيها الروح (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الى سبب واى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تباشرها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: على (٩) زيد فى الأصل: و يفدى الموودات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الخلود قد يكون مستأمنا فلا يحل قتله، و الأطفال ما[1] عملوا ما يستحقون به القتل، و يؤخذ من سؤال المؤدة تحريم الظلم الكل [أحد -[2]] وكف اليد و اللسان عن كل إنسان.

و لما دل هذا على عموم السؤال، ذكر ما ينشأ عنه مما يدل على النعيم أو النكال فقال: ﴿و اذا الصحف﴾ اى الأوراق التى كتبت فيها ٥ أعمال العباد ﴿نشرت ﴿١٠﴾﴾ أى فرقت مفتحة تفتيحا عظيما على اربابها[3] بأيسر أمر فتأتى السعيد فى يمينه من تلقاء وجهه على وجه يكون فيه بشارة له، و تأتى الشقى من وراء ظهره و فى شماله بعد أن كانت [طويت -[2]] عند موته، و نشرها مثل تسيير الجبال و تطايرها، فمن اعتقد أن صحيفته[4] ثابتة فترديه / أو تنجيه لم يضع[5] فيها إلا حسنا من قول أو عمل أو اعتقاد. ١٠ / ٦٨٠

و لما ذكر ما يطلق و ينشر، اتبعه ما يطوى و يحصر، ليبدو ما فوقه من العجائب و ينظر، فقال: ﴿و اذا السمآء﴾ اى هذا الجنس كله، أفرده لأنه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقى ﴿كشطت ﴿١١﴾﴾ أى قلعت بقوة عظيمة و سرعة زائدة و أزيلت عن مكانها التى هى سائرة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذى هو كالروح لها كما ١٥ يكشط الإهاب عما هو ساتر له و محيط به مع شدة الالتزاق [به -[2]] لأن ذلك يوم[6] الكشف و الإظهار "فكشفنا عنك غطاءك" و كشطها

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لم يكونوا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ادبارها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ضيعته (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم يضيع (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هو.

هو مثل انكشاف الناس عن العشار و تفرقهم عنها ، فمن اعتقد زوالها أعرض عن ربط همته بشيء منها و ناط[1] أموره كلها بربها .

و لما زالت الموانع ظهرت عجائب الصنائع التي هي غايات المطالب ، و نهايات الرغائب و الرهائب ، فقال : ﴿ و اذا الجحيم ﴾ أي النار الشديدة
٥ التأجج و التي بعضها فوق بعض و العظيمة في مهواة عميقة ﴿سعرت ؕ ﴾ أي أوقدت إيقادا شديدا بأيسر أمر و قربت من الكافرين بغاية السرعة ، فكان الأمر في غاية العسر ، و ذلك قريب من نتيجة ما يحصل من الهول من حشر الوحوش .

و لما ذكر دار الأعداء البعداء رهبا ، أتبعه دار المقربين السعداء
١٠ رغبا ، فقال : ﴿و اذا الجنة﴾ أي البستان ذو[2] الأشجار الملتفة و الرياض المعجبة ﴿ازلفت ۙ﴾ أي قربت من المؤمنين و نعمت ببرد العيش و طيب المستقر ، و درجت درجاتها و هيئت ، و ملئت حياضها[3] و مصانعها ، و زينت صحافها و نظفت أرضها و طهرت عن كل ما يشين ، و حسنت رياضها بكل ما يزين ، من قول أهل اللغة : الزلف ـ محركة : القربة و الدرجة
١٥ و الحياض الممتلئة و [الزلفة -[4]] : المصنعة الممتلئة و الصحفة و الأرض المكنوسة ، و الزلف ـ بالكسر : الروضة ، و معنى هذا ضد سجر البحار ، فالآية من الاحتباك : ذكر التسعير[5] أولا دال[6] على ضده في الجنة ثانيا ،

(١) من ظ ، و في الأصل و م : مناط (٢) من ظ و م ، و في الأصل « و » (٣) من م ، و في الأصل و ظ : حيضانها (٤) زيد من م (٥) من م ، و في الأصل و ظ : السعير (٦) من ظ و م ، و في الأصل : دلالة .

و ذكر

و ذكر التقريب ثانيا دال[1] على مثله أولا .

و لما كانت هذه الأشياء لهولها موجبة لاجتماع الهم و صرف الفكر عما يشغله من زينة أو لهو او لعب أو سهو ، فكان موجبا للعلم بما يرجى نعيما أو يوجب جحيما ، و كان ذلك [موجبا - [2]] لتشوف السامع إلى ما يكون ، قال تعالى كاشفا تلك النعمة بالعامل فى "اذا" و ما ٥ عطف عليها : ﴿علمت نفس﴾ أى كل واحدة من النفوس ، فالتنكير فيه مثله فى « تمرة[3] خير من جرادة » و دلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه ﴿مآ﴾ أى كل شيء ﴿احضرت[4]﴾ [اى - [2]] عملت[4] و أوجدت ، فكان أهلا للحضور ، و كان عمله لها سببا لإحضار القدير إياه لها فى ذلك اليوم محفوظا لم يغب عنه منها ذرة من خيره و شره ، ١٠ فلأجل[5] ذلك كان لكل أمرئ شأن يغنيه ، فانه لابد أن يكون فى أعماله ما [لا - [2]] يرضيه و ما يستصغره عن حضرة العلى الكبير ، فمن اعتقد ذلك رغب / فى أن لا يحضر إلا ما يسره ، و رهب فى إحضار ما يسوءه / ٦٨١ فيضره ، و جميع هذه الأشياء الاثنى عشر المعدودة المذكورة فى حيز "إذا" فى الآخرة بعد النفخة الثانية على ما تقدم فى الحاقة أنه الظاهر ، ١٥ و أنه رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ، لأن التهويل بعد القيام انسب ، و أدخل [فى - [2]] الحكمة و أغرب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه "فاذا جاءت

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عسره - كذا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : علمت (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فلكل .

الصاخة يوم يفر المرء من اخيه" - الآيات إلى آخر السورة، كان مظنة لاستفهام السائل عن الوقوع و متى يكون؟ فقال[1] تعالى " اذا الشمس كورت " و وقوع تكوير الشمس و انكدار النجوم و تسيير الجبال و تعطيل العشار كل ذلك متقدم على فرار المرء من اخيه و أمه و أبيه -
٥ إلى ما ذكر إلى آخر السورة لاتصال ما ذكر فى مطلع سورة التكوير بقيام الساعة، فيصح أن يكون أمارة للأول و علما [عليه -[2]] - انتهى.

و لما كان السياق للترهيب، و كان الأليق بآخر عبس أن يكون للكفرة، و كان أعظم ما يحضره الكفرة من أعمالهم بعد الشرك التكذيب[3] بالحق، و أعظمه التكذيب بالقرآن، و ذلك التكذيب هو
١٠ الذى جمع الخزى كله للمكذب به فى قوله " قتل الإنسان ما اكفره " الذى السياق كله له، و إنما استحق المكذب به ذلك لأن التكذيب به يوقع فى كل حرج مع أنه لا شيء أظهر منه فى أنه كلام الله لما له من الرونق و الجمع للحكم و الأحكام و المعارف التى لا يقدر على جمعها على ذلك الوجه و ترتيبها ذلك الترتيب إلا الله، ثم وراء ذلك
١٥ كله أنه معجز، سبب عن هذا التهديد قوله مقسما بما دل على عظيم قدر المقسم عليه بترك الإقسام بأشياء هى من الإجلال و الإعظام فى أسنى مقام: ﴿فلآ اقسم﴾ اى لأجل حقية[4] القرآن لأن الامر فيه غنى عن قسم لشدة ظهوره و انتشار نوره، و لذلك أشار إلى عيوب تلحق هذه

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: قال (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للتكذيب (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حقيقة.

الأشياء التي ذكرها و القرآن منزه عن كل شائبة نقص، لأنه كلام الملك الأعلى فقال: ﴿بالخنس ۝﴾ أى الكواكب التي يتأخر طلوعها عن طلوع الشمس فتغيب فى النهار لغلبة ضياء الشمس لها، و هى النجوم ذوات الأنواء التي[1] كانوا يعظمونها بنسبة الأمطار و الرحمة - التي ينزلها الله - إليها[2]، قالوا: و هى القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشترى فزحل، ٥ و قد نظمها بعضهم متدليا[3] فقال:

زحل اشترى[4] مريخه من شمسه فتزهرت[5] لعطارد أقمار[6]

ثم أبدل منها أعظمها فقال: ﴿الجوار الكنس ۝﴾ أى السيارة التي تختفى[7] و تغيب بالنهار تحت ضوء الشمس، من كنس الوحش - إذا دخل كناسه و هو بيته المتخذ من أغصان الشجر، و قال الرازى: يكنس و يستتر[8] ١٠ العلوى منها بالسفلى / عند القرانات كما تستتر الظباء فى الكناس، و قال /٦٨٢ قتادة[9]: تسير[10] بالليل و تخنس[7] بالنهار فتخفى و لا ترى، و روى ذلك أيضا عن على رضى الله تعالى عنه، قال البغوى[9]: و أصل الخنوس الرجوع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اليه.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: مدليا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: شرى.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: فتزاهرت (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الاقمار (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تخفى (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يستر (٩) راجع المعالم ١٧٨/٧ (١٠) فى المعالم: تبدو.

[إلى - ١] وراء و الكنوس أن تأوى إلى مكانسها[2]. و قال القشيرى : إن
ذلك غروبها ، و إنما نفى الإقسام [بها - ٣] لأنها و إن كانت عظيمة
فى أنفسها[4] بما ناط بها سبحانه من المصالح و أنتم تعظمونها و تغلون فيها
لأن فيها نقائص الغيبوبة [و - ١] انبهار النور ، و القرآن المقسم[5] لأجله
٥ منزه عن ذلك ، بل هو الغالب على كل ما سواه من الكلام [غلبة - ١]
هى أعظم من غلبة ضياء الشمس انور ما سواها من الكواكب ، فلذلك
لايليق أن يقسم بها لأجله .

و لما ذكر غيابها ففهم[6] منه محله و هو النهار ، ذكر محل[7] ظهورها
فأفهم الظهور فقال : ﴿ و اليـــل ﴾ أى الذى هو محل ظهور النجوم
١٠ و زوال خنوسها و ذهاب كنوسها ﴿اذا عسعس ﴾ أى أقبل ظلامه ،
و اعتكر سواده و قتامه ، فظهرت الكواكب زهرا منثورا فى بيداء
تلك الغياهب ، فان فيه نقصانا بالظلام و غير ذلك من الأحكام ، و قيل :
معناه أدبر ، و قيل : أظلم . و قيل : انتصف ، و قيل : انقضى ، و سعسع بمعناه[8]
فهو ما لا يستحيل بالانعكاس ، و الآية من الاحتباك : ذكر خنوس الكواكب
١٥ و كنوسها أولا يفهم ظهورها ثانيا ، و ذكر الليل ثانيا يفهم حذف
النهار أولا .

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مكانها (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : القسم .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فتهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : محله .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بمعنا .

و لما كان ربما ظن ظان[1] أن ما نقص بالظلام عن صلاحية الإقسام يتأهل ذلك بزواله، قال نافيا لذلك: ﴿و الصبح﴾ أي الذي هو أعدل أوقات النهار ﴿اذا تنفس ﴾ أي أضاء و أقبل روحه و نسيمه، و أنسه و نعيمه، و اتسع نوره، و انفرج به عن الليل ديجوره، [2]و ذلك[2] بعد [3]إقبال الليل[3] ثم إدباره أي لا أقسم به لأنه و إن كان ذا نور و نعمة ٥ و حبور و بهجة و سرور فان ذلك يتضاءل عن نور القرآن، و ما فيه من النعيم و الرضوان، « و أين الثريا من يد المتناول » على أن تنفسه بالبرد و اللطافة تنسخه الشمس بالحر و الكثافة، و تنفس القرآن بنفحات القدس و نعيم المواعظ و الأنس لاينسخه شيء.

و لما بين [أن -[4]] هذه الأشياء - التي لولاها لما طاب لهم عيش ١٠ و لاتهنأوا بحياة، و هي من الفضل بحيث لايعلمه إلا خالقها - تصغر عن أن يقسم بها على شيء من فضائل القرآن لما له من عظيم الشأن الذي لايطيق التعبير [عنه -[4]] البيان، و يتضاءل دونه اللسان، قال مجيبا لذلك إخبارا عما هو محقق في نفس الأمر أعظم من تحقق هذه الأشياء المقسم بها، هادٍ إلى مصالح الدارين أكثر من هدايتها، مبينا [5]للسفيرين به[5] الملكي ١٥ و البشري عليهما الصلاة و السلام و التحية و الإكرام مؤكدا لما يستحقه / السياق كما[6] يستحقه [7]مع ما[7] لهم من الإنكار تنبيها على ضعف عقولهم / ٦٨٣

---

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) من ظ، و في الأصل و م: ثم (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: اقباله (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: للفسيرين بها (٦) من ظ و م، و في الأصل: مما (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: لما.

و عظم سفههم بعد ان اقسم بثلاثة اقسام، فان نفى الإقسام [بها - بما ذكر من نقائصها - كالإقسام -[1]] بها مع بيان [أن -[1]] المقسم عليه أعظم منها بما لايقايس[2]: ﴿ انه ﴾ أى هذا الذكر الذى تقدم فى عبس بعض ما يستحق[3] من الأوصاف الجميلة و النعوت الجليلة ﴿ لقول رسول ﴾
٥ و هو جبريل عليه الصلاة و السلام نحن أرسلناه به الى خير خلقنا و جعلناه بريدا بيننا و بينه لاقتضاء الحكمة ذلك، و هى[4] أن يكون خلاصة الخلق ذا جهتين: واحدة ملكية يتلق بها من الملائكة عليهم السلام لكون غيره من البشر لايطيق ذلك. و أخرى بشرية يتلق بها منه المبعوث إليهم، و من المعلوم أن الرسول انما وظيفته تبليغ[5] ما أرسل
١٠ به فهو سفير محض، و الذى أوحاه و إن كان قوله لكونه نطق به و بلغه من غير مشاركة شيطان و لا غيره هو قول الله من غير شك لكونه معبرا عن الصفة القديمة النفسية، و لو كان قول الرسول مستقلا [به -[6]] لما كان لوصفه[7] بالرسالة مدخل فما كانت البلاغة تقتضى ذكره[8] بالوصف.

و لما بين بوصف الرسالة أنه ليس بقوله إلا لكونه مرسلا به
١٥ و مبلغا له، و أنه فى الحقيقة قول من أرسله، وصفه بما أفهمه الوصف مما يوجب حفظه من غير تحريف ما ولا تغيير أصلا بوجه من الوجوه،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لايقاس (٣) من ظ و م، و فى الأصل: تقدم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: هو (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بتبليغ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: وصفه. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر.

و ذلك ببيان منزلته عند الله و وجاهته و بيان قدره و نفوذ كلمته فقال :
﴿ كريم ۙ﴾ أى انتفت عنه[1] وجوه المذام كلها و ثبتت له وجوه المحامد كلها، فهو جواد شريف النفس ظاهر عليه معالى الأخلاق برىء من أن يلم شيء [من اللوم - [2]] بساحته، فلذلك هو يفيض[3] الخيرات باذن ربه على من أمر به من العالمين، فيؤدى ما أرسل به كما هو لقيامه بالرسالة ٥
قيام الكرام فلم يغير فيها شيئا أصلا[4] و لا فرّط حتى يمكن غيره ان يحرف أو يغير، و الكرم اجتماع كمالات الشيء اللائقة[5] به .

و لما اقتضى هذا القوة، صرح به تأكيدا فقال : ﴿ ذى قوة ﴾ أى على [ضبط - [2]] ما أرسل به بنفسه و على المدافعة للغير عن أن يدخل فيه شيئا من نقص، و أكد القوة بقوله : ﴿عند ذى العرش﴾ أى الملك الأعلى ١٠
المحيط عرشه بجميع الأكوان الذى لا عندية فى الحقيقة إلا له ﴿مكين ۙ﴾ أى بالغ المكنة عنده[6] عظيم المنزلة جدا بليغ فيها فهو بحيث لا يتأتى منه تفريط ما فى إبلاغ شيء مما أرسل بـه لأنه لا يغيره الأحوال و لا يعمل فيه تضاد الشهوات، لأنه لا شهوة[7] له إلا ما يأمر[8] به مرسله سبحانه و تعالى . ١٥

---

(١) وقع فى الأصل بعد « كلها » والترتيب من ظ و م (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مفيض (٤) سقط من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : اللائق (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : عند (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : شيء (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : يامره .

و لما كان المتمكن فى[1] نفسه قد لا يكون له اعوان، قال: ﴿مطاع ثم﴾ أى فى الملأ[2] الأعلى فهم عليهم السلام أطوع شىء له، قال الحسن: فرض الله على أهل السماوات طاعة جبريل عليه الصلاة و السلام كما فرض على أهل الأرض طاعة محمد صلى الله عليه و سلم. / و لما كان ٦٨٤ /
٥ ذلك يقتضى الأمانة، صرح بها فقال: ﴿امين﴾ أى بليغ[3] الأمانة فهو مصدق القول مقبول الأمر موثوق به فى أمر الرسالة و إفاضة العلوم على القلوب روحانى مطهر جوهرا و فعلا و حالا، و من كان بهذه الصفات[4] العظيمة كان بحيث لايأتى إلا فى أمر مهم جدا لأن الملوك لا يرسلون خواصهم [إلا -[5]] فى مثل ذلك، و لذلك ائتمنه الله تعالى
١٠ على رسالته.

و لما وصف السفير الملكى و هو جبريل عليه الصلاة و السلام بهذه الصفات الخمس التى أزالت عن القرآن كل لبس، و كان وصفه بها إنما هو لأجل إثبات شرف الرسول البشرى الذى هو بين الحق و عامة[6] الخلق، و هو النبى صلى الله عليه و سلم بأن ما يقوله كلام الله حقا، و كانوا
١٥ يصفونه بما هو فى غاية النزاهة عنه و هم يعلمون ذلك، أبطله مبكتا لهم بالكذب و موبخا بالبلادة بقوله زيادة فى شرفه حيث كان هو المدافع عنه: ﴿و ما صاحبكم﴾ أى الذى طالت صحبته لكم و أنتم تعلمون أنه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ملا.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالغ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الصفة.
(٥) زيد من ظ و م (٦) فى ظ: خاصة.

فى

فى غاية الكمال حتى أنه ليس له وصف عندكم الا الأمين ، و أعرق فى
النفى فقال : ﴿بمجنون ﴾ أى كما تبهتونه به من غير استحياء من الكذب
الظاهر مع ظهور التناقض فعل ألأم اللئام ، بل جاء بالحق و صدق المرسلين ،
فما القرآن الذى يتلوه عليكم قول مجنون و لا [قول - [1]] متوسط فى
العقل بل قول أعقل العقلاء و أكمل الكملاء[2]. و هذا النفى المؤكد ثابت ٥
له دائما على سبيل الاستغراق لكل زمان - هذا ما دل عليه الكلام لا ما[3]
قال الزمخشرى أنه يدل على أفضلية[4] جبريل عليه السلام على النبى صلى الله
عليه و سلم و على بقية الملائكة ، فانه ما سيق لذلك ولا هو و الله مما
رضى جبريل عليه السلام ، قال الأصبهانى هنا : هـذا يدل على فضله
[5]و أما أنه يدل[5] على أنه أفضل من جميع الملائكة و من محمد صلى الله عليه ١٠
و سلم فلا يمكنه ، و قال فى قوله تعالى فى البقرة "و ملائكته و رسله":
و لم يلزم من تقديم الملائكة فى الذكر تفضيلهم[6] على الرسل ، و أما
تقديم جبريل على ميكائيل فليس ببعيد أن يكون للشرف كما أن تخصيصهما
بالذكر لفضلهما ، و قال فى النجم : ثم دنى جبريل من ربه عز و جل ،
و هذا قول مجاهد يدل عليه ما روى فى الحديث «إن أقرب الملائكة ١٥
إلى الله عز و جل جبريل عليه السلام» - انتهى . و لو صح هذا الحديث

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : الكملة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : فضيلة - كذا (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اما وانه يدخل (٦) زيد فى الأصل : على تقديمهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لكان فيه كفاية لكن لم اجده اصلا . و قال الأصبهانى فى[1] عم فى قوله[2] "يوم يقوم الروح" عن ابن عباس رضى الله عنهما : هو أعظم الملائكة خلقا و أشرف منهم ، و أقرب من رب العالمين ـ انتهى ، فهذا كما ترى صريح فى تفضيل الروح ، و قال السهيلى فى غزوة بدر من كتابه الروض[3]:

٦٨٥ / ٥ / و نزل جبريل عليه السلام بألف من الملائكة فكان فى خمسمائة فى الميمنة ، و ميكائيل عليه السلام فى خمسمائة فى الميسرة ، و وراءهم مدد من الملائكة لم يقاتلوا و هم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران ، و كان اسرافيل عليه السلام وسط الصف لايقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة عليهم الصلاة و السلام ـ [انتهى ـ[4]] . و هذا يدل على شرف إسرافيل

١٠ عليه السلام لأن موقفه موقف رئيس القوم و لعله فعله ـ و الله أعلم .

و لما كان المجنون لايثبت ما يسمعه[5] و لا ما يبصره حق الإثبات ، فكان التقدير بعد هذا النفى : فلقد سمع من رسولنا اليه ما أرسل به حق السمع ، ما التبس عليه [فيه ـ[4]] حق بباطل ، عطف [عليه ـ[4]] الإخبار برفعة شأنه فى رؤية مالم يره [غيره ـ[4]] و أمانته وجوده فقال :

١٥ ﴿و لقد راٰه﴾ أى المرسل اليه و هو جبريل عليه الصلاة و السلام على[6] صورته الحقيقية ليلة المعراج و بعرفات ، جامعا الى حس السمع حس البصر ﴿بالافق المبين ج﴾ أى الأعلى الذى هو عند سدرة المنتهى ، حيث

---

(١) زيد فى الأصل : سورة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) سقط من ظ و م (٣) راجع ٢/٩١ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : معه (٦) من ، و فى الأصل و ظ : فى .

لا يكون لبس أصلا، و لا يكون لشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حق المعرفة، و قال البيضاوى[1]: بمطلع الشمس الأعلى - يعنى[2] و هو مشرق الأنوار، و الأفق: الناحية التى تفوق و تعلو.

و لما انتفى ما يظن من لبس السمع و زيغ البصر، لم يبق إلا ما يتعلق بالتأدية فنفى ما يتوهم من ذلك [بقوله -[3]]: ﴿ و ما ﴾ أى[4] سمعه و رآه و الحال أنه ما ﴿ هو على الغيب ﴾ أى الأمر الغائب عنكم فى النقل عنه و لا فى غيره من باب الأولى ﴿ بظنين ج ﴾ أى بمتهم، من الظنة و هى التهمة، كما يتهم الكاهن لأنه يخطئ فى بعض ما يقول، فهو حقيق بأن يوثق بكل شيء يقوله فى كل أحواله، هذا فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب بالظاء، و المعنى فى قراءة الباقين [بالضاد -[3]]: ببخيل كما يبخل الكاهن رغبة فى الحلوان، بل هو حريص على أن يكون كل من أمته عالما بكل ما أمره الله تعالى[5] بتبليغه.

و لما أثبت له الأمانة و الجود بعد أن نفى عنه ما بهتوه به، و كان الجنون أظهر من قول المجنون لأن بعض المجانين ربما تكلم الكلام

---

(١) راجع أنوار التنزيل ص: ٧٨٦ (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بمعنى (٣) زيد من ظ وم (٤) زيد فى الأصل و ظ: وما، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها.
(٥) زيد فى الأصل و ظ: به من و، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

المنتظم فی [بعض -[1]] الأوقات فنفاه لذلك، و كان قول الكاهن أظهر
من الكهانة، نفی القول فقال: ﴿ و ما هو ﴾ ای القرآن الذی من جملة
معجزاته الإخبار بالمغيبات، و أعرق فی النفی بالتأكيـــد بالباء فقال:
﴿ بقول شيطن ﴾ . و لما كان الشيطان[2] لاينفك عن الطرد لأن اشتقاقه
٥ من شطن و شاط، و ذلك يقتضی البعد[3] و الاحتراق، وصفه بما هو لازم
له فقال: ﴿ رجيمٍ ﴾ ای مرجوم باللعن و غيره من الشهب لأجل استراق
السمع مطرود عن ذلك، لأن القائل له ليس بكاهن كما تعلمون، و بقی
مما قالوه السحر و هو لا يحتاج إلى نفيه / لأنه ليس بقول، بل هو فعل ٦٨٦ /
صرف او قول مقترن به، و الأضغاث و هی لذلك واضحة العوار[4]
١٠ فلم يعدها، فمن علم هذه الأوصاف للقرآن و الرسولين الآتيين به الملكی
و البشری أحبه و أحبهما، و بالغ فی التعظيم و الإجلال، و أقبل على تلاوته
فی كل أوقاته، و بالغ فی السعی فی كل ما يأمر به و الهرب مما ينهی[5]
عنه، ليحصل له الاستقامة رغبة فی مرافقة من أتی به و رؤية من أتی
من عنده .

١٥ و لما لم يدع وجها يلبس به على من لايعرف حاله صلى الله عليه
و سلم، سبب عنه قوله موبخا منكرا: ﴿ فاين تذهبون ﴾ أی بقلوبكم عن

---

(١) زيد من م (٢) من م ، و فی الأصل و ظ : شيطان (٣) زيد فی الأصل
و ظ : كله ، ولم تكن الزيادة فی م فحذفناها (٤) فی الأصل بياض ملأناه من ظ
و م (٥) من م ، و فی الأصل و ظ : نهی .

هذا الحق المبين يا أهل مكة المدعين لغاية الفطنة و قد علمتم هذا الحفظ العظيم فى الرسولين الملكى و البشرى فمن [أين-[1]] يأتى ما تدعون من التخليط[2] فى هذا الكتاب العظيم الذى دل على حفظه ببرهان عجزكم عن معارضة شيء منه؟ و هو[3] استضلال لهم و استجهال على أبلغ وجه فى كل ما كانوا ينسبونه إليه[4] بحيث صار ضلالهم[5] معروفا لا لبس فيه . ٥

و لما كان الحال قد صار فى الوضوح الى أنه إذا نبه صاحبه بمثل هذا القول نظر أدنى نظر، فقال من غير وقفة[6]: لا أين، قال: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو﴾ أى القرآن الذى أتاكم به ﴿الا ذكر للعلمين ۝﴾ أى شرف للخلق كلهم من الجن و الإنس و الملائكة و موعظة بليغة عظيمة لهم . و لما تشرف[7] الوجود كله بإظهاره فيه نوع تشرف[7]، أطلق هذه ١٠ العبارة . و لما كان الذى ثم شرفه المهتدى، فكان الوعظ و الشرف إنما هو له فى الحقيقة [قال]: ﴿لمن شآء منكم﴾ أى أيها المخاطبون[8] ﴿ان يستقيم ۝﴾ أى يطلب القوم و يوجده .

و لما كان ذلك ربما تعنت به المتعنت فى خلق الأفعال، قال نافيا

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل وظ : و قد عجزتم ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : له (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : واقفة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : تشوف (٨) زيد فى الأصل : كلهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لاستقلالهم و مثبتا للكسب : ﴿و ما تشآءون﴾ اى أيها الخلائق الاستقامة ﴿الآ ان يشآء الله﴾ أى الملك الأعلى الذى لا حكم لأحد سواه مشيئتكم، و إن لم يشأها لم تقدروا على مشيئة، فادعوه مخاصلين له الدين يشأ[1] لكم ما يرضيه فيوفقكم إليه. و عن وهب بن منبه أنه قال: الكتب التى
٥ أنزلها الله [2]على الأنبياء[2] عليهم الصلاة و السلام بضع و تسعون[4] كتابا قرأت منها بضعا [و ثمانين -[5]] كتابا فوجدت فيها: من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر - انتهى . و من تأمل هذه الآية أدنى تأمل علم أن كلام المعتزلة بعدها فى القدر دليل على أن الإنسان إذا كان له هوى لا يرده شىء أصلا "و من يضلل الله فما له من هاد" .
١٠ و لما وصف نفسه سبحانه بأنه لا يخرج شىء عن أمره، اتبع ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿رب العلمين ع﴾ أى الموجد [6]لهم و المالك[6] و المحسن اليهم و المربى لهم و هو أعلم بهم منهم، فلاجل ذلك لا يقدرون إلا على ما قدرهم[7] عليه، و يجب على كل منهم [طاعته و -[5]] الإقبال بالكلية عليه سبحانه و تعالى و شكره استمطارا [للزيادة -[5]]،
١٥ فلهذه الربوبية صح تصرفه فى الشمس / و ما [8]تبعها مما[8] ذكر

(١) زيد فى ظ : الله (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل : يشاكم (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ : عليهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل : ستون (٥) زيد من ظ و م (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل : و المالك لهم (٧-٧) من ظ و م، و فى الاصل : معها .

أول السورة لإقامة الساعة لأجل حساب الخلائق، و الإنصاف بينهم بقطع كل العلائق، كما يفعل كل رب مع من يربيه فكيف بأحكم الحاكمين و أرحم الراحمين! فقد التقى طرفاها على أشرف الوجوه و أجلاها، و انتظم أول الانفطار بما له من بديع الأسرار، فالتكوير كالانشقاق و التفطير، و الانكدار مثل التساقط و الانتشار، [1]و الله سبحانه هو ٥ أعلم بالصواب[1] .



(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الانفطار[1]

مقصودها التحذير من[2] الانهماك في الأعمال السيئة اغترارا باحسان الرب و كرمه و نسيانا ليوم الدين الذي يحاسب فيه على النقير و القطمير، و لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا، و اسمها الانفطار ادل ما فيها على ذلك

٥ ﴿ بسم الله ﴾ الذي له الجلال كما أن له[3] الجمال ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم بالرحمة ليشكر فغر ذلك أهل الضلال ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص من اراد بالتوفيق لما يرضى من الخصال .

لما ختمت[4] التكوير بأنه سبحانه لا يخرج شيء عن مشيئته و أنه موجد الخلق و مدبرهم، و كان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا

١٠ بهذا الوصف لا آخر له « أرحام تدفع و أرض تبلع و من مات فات و صار إلى الرفات و لا عود بعد الفوات » افتتح الله سبحانه هذه بما يكون مقدمة لمقصود التي قبلها من أنه لابد من نقضه لهذا العالم و إخرابه ليحاسب الناس فيجزى كلا منهم من المحسن و المسيء بما عمل فقال : ﴿ اذا السمآء ﴾ أي على شدة إحكامها و اتساقها و انتظامها ﴿ انفطرت ﴾

(١) الثانية والثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ١٩ .
(٢) من م . و في الأصل و ظ : عن (٣) زيد في الأصل و ظ : الكمال و ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٤) زيد في الأصل : سورة ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : افتتح .

اى[1] انشقت شقوقا افهم سياق التهويل انه صار [2]لبابها اطراف[2] كثيرة فزال ما كان لها من الكرية الجامعة للهواء الذى الناس فيه كالسمك فى الماء، فكما أن الماء إذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلكت[3]، كذلك يكون الهواء مع الحيوانات البرية، فلا تكون [حياة -[4]] إلا ببعث جديد و نقل عن هذه الأسباب، ليكون الحساب بالثواب و العقاب. ٥

و لما كان يلزم من انفطارها وهيها و عدم إمساكها لما أثبت بها ليكون ذلك أشد تخويفا لمن تحتها بأنهم يترقبون كل وقت سقوطها أو سقوط طائفة منها فوقهم فيكونون[5] بحيث لايقرلهم قرار، [قال -[4]]: ﴿ و اذا الكواكب ﴾ أى النجوم الصغار و الكبار كلها الغراء الزاهرة المتوقدة توقد النار المرصعة / ترصيع المسامير فى الأشياء المتماسكة التى دبر الله ١٠ / ٦٨٨ فى دار الأسباب بها الفصول الأربعة و الليل و النهار، و غير ذلك من المقاصد الكبار، و كانت محفوظة بانتظام السماء ﴿ انتثرت ﴾ أى تساقطت متفرقة كما يتساقط الدر من السلك اذا انقطع تساقطا كأنه لسرعته لا يحتاج إلى فعل فاعل لقوة تداعيه إلى التساقط.

و لما كان إخباره بما دل على وهى السماء [مشعرا - [4]] بوهى ١٥ الأرض لأنها أتقن منها و أشرف إذ هى للأرض بمنزلة الذكر للأنثى،

---

(١) زيد فى الأصل : انفسفت و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ : لابوابها اطراه (٣) من م، و فى الأصل و ظ : ملكت (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ : فيكون.

و كان الانفعال[1] وبما أوهم ان ذلك يكون بغير[2] فاعل، صرح بوهي الأرض معبرا بالبناء للمفعول دلالة على أن الكل بفعله، و أن ذلك عليه يسير، فقال مخبرا بانفطار الأراضي أيضا ليجمع بين التخويف [بالمطلى -[3]] و الترويع بالمقل: ﴿ و اذا البحار ﴾ المتفرقة[4] في الأرض و هي[5] ضابطة ٥ لها أتم ضبط لنفع العباد على كثرتها ﴿ فجرت ۙ ﴾ أي تفجيرا كثيرا بزوال[6] ما بينها من البرازخ الحائلة. و قال الربيع[7]: بفيضها و خروج مائها عن حدوده فاختلط بعضها ببعض من ملحها و عذبها فصارت بحرا واحدا. فصارت الأرض كلها ماء و لا سماء ولا أرض فأين المفر.

و لما كان ذلك متقضيا لغمر القبور فاوهم أن أهلها لا يقومون كما ١٠ كان[8] العرب يعتقدون أن من مات فات، قال دافعا لذلك على نمط كلام القادرين إشارة إلى سهولة ذلك عليه: ﴿ و اذا القبور ﴾ أي مع ذلك كله ﴿ بعثرت ۙ ﴾ أي نبش ترابها على أسهل وجه عن أهلها فقاموا أحياء كما كانوا، فرأوا[9] ما أفظعهم و هالهم و روّعهم.

و لما كانت هذه الشروط كلها التي جعلت أشراطا[10] على الساعة ١٥ موجبة لعلوم دقيقة، و تكشف كل واحدة منها عن أمور عجيبة، وكانت

(١) من ظ و م، و في الأصل: الانفطار (٢) من ظ و م، و في الأصل: بعد بفعل (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: المفترقة (٥) زيد في الأصل: طائفة لها، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من م، و في الأصل و ظ: لزوال (٧) راجع المعالم ٧ / ١٨٠ (٨) من ظ و م، و في الأصل: ان (٩) من ظ وم، وفي الاصل: و راوا (١٠) من م، وفي الأصل و ظ: اشراط.

كلها دالة على الانتقال من هذه الدار إلى دار أخرى لخراب هذه الدار، ناسب أن يجيب «إذا» بقوله: ﴿علمت نفس﴾ أى جميع النفوس بالإنباء بالحساب و بما يجعل لها سبحانه بقوة التركيب من ملكة للاستحضار كما قال تعالى "فكشفنا عنك غطاءك" و الدال على ارادة العموم التعبير بالتنكير فى سياق التخويف و التحذير مع العلم بأن النفوس كلها فى علم ٥ مثل هذا و جهله على حد سواء، [1] فمهما ثبت [1] للبعض ثبت للكل، و لعله نكر إشارة إلى أنه ينبغى لمن وهبه الله عقلا أن يجوّز أنه هو المراد فيخاف: ﴿ما قدمت﴾ أى من عمل [2] ﴿و اخرتْ﴾ أى جميع ما عملت من خير أو شر أو غيرهما، أو ما قدمت قبل الموت [3] و ما أخرت من سنة تبقى بعده. ١٠

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه السورة كأنها من تمام سورة التكوير لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح و قد مضى نظير هذا - انتهى.

و لما كان ذلك خالعا للقلوب، و كان الإنسان اذا اعتقد البعث / ٨٩ / قد يقول [4] تهاونا ببعض المعاصى: المرجع إلى كريم و لا يفعل بى إلا خيرا، ١٥ أنتج قوله مناديا بأداة البعد لأن أكثر الخلق مع ذلك معرض، منكرا سبحانه و تعالى على من يقول هذا اغترارا بخدع الشيطان إنكارا يهد

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فمهما يثبت (٢) زيد فى الأصل: اما واما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الموته.
(٤) من ظ، و فى الأصل و م: يقال.

الأركان: ﴿يٰأيها الانسان﴾ أى البشر الآنس[1] بنفسه الناسى لمايعنيه ﴿ما غرك﴾ أى أدخلك فى الغرة، و هى أن ترى فعلك[2] القبيح حسنا أو ترى أنه يعفى عنك لا محالة، و ذلك بمعنى قراءة سعيد بن جبير و الأعمش: أغرك - بهمزة الإنكار، و تزيد المشهورة معنى التعجب ٥ ﴿ربك﴾ أى المحسن اليك الذى أنساك[3] إحسانه ما خلقت له من خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك .

و لما كان التعبير بالرب مع دلالته على الإحسان[4] يدل على الانتقام عند الإمعان فى الإجرام لأن ذلك شأن المربى، فكان ذلك مانعا من الاغترار لمن تأمل، أتبعه ما هو كذلك أيضا ظاهره لطف و باطنه جبروت و قهر، فقال ١٠ للمبالغة فى المنع عن الاغترار: ﴿الكريم ﻻ﴾ أى الذى له الكمال كله المقتضى لئلا يهمل الظالم °بل يمهله°، و لا يسوى بين المحسن و المسيء والموالى والمعادى و المطيع و العاصى، المقتضى لأن يبالغ فى التقرب إليه بالطاعة شكرا له، و أن لا يعرض أحد عنه لأن بيده كل شيء و لا شيء بيد غيره، فيجب أن يخشى شدة بطشه لأنه كذلك يكون المتصف بالكرم لا يكون إلا عزيزا، ١٥ فانه يكون شديد الحلم عظيم السطوة عند انتهاك حرمته بعد ذلك الحلم فانه يجد أعوانا كثيرة على مراده، ولا يجد المعاقب عذرا فى تقصيره بخلاف اللئيم

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الانسى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تغلك - كذا (٣) زيد فى الأصل: كثرة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الانسان (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

فانه

فانه لا يجد أعوانا فلا يشتد اخذه ، [فصار -[1]] الإنكار بواسطة هذين الوصفين أشد و أغلظ من هذه الجهة ، و من جهة أنه كان ينبغي أن يستحيي من المحسن الذى لاتكدير فى إحسانه بوجه ، فلا يعصى له أمر و لايفرط [له -[2]] فى حق ، و مع ذلك ففى ذكر هذين الوصفين تلقين الحجة ، قال أبو بكر الوراق : لوسألني اقلت : غرني كرم الكريم [3] و حلمه [3] ٥ و قال على رضى الله عنه : من كرم الرجل سوء أدب غلمانه ، و قال الإمام الغزالى فى شرحه للاسماء : هو الذى اذا قدر عفا ، و اذا وعد وفى ، و اذا أعطى زاد على منتهى[4] الرجا ، و لا يبالى [5] لمن أعطى ولا كم اعطى [5] ، و إذا رفعت حاجة الى غيره لايرضى ، و إذا جنى عاتب و ما استقصى ، ولايضيع من لاذ به و إليه التجأ ، و يغنيه عن الوسائل و الشفعاء . ١٠

و لما ذكر هذين الوصفين الدالين على الكمالين بالجلال ، دل عليهما تقريرا لهما بافاضة الجود فى التربية بوصف الجمال بالإكرام لئلا يعتقد الإنسان بما له من الطغيان انه حر مالك لنفسه يفعل ما يشاء فقال : ﴿ الذى خلقك ﴾ [أى أوجدك - [1]] من العدم مهيئا لتقدير الأعضاء ﴿ فسوّٰك ﴾ عقب[6] تلك الأطوار بتصوير الأعضاء و المنافع بالفعل ١٥ ﴿ فعدلك ﴾ أى جعل كل شيء من ذلك سليما مودعا / فيه قوة المنافع التى خلقه الله لها ، و عدل المزاج حتى قبل الصورة ، و التعديل جعل البنية

/ ٦٩٠

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣-٣) سقط مابين الرقمين من ظ وم .
(٤) من ظ وم ، وفى الأصل : مشتهى (٥-٥) فى ظ : كم أعطى ولا لمن اعطى .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عقبه .

متناسبة الخلقة[1]، و كذا العدل في قراءة الكوفيين بالتخفيف [أى - [2]] فأمالك عن تشويه الخلقة و تقبيح الصورة، و جعلك معتدلا فى صورتك، و كل هذا[3] يقتضى غاية الشكر و الخوف منه ان عصى، لأنه كما قدر على التسوية يقدر على التشويه و غيره من العذاب .

٥ و لما أضاء بهذا إضاءة الشمس انه عظيم القدرة على كل ما يريد، أنتج قوله معلقا بـ « ركب » : ﴿ فىٓ اى صورة ﴾ [4] من الصور التى تعرفها و التى لاتعرفها من الدواب و الطيور و غير ذلك [من الحيوان - [2]]، و لما كان المراد تقرير المعنى غاية التقرير، أثبت النافى فى سياق الإثبات لينتفى ضد ما أثبته الكلام فيصير بثات المعنى على غاية [من - [2]] القوة

١٠ التى لا مزيد عليها، [فقال - [5]] : ﴿ ما شآء ركبكؕ ﴾ اى ألف تركيب أعضائك و جمع الروح الى البدن ، روى الطبرانى[6] فى معاجمه الثلاثة برجال ثقات عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اذا أراد الله جل اسمه أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فى [كل - [2]] عرق و عصب منها ، فلما كان

١٥ اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه و بين آدم، ثم [قرأ - [2]] "فى أى صورة ما شاء ركبك" فتحرر بهذا أن الإنسان رقيق رقا لازما، و من خلع ربقة[7] ذلك الرق اللازم وكل إلى نفسه فهلك .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الصورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٤) زيد فى م : اى (٥) زيد من م (٦) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٤ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : رقبة .

و لما أوضح سبحانه غاية الإيضاح الدليل على قدرته على الإعادة بالابتداء، و بين تعالى أنه ما أوجب للإنسان الخسار، بنسيان هذا الدليل الدال على تلك الدار إلا الاغترار، و كان الاغترار يطلق على أدنى المعنى، بين أنه ارتقى به الذروة فقال: ﴿ كلا ﴾ أى ما [١]أوقعكم أيها الناس[١] فى الإعراض [عمن يجب الإقبال عليه و يقبح غاية القباحة الإعراض -[٢]] ٥ بوجه عنه مطلق الغرور ﴿ بل ﴾ أعظمه و هو أنكم ﴿ تكذبون ﴾ أى على سبيل التجديد بتجدد إقامة الأدلة القاطعة و [قيام -[٣]] البراهين الساطعة ﴿ بالدين ۝ ﴾ أى الجزاء الذى وظفه الله [فى -[٤]] يوم البعث، فارجعوا عن الغرور مطلقا خاصا و عاما، و ارتدعوا غاية الارتداع ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أن ﴿ عليكم ﴾ أى ممن أقمناهم من جندنا من ١٠ الملائكة ﴿ لحفظين ۝ ﴾ لهم[٤] على أعمالكم غاية العلو فهم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل و لا حقير.

و لما أثبت لهم الحفظ، نزههم عن الزيادة و النقص فقال: ﴿ كراما ﴾ أى فهم فى غاية ما يكونون من طهارة الأخلاق [٥]و العفة و الأمانة[٥].

و لما ثبت[٦] الحفظ و الامانة بغاية الإبانة[٧]، و كان الحافظ ربما ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: او قعك ايها الإنسان (٢) زيد من ظ و م. (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م. و فى الأصل: اثبت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الانابة.

ينبغي قال : ﴿ كاتبين ۙ ﴾ أى هم راسخون فى وصف الكتابة يكتبونها فى الصحف كما يكتب الشهود بينكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير .

/ ٦٩١ و لما أفهم الاستعلاء / و التعبير بالوصف إحاطة الاطلاع على ما يبرز من الأعمال، صرح به فقال : ﴿ يعلمون ﴾ أى على التجدد و الاستمرار

٥ ﴿ ما تفعلون ۝ ﴾ أى تجددون فعله من خير و شر بالعزم الثابت و الداعية[1] الصادقة سواء كان مبنيا على علم أو لا ، فكيف يكون مع هذا تكذيب بالجزاء على النقير و القطمير هل يكون إحصاء مثاقيل الذر من أعمالكم عبثا و هل علمتم بملك يكون له رعية يتركهم هملا فلا يحاسبهم على ما فى أيديهم [و ما عملوه ، و لأجل تكذيبهم بالدين أكد المعنى المستلزم

١٠ له -[2]] و هو أمر الحفظة غاية التأكيد ، و التعبير بالمستقبل يدل على انهم يعلمون كل ما انقدح فى القلب و خطر فى الخاطر قبل أن يفعل ، و أما ما لم يجر فى النفس له[3] [ذكر -[2]] فلا يعلمونه كما بينه حديث « و من هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة » .

و لما كانت نتيجة حفظ الأعمال الجزاء عليها ، أنتج ذلك بيان ما

١٥ كانت الكتابة لأجله تفريقا بين المحسن و المسيء الذى لا يصح فى حكمة حكيم و لا كرم كريم غيره بقوله على سبيل التأكيد ، لأجل تكذيبهم : ﴿ ان الابرار ﴾ اى العاملين[4] بما هو واسع لهم مما يرضى الله

---

(١) من م ، و فى الاصل و ظ : الدعية (٢) زيد من ظ و م (٣) وقع فى الأصل بعد « مالم يجر » و الترتيب من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العاملون .

[1]جلت قدرته[1] ﴿ لفى نعيم ﴾ أى محيط بهم لاينفك عنهم و لا ينفكون عنه أصلا فى الدنيا فى نعيم الشهود ، و فى الآخرة فى نعيم الرؤية و الوجود فى هذه الدار معنى و فى الآخرة حسا ، فكل نعيم [2]فى الجنة لهم[2] من المنح الآجلة فرقائقه[3] فى هذه الدنيا لهم عاجلة ﴿ و ان الفجار ﴾ أى الذين شأنهم الخروج مما ينبغى الاستقرار فيه من رضا الله إلى سخطه ﴿ لفى جحيم ﴾ ٥ أى نار تتوقد غاية التوقد يصلون بها جحيم العقوبة الفظيعة كما كانوا فى الدنيا فى[4] جحيم البعد و القطيعة .

و لما كان السياق للترهيب ، وصف[5] عذاب الفجار فقال : ﴿ يصلونها ﴾ أى يغمسون فيها كالشاة المصلية فيباشرون حرها ﴿ يوم الدين ﴾ أى الجزاء على الأعمال المضبوطة على مثاقيل الذر . و لما كان العذاب على ١٠ ما نعهده لابد أن ينقضى ، بين أن عذابه على غير ذلك فقال : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال انهم ما ﴿ هم عنها ﴾ أى[6] الجحيم ﴿ بغآئبين ﴾ أى بثابت لهم غيبة ما عنها فى وقت [7]ما ، بل[7] هم فيها خالدون جزاء لأعمالهم وفاقا و عدلا طباقا حتى الآن فى دار الدنيا و إن كانوا لا يحسون بها إلا بعد الموت لأن الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا . ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لهم فى الجنة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فرق ثقة ـ كذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : وصفه (٦) زيد فى الأصل: عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بل ما .

و لما علم[1] أن الوعيد الأعظم يوم الدين، هول أمره بالسؤال عنه
إعلاما بأنه أهل لأن[2] يصرف العمر إلى الاعتناء بأمره و السؤال عن
حقيقـــة حاله سؤال إيمان و إذعان لا سؤال كفران و طغيان ،
ليكون أقعد [في الوعيد -[3]] به فقال : ﴿و مآ ادرٰىك﴾ اي أعلمك و إن
٥ اجتهدت في [4] طلب الدراية[4] به ﴿ما يوم الدين ۙ﴾ أي أيّ شيء [هو -[5]]
في طوله و أهواله و فظاعته و زلزاله . و لما كانت أهواله زائدة على الحد ،
/ ٦٩٢ كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبرا بأداة التراخي / زيادة في
التهويل : ﴿ثم مآ ادرٰىك﴾ أي كذلك ﴿ما يوم الدين ۗ﴾ .

و لما بين أنه من العظمة بحيث لا تدركه دراية دار و إن عظم و إن
١٠ اجتهد ، لخص أمره في شرح ما يحتمله العقول منه على سبيل الإجمال
دافعا ما قد يقوله بعض من لا عقل له : إن كان انضممت[6] و التجأت إلى
بعض الأكابر و قصدت[7] بعض الأماثل فأخلص قهرا أو بشفاعة و نحوها ،
فقال مبدلا من " يوم الدين " في قراءة ابن كثير و البصريين بالرفع :
﴿يوم﴾ و هو ظرف ، قال الكسائي : العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا
١٥ [8]الليل و اليوم إلى[8] مستقبل ، و اذا أضافوا إلى فعل ماض آثروا النصب
﴿لا تملك﴾ أي بوجه من الوجوه في وقت ما ﴿نفس﴾ أيّ نفس

---

(١) من ظ ، و في الأصل و م : علموا (٢) من ظ و م ، و في الأصل : بان.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل : الطلب للاراية.
(٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : انضمت (٧) من ظ و م ،
و في الأصل : قصد (٨-٨) من ظ و م ، و في الأصل : اليوم او الليل .

كانت من غير استثناء. و نصبه الباقون على الظرف، و يجوز ان تكون الفتحة للبناء لإضافته[1] إلى غير متمكن[2] ﴿لنفس شيئا[4]﴾ أى[3] قل أو جل، و هذا و إن كان اليوم ثابتا لكنه فى هذه الدار بطن سبحانه فى الأسباب، فتقرر فى النفوس أن الموجودين يضرون و ينفعون لأنهم يتكلمون[4] و يبطشون، و أما هناك فالمقرر فى النفوس خلاف ذلك من ٥ أنه لا يتكلم أحد إلا باذنه إذنا ظاهرا، و لا يكون لأحد فعل ما إلا باذنه كذلك، فالأمر كله له دائما، لكن اسمه الظاهر هناك [ظاهر -[5]] و اسمه الباطن هذا متقرر لموجبات الغرور و سائر.

و لما كان التقدير: فلا أمر لأحد من الخلق أصلا، [لا -[5]] ظاهرا و لا باطنا، عطف عليه قوله: ﴿و الامر﴾ أى كله ﴿يومئذ﴾ أى إذ كان ١٠ البعث للجزاء ﴿لله ع﴾ أى مختص به لا يشاركه [فيه -[5]] مشارك ظاهرا كما أنه لا يشاركه فيه باطنا، و يحصل هناك[6] الكشف الكلى فلا يدعى أحد لأحد أمرا[7] من الأمور بغير إذن ظاهر خاص، و تصير المعارف بذلك ضرورية، فلذلك كان الانفطار و الزلازل الكبار، و الإحصاء لجميع الأعمال الصغار و الكبار، و قد رجع آخرها كما ترى إلى أولها، ١٥ و التف[8] مفصلها بموصلها[9] -[10] و الله الهادى للصواب[10].

(١) من م، و فى الاصل و ظ: لاضافة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ممكن. (٣) زيد فى الاصل: اى شىء، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) فى ظ: لا يظلمون (٥) زيد من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: هنا (٧) من م، و فى الأصل و ظ: أمر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: التفا (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بموالها - كذا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة التطفيف[1]

مقصودها شرح آخر الانفطار بأنه لابد من دينونة العباد يوم التناد باسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، و الأشقياء أهل الضلال و العناد غار الجحيم، و دل على ذلك بأنه مربيهم و المحسن إليهم بعموم النعمة، ٥ و لايتخيل عاقل أن أحدا يربى أحدا من غير سؤال عما[2] حمله اياه و كلفه به و لا أنه لاينصف بعض من يربيهم من بعض، و اسمها التطفيف أدل[3] ما فيها / على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الحكمة البالغة و القدرة /٦٩٣ الكاملة ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد و البيان الشاملة ﴿ الرحيم ﴾ الذى أكرم حزبه بالتوفيق[4] لحسن المعاملة .

١٠ لما[5] ختم الانفطار بانقطاع الأسباب و انحسام الأنساب[6] [يوم الحساب -[7]]، و أبلغ فى التهديد بيوم الدين و أنه لا أمر لأحد معه،

---

(١) فى ظ : المطففين، وهى الثالثة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٣٦ (٢) من ظ و م، و فى الأصل : عمله (٣) زيد فى الأصل : دليل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الحسن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ : ولما . (٦) من ظ و م، و فى الأصل : الاسباب (٧) زيد من ظ و م .

و ذكر

و ذكر الأشقياء و السعداء، و كان أعظم ما يدور[1] بين العباد[2] المقادير، وكانت المعصية بالبخس فيها من أخس المعاصى و أدناها، حذر من الخيانة فيها و ذكر ما أعد لأهلها و جمع إليهم كل من اتصف بوصفهم لحمله وصفه على نوع من المعاصى، كل ذلك تنبيها للاشقياء الغافلين على ما هم فيه من السموم الممرضة المهلكة، و نبه على[3] الشفاء لمن أراده ٥ [فقال -[4]] : ﴿ويل﴾ أى هلاك ثابت عظيم فى كل حال من أحوال الدنيا و الآخرة ﴿للمطففين لا﴾ أى الذين ينقصون المكيال و الميزان و يبخسون حقوق الناس، و فى ذلك تنبيه على أن أصل الآفات الخلق السيء وهو حب الدنيا الموقع فى جمع الأموال من غير وجهها و لو بأخس الوجوه: التطفيف الذى لا يرضاه[5] ذو مروءة و هم[6] من يقاربون ملأ الكيل و عدل ١٠ الوزن و لا يملأون و لا يعدلون، وكأنه من الإزالة أى أزال ما أشرف من أعلى الكيل، من الطف، و هو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، و منه ما فى حديث ابن عمر[7] رضى الله تعالى عنهما قال: كنت فارسا فسبقت الناس حتى طفت[8] لى الفرس مسجد بنى زريق - يعنى أن الفرس وثب حتى كاد يساوى المسجد، و يقال: طف الرجل الحائط - ١٥

(١) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الاصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لايرضا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابن عمرو (٨) من م، و فى الأصل و ظ: طفف.

إذا علاه، أو من القرب، من قولهم: أخذت من متاعى ما خف و طف، أى قرب منى، و كل شىء أدنيته من شىء فقد أطففته، و الطفاف من الإناء و غيره: ما قارب أن يملأه، و لا يتم ملأه، و فى الحديث: كلكم بنو آدم طف الصاع، أو من الطفف و هو التقتير. يقال: طفف عليه تطفيفا - ٥ إذا قتر عليه، أو من الطفيف و هو من الأشياء الخسيس[1] الدون و القليل، فكأن التضعيف للازالة على المعنى الأول كما مضى، و للقاربة الكثيرة على المعنى الثانى أى أنه يقارب ملء المكيال مقاربة كبيرة مكرا و خداعا حتى يظن صاحب الحق [أنه -[2]] و فى و لا يوفى، يقال: أطف فلان لفلان - اذا أراد ختله. و اذا نهى عن هذا فقد نهى عما نقص أكثر ١٠ بمفهوم الموافقة، و على المعنى[3] الثالث بمعنى التقتير و المشاحة فى[4] الكيل، و على المعنى الرابع بمعنى التنقيص و التقليل فيه، و كأنه اختير هذا اللفظ لأنه لايكاد يسرق[5] فى الميزان و المكيال [إلا الشىء -[2]] اليسير جدا، هـذا أصله فى اللغـة و قد فسره الله سبحانه و تعالى فقال: ﴿الذين اذا اكتالوا﴾ أى عالجوا الكيل أو الوزن فاتزنوا - بما ١٥ دل عليه ما يأتى، و عبر بأداة الاستعلاء ليكون المعنى: مستعلين[6] / أو متحاملين ﴿على الناس﴾ أى خاصة بمشاهدتهم كائنين من كانوا /٦٩٤ [لا -[2]] يخافون شيئا و لا يراعون أحدا، بل صارت الخيانة و الوقاحة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الخسيسة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: معنى (٤) من ظ وم، و فى الأصل: على (٥) من م، و فى الاصل و ظ: يشرف (٦) من ظ و م، و فى الاصل: مستقلين.

لهم دیدنا ، و هذا الفعل يتعدى بمن و على ، يقال : اكتال من الرجل و عليه ، و يجوز [١] أن يكون اختيار التعبير [١] بعلى هنا مع ما تقدم للاشارة إلى أنهم إذا [٢] كان لهم نوع علو بأن كان المكتال منه ضعيفا خانوه [٣] فيكون أمرهم دائرا على الرذالة و سفول الهمة التي لا أسفل منها ﴿يستوفون ﴿﴾﴾ أى يوجدون لأنفسهم الوفاء و هو تمام الكيل بغاية الرغبة و المبالغة ٥ فى الملأ [٣]، فكأنه ذكر "اكتالوا" و لم يذكر « اتزنوا » لأنه لايتأتى [فى - [٤]] الوزن من المعالجة ما يتأتى فى الكيل ، و لأنهم يتمكنون فى الاكتيال من المبالغة فى استيفاء المؤدى إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله فى الاتزان [٥]، و هذا بخلاف الإخسار فان التمكن بسببه حاصل فى الموضعين فلذلك ذكرهما فيه [٦] . ١٠

و لما أفهم تقديم الجار الاختصاص فأفهم أنهم إذا فعلوا من أنفسهم لا يكون كذلك ، صرح به فقال : ﴿ و اذا كالوهم ﴾ أى كالوا الناس أى حقهم أى ما لهم من الحق [﴿ او وزنوهم ﴾ اى وزنوا ما عليهم له من الحق - [٧]] ، يقال : اكتال من الرجل و عليه و [٨] كال له [٨] الطعام [و كاله الطعام - [٧]] ، و وزنت الرجل الشيء و وزنت له الشيء ، و لعله سبحانه ١٥ اختار "على" فى الأول و المعدى إلى اثنين فى الثانى لأنه أدل على

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اذ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : خانوه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الا نزال (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد من ظ و م . (٨-٨) من ظ وم ، و فى الأصل : كان .

حضور صاحب الحق. فهو فى غيبته اولى، فهو ادل على المرون على الوقاحة، فهما كلمتان لا أربع لانه ليس بعد الواو ألف جمع، قال البغوى[1]: و كان عيسى بن عمر يجعلهما[2] حرفين يقف على كالوا و وزنوا و يبتدئ هم، قال أبو عبيدة: و الاختيار الاولى[3]، قال البغوى: يعنى أن كل واحدة
٥ كلمة لانهم كتبوهما بغير ألف باتفاق المصاحف، وقال الزمخشرى[4]: و لا يصح أن يكون ضميرا للطففين لأن الكلام يخرج به الى نظم فاسد، و ذلك أن المعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا و إذا أعطوهم[5] أخسروا، و ان جعلت الضمير للطففين انقلب الى قولك: [اذا - [6]] أخذوا من الناس استوفوا، و اذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص اخسروا،
١٠ و هو كلام متنافر لأن الحديث واقع فى الفعل لا فى المباشر، و التعلق فى ابطاله بخط المصحف و أن الألف التى تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع فى كثير منه حد المصطلح عليه فى علم[7] الخط - انتهى . و لاشك أن[8] فى خط المصحف تقوية لهذا الوجه المعنوى[9] و تأكيدا ﴿ يخسرون ﴾ أى يوجدون الخسارة بالنقص
١٥ فيما يكيلون لغيرهم، و الحاصل أنهم يأخذون وافيا أو زائدا و يعطون ناقصا .

(١) راجع المعالم ٧/١٨٢ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: يجعلها (٣) زيد فى الأصل: انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) راجع البحر ٨/٤٣٩ (٥) من م ، و فى الأصل وظ : اعطولهم (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اعلم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : المعنى .

و قال

و قال الإمام [أبو جعفر - [1]] ابن الزبير: لما قال سبحانه و تعالى
في سورة الانفطار "و ان عليكم لحافظين كراما كاتبين" - الآية، وكان　/ ٦٩٥
مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال وأنه لا يفوت
عمل كما قال تعالى " و ان كان مثقال حبة من [2] خردل اتينا بها وكفا بنا
حاسبين" أتبع الآية المتقدمة بجزاء عمل يتوهم فيه قرب المرتكب و هو ٥
[3] من أكبر [3] الجرائم، و ذلك التطفيف في المكيال و الميزان و الانحراف
عن إقامة القسط في ذلك، فقال تعالى "ويل للمطففين" ثم أردف تهديدهم
و تشديد وعيدهم فقال "الا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم"
ثم التحمت الآى مناسبة لما افتتحت به السورة الى ختامها [4] - انتهى.

و لما ذكر سبحانه و تعالى أنهم أدمنوا على هذه الرذائل حتى صارت ١٠
لهم خلقا مرنوا عليه و أنسوا به و سكنوا اليه. و كان ذلك لا يكون
إلا ممن أمن العقاب وأنكر الحساب، أنتج ذلك الإنكار عليهم على أبلغ
الوجوه لإفهامه أن حالهم أهل لأن يتعجب منه و يستفهم عنه و أن
المستفهم عن حصوله عندهم الظن، و أما اليقين فلا يتخيل فيهم لبعد
أحوالهم الجافية و أفهامه الجامدة عنه فقال تعالى: ﴿ الا يظن اولٓئك ﴾ ١٥
أى الأخساء البعداء الأرجاس [5] الأراذل يتجدد لهم وقتا [6] من الأوقات
ظن أن لم يتيقنوا بما مضى من البراهين التى أفادت أعلى رتب اليقين،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: في (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: اكر من (٤) في ظ وم: خاتمتها (٥) من ظ وم، و في الأصل: الارجا (٦) من ظ و م، و في الأصل: وقت.

فانهم لو ظنوا ذلك ظنا نهاهم ان كان لهم نظر لأنفسهم عن أمثال هذه القبائح، و من لم تفده تلك الدلائل القاطعة ظنا يحتاط به لنفسه فلا حس له أصلا ﴿ انهم ﴾ و عبر باسم المفعول فقال: ﴿ مبعوثون ۙ ﴾ إشارة الى القهر على أهون وجه بالبعث الذى قد ألفوا مثله من القهر
٥ باليقظة بعد القهر بالنوم ﴿ ليوم ﴾ أى لأجله و فيه، و زاد التهويل بقوله: ﴿ عظيم ۙ ﴾ أى لعظمة ما يكون فيه من الجمع و الحساب الذى يكون عنه[1] الثواب و[2] العقاب مما لايعلمه على حقيقته[3] إلا هو سبحانه و تعالى.

و لما عظم ذلك اليوم تحذيرا منه، و زاده تعظيما بأن أتبعه على
١٠ سبيل القطع قوله ناصبا بتقدير "أعنى" إعلاما بأن الجحد فيه بأعين جميع الخلائق فهو فضيحة لا يشبهها فضيحة: ﴿ يوم يقوم ﴾ أى على الأرجل ﴿ الناس ﴾ أى كل من فيه قابلية الحركة، و ذلك يوم القيامة[4] خمسين ألف سنة لاينظر إليهم سبحانه - رواه الطبرانى[5] فى الكبير عن عبد الله بن عمرو رفعه و رجاله ثقات ﴿ لرب العٰلمين ۚ ﴾ أى لأجل حكم
١٥ موجد الخلائق و مربيهم كلهم فلا ينسىء أحدا من رزقه و لايهمله من حكمه[6] و لايرضى بظلم أحد ممن يربيه فهو يفيض لكل من كل بحكم التربية، كل ذلك من استفهام الإنكار و كله الظن، و وصف اليوم بما

---

(١) من ظ و م. و فى الأصل: عليه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اذ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: سقيقة (٤-٤) زيد فى الأصل: الذى مقداره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٥ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: حكمته.

وصف / و غير ذلك للابلاغ فى المنع عن التطفيف و تعظيم إثمه، ٦٩٦ /
و روى الحاكم من رواية عبدالله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه رفعه:
ما نقض قوم العهد إلا سلط[1] عليهم عدوهم، و ما حكموا بغير ما أنزل
الله تعالى إلا فشا فيهم الفقر، و ما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت،
و لا طففوا الكيل إلا منعوا النبات و اخذوا بالسنين، و لا منعوا الزكاة ٥
إلا حبس عنهم القطر، و من طريق عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمرو
مرفوعا نحوه، و للطبرانى من طريق الضحاك عن مجاهد و طاؤس عن
ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا نحوه.

و لما أنهى [2]سبحانه ما أراد[2] من تعظيم ذلك [اليوم -[3]] و التعجيب
ممن لم يفده براهينه أن يجوزه و الإنكار عليه، و كان مع ما فيه من ١٠
التقريع مفهما للتقرير، نفى بأداة الردع للمبالغة فى النفى مضمون ما وقع
الاستفهام عنه فقال: ﴿ كَلَّآ ﴾ [4]أى لا [4] يظن أولئك ذلك بوجه من الوجوه
لكثافة طباعهم و وقوفهم[5] مع المحسوس دأب البهائم بل لا يجوزونه،
و لو جوزوه لما وقعوا فى ظلم أحد ممن يسألون عنه فى ذلك اليوم
المهول، و ما اوجب لهم الوقوع فى الجرائم إلا الإعراض عنه، و قال ١٥

(١) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما اراد سبحانه (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: الا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: وتوتهم.

الحسن رحمه الله تعالى[١] : هى بمعنى حقا متصلة[٢] بما بعدها[٣] - انتهى ، و هى مع ذلك مفهمة للردع الذى ليس بعده ردع عن اعتقاد مثل ذلك و الموافقة لشيء مما يوجب الخزى فيه .

و لما أخبر عن إنكارهم ، استأنف[٤] إثبات ما أنكروه على أبلغ وجه ٥ و أفظعه[٥] مهولا لما[٦] يقع لهم من الشرور و فوات السرور ، مؤكدا لاجل إنكارهم فقال : ﴿ ان كتب ﴾ و أظهر موضع الإضمار[٧] تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ الفجار ﴾ أى صحيفة حساب هؤلاء الذين حملهم على كفرهم[٨] مروقهم و كذا كل من وافقهم[٩] فى صفاتهم فكان فى غاية المروق مما حقه ملابسته و ملازمته ، و أبلغ فى التأكيد فقال : ١٠ ﴿ لفى سجين ه ﴾ هو علم منقول فى صيغة المبالغة[١٠] عن وصف [من -[١١]] السجن و هو الحبس لأنه سبب الحبس فى جهنم أى انه ليس فيه أهلية الصعود إلى محل الأقداس إشارة إلى أن كتابهم إذا كان فى سجن عظيم أى ضيق شديد كانوا هم [فى -[١٢]] أعظم ، قال ابن جرير[١٣] : و هى

(١) راجع المعالم ٧/٨٣ ، (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : متصلا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد ذلك (٤) زيد فى الأصل : انكار ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اعظمه (٦) فى م : مـا . (٧) فى ظ و م : الضمير (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : واصفهم (١٠) زيد فى الأصل و ظ : مبالغة . و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (١١) زيد من ظ و م (١٢) زيد من ظ (١٣) راجع جامع البيان ٣٠/٥١ .

الأرض السابعة - انتهى. [وهو يفهم -[1]] مع هذه الحقيقة أنهم فى غاية الخسارة لأنه يقال لكل من انحط: صار ترابا و لصق بالأرض - و نحو ذلك، ثم[2] زاد فى هوله بالإخبار بأنه أهل لأن يسأل عنه و يضرب إلى العالم به - إن [كان -[1]] يمكن - آباط الإبل فقال: ﴿و مآ ادرٰىك﴾ أى جعلك داريا و إن اجتهدت فى ذلك ﴿ما سجين﴾ أى أنه بحيث ٥ لا تحتمل وصفه العقول/، و هو مع ذلك فى أسفل سافلين[3] و يشهده المبعدون[4] من الشياطين و سائر الظالمين، يصعد بالميت [منهم -[5]] إلى السماء فتغلق أبوابها دونه فيرد تهوى به الريح تشمت به الشياطين. و كل ما قال فيه « و ما أدراك » فقد أدراه به بخلاف « و ما يدريك ».

/ ٦٩٧

و لما أتم ما[6] أراد من وصفه، أعرض عن بيانه إشارة إلى أنه ١٠ من العظمة بحيث [7]أنـه يكل عنه[7] الوصف، و استأنف أمر الكتاب المسجون فيه فقال محذرا منه مهولا لأمره: ﴿كتٰب﴾ أى عظيم لحفظه القير و القطمير ﴿مرقوم﴾ أى مسطور بين الكتابة كما تبين الرقمة البيضاء فى جلد الثور الأسود، و يعلم كل من رآه أنه غاية فى الشر، و هو كالرقم فى الثوب و النقش فى الحجر لا يبلى و لا يمحى. ١٥

و لما أعلم هذا بما للكتاب[8] من الشر، استأنف الإخبار بما أنتجه

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ وم، وفى الأصل « و » (٣) زيد فى الأصل: يشتمله، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م، و فى الأصل: المبعودون، و فى ظ: المبعودين (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لما (٧-٧) من ظ وم، و فى الأصل: ان يكل ان عليه (٨) من م، و فى الأصل وظ: لكتاب.

بما لأصحابه فقال: ﴿ويل﴾ أي أعظم الهلاك ﴿يومئذ﴾ أي إذ يقوم الناس لما تقدم. ولما كان الأصل: لهم، أبدله بوصف ظاهر تعميما وتعليقا للحكم به فقال: ﴿للمكذبين ۙ﴾ أي الراسخين في التكذيب بكل ما ينبغي التصديق به.

٥ ولما أخبر عن ويلهم، وصفهم بما يبين[1] ما كذبوا به ويبلغ في ذمهم فقال: ﴿الذين يكذبون﴾ أي يوقعون التكذيب لكل من ينبغي تصديقه، مستهينين ﴿بيوم﴾ أي بسبب الإخبار بيوم ﴿الدين ؕ﴾ أي الجزاء الذي هو سر الوجود ﴿وما﴾ أي والحال أنه ما ﴿يكذب﴾ أي يوقع التكذيب ﴿به الا كل معتد﴾ أي متجاوز للحد في العناد

١٠ أو الجحود والتقليد لأن محطه نسبة من ثبت بالبراهين القاطعة أنه على كل شيء قدير إلى العجز عن إعادة[2] ما ابتدأه ﴿اثيم ۙ﴾ أي مبالغ[3] في الانهماك في الشهوات الموجبة للآثام، وهي الذنوب، فاسود قلبه فعمي بنظر الشهوات التي حفت بها النار عما عداها.

ولما أثبت له الإبلاغ في الإثم، دل عليه بقوله بأداة التحقق[4]:

١٥ ﴿اذا تتلى﴾ أي من أي تال كان، مستعلية بما لها من البراهين ﴿عليه ايتنا﴾ أي العلامات الدالة على ما أريد بيانها له مع [ما - [5]] لها من العظمة بالنسبة إلينا ﴿قال﴾ اى من غير توقف ولا تأمل بل بحظ نفس أوقعه

---

(١) من ظ وم، وفي الأصل: بين (٢) من ظ وم، وفي الأصل: عادة.
(٣) من ظ وم، وفي الأصل: بالغ (٤) من م، وفي الأصل وظ: التحقيق.
(٥) زيد من ظ وم.

[فيه - [1]] شهوة المغالبة [2] التى سببها الكبر : ﴿ اساطير الاولين ۝ ﴾ أى من الأباطيل و ليست كلام الله ، فكان لفرط جهله بحيث لاينتفع بشواهد النقل كما أنه لم ينظر فى دلائل العقل .

و لما كان هذا قد صار كالأنعام فى عدم النظر بل هو أضل سبيلا لأنه قادر على النظر دونها [3]، قال رادعا له و مكذبا و مبينا لما أدى به ٥ إلى هذا القول و هو لا يعتقده : ﴿ كلا ﴾ أى ليرتدع ارتداعا عظيما و لينزجر انزجارا شديدا ، فليس الأمر كما قال فى المتلو ولا [هو - [4]] معتقد [5] له اعتقادا جازما / لأنه لم يقله عن بصيرة ﴿ بل سكتة ران ﴾ أى غلب و أحاط / ٦٩٨ وغطى تغطية الغيم للسماء و الصدأ للمرآة ، و جمع اعتبارا بمعنى "كل" لئلا يتعنت متعنت ، فقال معبرا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرتهم : ﴿ على قلوبهم ﴾ ١٠ أى كل من قال هذا القول ﴿ ما كانوا ﴾ أى [6] بجبلاتهم الفاسدة ﴿ يكسبون ۝ ﴾ اى يجددون كسبه مستمرين عليه من الأعمال الردية ، فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات إن خيرا فخيرا [7] و إن شرا فشرا [8]، فيتراكم الذنب على القلب فيسود ، فلذلك كانوا يقولون مثل هذا الاعتقاد ، بل هو شيء يسدون به المجلس و يقيمون لأنفسهم عند العامة المعاذير ١٥ و يفترون به عزائم التالين بما [9] يحرقون من [10] قلوبهم - أحرق الله قلوبهم و بيوتهم بالنار ، فانهم لاينقطعون فى عصر من الأعصار و لايخشون من

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المبالغة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دونه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يعتقد. (٦) زيد فى الأصل : كانوا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فخير (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فشر (٩) من م ، و فى الأصل : بما ، و فى ظ : ما (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : به .

عار و لا شنار، روى أحمد[1] و الترمذى[2] و ابن ماجه[3] عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: إذا أذنب العبد نكتت[4] فى قلبه نكتة سوداء فان تاب صقل منها، و إن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذى قال الله سبحانه و تعالى. و قال الغزالى فى كتاب التوبة[5] من الإحياء: قد سبق أن الإنسان[6] لا يخلو فى مبدأ خلقته[6] عن اتباع الشهوات، و كل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة [الصقيلة. فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس فى وجه المرآة عند تراكمه خبثا. فاذا تراكم الرين صار طبعا كالخبث على وجه المرآة -[7]] إذا تراكم و طال زمانه غاص فى جرم الحديد و افسده و صار لا يقبل التصقيل بعده، و صار كالمطبوع من الخبث[8] و لا يكفى فى تدارك اتباع الشهوات تركها فى المستقبل بل لابد من محو تلك الآثار التى انطبعت فى القلب كما لا يكفى فى ظهور الصورة فى المرآة قطع الأنفاس و البخارات المسودة لوجهها فى المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار، و كما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصى و الشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات و ترك الشهوات فتمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم «و أتبع السيئة الحسنة تمحها».

---

(١) راجع المسند ٢/٢٩٧ (٢) راجع الجامع ٢/١٦٩ (٣) راجع السنن ص: ٣٢٣.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: نكت (٥) راجع ٤ / ٨ (٦ - ٦) من ظ و م و الإحياء، و فى الأصل: فى مبدا خلقه لا يملو (٧) زيد من ظ و م و الإحياء.
(٨) من م، و فى الأصل و ظ: الخشب.

و لما

و لما كان ادعاؤهم إنما هو قول قالوه بأفواهـــهم لا يتجاوزها عظيما جدا، أعاد ردعهم[1] عنه و تكذيبهم فيه فقال[2]: ﴿ كلآ ﴾ أى ليس الأمر كما قالوا من الأساطير لا فى الواقع و لا عندهم فليرتدعوا عنه أعظم ارتداع . و لما كان قول الإنسان لما لا يعتقده و لا هو فى الواقع كما قال فى غاية العجب لا يكاد يصدق، علله مبينا أن الحامل لهم عليه ٥ إنما هو الحجاب الذى ختم به سبحانه على قلوبهم، فقال مؤكدا لمن[3] ينكر ذلك من المغرورين: ﴿ انهم عن ربهم ﴾ أى عن ذكر المحسن اليهم و خشيته و رجائه ﴿ يومئذ ﴾ اى إذ قالوا هذا / القول الفارغ .و لما كان / ٦٩٩ المانع إنما هو الحجاب، بنى للفعول قوله: ﴿ لمحجوبون ﴾ فلذلك استولت عليهم الشياطين و الأهوية، فصاروا يقولون ما لو عقلت البهائم لاستحيت ١٠ من أن تقوله، و الأحسن أن تكون الآية بيانا و تعليلا لويلهم الذى سبق الإخبار به، و يكون التقدير: يوم إذ كان يوم الدين، و يكون المراد الحجاب عن الرؤية، و يكون فى ذلك بشارة للؤمنين بها . و قال البغوى[4]: قال أكثر المفسرين: عن رؤيته، و قال: إن الإمامين الشافعى و شيخه مالكا استدلا بهذه الآية على الرؤية، و أسند الحافظ أبو نعيم فى الحلية[5] ١٥ فى ترجمة الشافعى أنه قال: فى هذه الآية دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته، [و -[6]] قال ابن[7] الفضل: كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ردهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قال .
(٣) فى ظ : لأجل من (٤) راجع المعالم ١٨٤/٧ (٥) راجع ١١٧/٩ (٦) زيد من م (٧) من م و المعالم ، و فى الأصل و ظ : أبو .

فى الآخرة عن رؤيته، و قال الحسن[1]: لو علم الزاهدون و العابدون أنهم لايرون ربهم فى المعاد لزهقت أنفسهم فى الدنيا. و قال القشيرى: و دليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون يرونه كما يعرفونه اليوم [انتهى -[2]]. و فيه تمثيل لإهانتهم باهانة من يمنع الدخول على الملك.

٥ و لما بين [ما -[2]] لهم من العذاب بالحجاب الذى هو عذاب القلب الذى لاعذاب أشد منه، لأنه يتفرع [عنه -[2]] جميع العذاب[3]، شرع يبين بعض ما تفرع عنه من عذاب القالب مؤكدا لأجل إنكارهم معبرا بأداة التراخى إعلاما بعلو رتبته فى أنواع العذاب فقال: ﴿ثم انهم﴾ أى بعد ما شاء[4] الله من إمهالهم ﴿ اصالوا الجحيم ۝ ﴾ أى لداخلو النار

١٠ العظمى و يقيمون فيها مقاسون لحرها و يغمسون فيها كما تغمس الشاة المصلية [أى المشوية -[2]].

و لما بين ما لهم من الفعل الذى هو للقلب و القالب، أتبعه القول بالتوبيخ و التبكيت الذى هو عذاب النفس، و بناه للفعول لأن المنكى سماعه لاكونه من معين، و إشارة إلى أنه يتمكن من قوله لهم كل من

١٥ يصح منه القول من خزنة النار و من أهل الجنة و غيرهم لأنه لامنعة عندهم: ﴿ ثم يقال ﴾ أى لهم بعـــد مدة تبكيتا و تقريعا و تنديما و تبشيعا: ﴿هذا﴾ أى العذاب [5]الذى هو حالّ بكم[5] ﴿الذى كنتم﴾

(١) راجع المعالم ٧/١٨٤ (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يشاء. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

أى بما لكم من الجبلات الخبيثة ﴿ به ﴾ اى خاصة لأن تكذيبكم بغيره بالنسبة إليه لما له من القباحة و لكم من الرسوخ فيه و الملازمة له (؟) ﴿ تكذبون ﴾ أى توقعون التكذيب به و تجددونه مستمرين عليه .

و لما كان هذا ربما أفهم أنهم يرون جميع عذابهم إذذاك، نفاه بقوله: ﴿ كلا ﴾ أى ليس هو المجموع بل هو فرد[1] من الجنس فلهذا ٥ عمل عليه الجنس و هو نزلهم و الأمر أطم و أعظم من أن يحيط به الوصف . و لما ذكر ما للمكذبين من العذاب الذى جره[2] إليهم إقبالهم على الدنيا بادئا به لأن المقام من أول / السورة للوعيد و صوادع / ٧٠٠ التهديد، أتبعه ما للصدقين الذين أقبل بهم الى السعادة ترك الحظوظ و إعراضهم عن عاجل شهوات الدنيا، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم: ١٠ ﴿ ان كتب الابرار ﴾ أى صحيفة حسنات الذين هم فى غاية الاتساع فى شرح صدورهم، و اتساع عقولهم و كثرة أعمالهم [3]و زكائها[3] و غير ذلك من محاسن أمورهم ﴿ لفى عليين ﴾ أى أماكن منسوبة إلى العلو، وقع النسب أولا إلى فعلىّ ثم جمع [و إن كان - [4]] لا واحد له من لفظه كعشرين و أخواته، قال الكسائى: إذا جمعت العرب ما لا يذهبون فيه ١٥ إلى أن له بناء من واحد و اثنين فانهم يجمعون بالواو و النون فى المذكر و المؤنث - انتهى، فهى درجات متصاعدة تصعد إلى الله و لا تحجب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مفرد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جل .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكاه عقولهم الى (٤) زيد من ظ و م .

عنه كما يحجب ما الأشقياء بعضها[1] فوق [بعض -[2]] إلى ما لانهاية له بحسب رتب الأعمال ، و كل من كان كتابه من الأبرار في مكان لحق به كما أن من كان كتابه من الفجار[3] في سجين لحق به ، قال الرازي في اللوامع : من ترقى علمه عن الحواس و الأوهام و فعله عن ٥ مقتضى الشهوة[4] و الغضب فهو حقيق بأن يكون عليا ، و من كان علمه و إدراكه مقصورا على الحواس و الخيال و الأوهام و فعله على مقتضى الشهوات البهيمية فهو حقيق بأن يكون في سجين .

و لما كان هذا أمرا عظيما ، زاد[5] في تعظيمه بقوله : ﴿ و مآ ﴾ أي و أي شيء ﴿ ادرٰىك ﴾ اي جعلك داريا و إن بالغت في الفحص ١٠ ﴿ ما عليون ﴾ فان وصفه لا تسعه[6] العقول و يلزمه لعلوه فضاء مطلق و اتساع مبين . و لما عظم المكان فعلمت عظمة الكتاب ، ابتدأ الإخبار عنه على سبيل القطع زيادة في عظمته فقال : ﴿ كتٰب ﴾ أي عظيم ﴿ مرقوم ﴾ اي فيه [أن -[7]] فلانا أمن من النار فيا له من رقم ما احسنه و ما أبهاه و ما أجمله .

١٥ و لما عظمه في نفسه و في مكانه ، عظمه في حضاره فقال : ﴿ يشهده المقربون ﴾ أي يحضره حضورا تاما دائما لا غيبة فيه الجماعة

(١) من م ، و في الأصل و ظ : بعض (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ ، و في الأصل و م : الكفار (٤) زيد في الأصل : البهيمية فهو ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : زاده (٦) من ظ و م ، و في الأصل : لا تصفه (٧) زيد من م .

الذين يعرف كل احد انه ليس لهم عند كل من يعتبر تقريبه إلا التقريب من ابتدائه إلى انتهائه هم شهود هذا المسطور و هم الملائكة يشيعونه[١] من سماء إلى سماء و يحفون به سرورا و تعظيما لصاحبه و يشهده من فى السماوات من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و الصديقين و الشهداء و الصالحين، فالآية مع الأولى[٢] من الاحتباك: ذكر سجين أولا دال[٣] على الاتساع ٥ ثانيا، و ذكر عليين و المقربين ثانيا دال على أسفل سافلين[٤] و المبعدين أولا.

و لما عظم كتابهم بهذه الفضائل، التفتت النفس الى معرفة حالهم فقال شافيا لعى هذا الالتفات مؤكدا لأجل من ينكر: ﴿ ان الابرار﴾ أى الذين هذا كتابهم ﴿لفى نعيم ﴾ أى محيط بهم ضد ما فيه الفجار من ١٠ الجحيم. و لما كان لا شيء / أنعم للانسان من شيء عال يجلس عليه و يمد / ٧٠١ بصره الى ما يشتهى مما لديه، قال مبينا لذلك النعيم: ﴿ على الارآئك ﴾ أى الأسرة العالية [مع هذا -[٥]] العلو المطلق فى الجمال التى يعيى الفكر وصفها بما لها من العلو من ترصيع اللؤلؤ و الياقوت و غير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر ﴿ ينظرون ﴾ أى الى ما يشتهون من الجنان و الأنهار ١٥ و الحور و الولدان، ليس لهم شغل غير ذلك و ما شابهه من المستلذات. و قال الإمام القشيرى: أثبت النظر و لم يبين المنظور إليه لاختلافهم: منهم من ينظر إلى قصوره، و منهم من ينظر إلى حوره، و منهم [٦]و منهم[٦]،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يسبقونه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اولا لى.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: السافلين.
(٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: من ينظر.

و الخواص على دوام الأوقات إلى الله تعالى ينظرون كما أن الفجار دائما عن ربهم محجوبون .

و لما وصف[1] نعيمهم، أخبر أنهم من عراقتهم فيه [يعرفهم به -[2]] كل ناظر إليهم فقال تعالى: ﴿ تعرف ﴾ أى أيها الناظر إليهم - هذا على قراءة الجماعة، و قرأ أبو جعفر و يعقوب بالبناء للفعول، و هو أدل على العموم ﴿ فى وجوههم ﴾ عند رؤيتهم ﴿ نضرة النعيم ﴾ أى بهجته و رونقه و حسنه و بريقه و طراوته، من نضر[3] النبات - إذا أزهر و نوّر، و قال الحسن رحمه الله تعالى[4]: النضرة فى الوجه و السرور فى القلب .

و لما كانت مجالس الأنس لاسيما[5] فى الأماكن النضرة لا تطيب إلا بالمآكل و المشارب، و كان الشراب يدل على الأكل، قال مقتصرا عليه لأن هذه السور[6] قصار يقصد فيها الجمع مع الاختصار قال: ﴿ يسقون ﴾ بانيا له للفعول دلالة على أنهم مخدومون أبدا لا كلفة عليهم فى شيء ﴿ من رحيق ﴾ أى شراب خالص صاف عتيق ابيض مطيب فى غاية اللذة، [7]فانهم قالوا: إن الرحيق[7] الخمر أو أطيبها او أفضلها أو الخالص او الصافى، و ضرب من الطيب . و لاشك أن العاقل لايشرب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : وصفهم (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ضرة (٤) راجع المعالم ٧/١٨٥ (٥) زيد فى الأصل : فى المجالس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة. (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فالرحيق .

الخير مطلقا فكيف بأعلاها [إلا -[1]] إذا [كان -[1]] مستكملا لمقدماتها من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح و غير ذلك . و لما كان الختم لايكون إلا لما عظمت رتبته و عزت نفاسته ، قال مريدا الحقيقة ، أو الكناية عن نفاسته : ﴿مختوم ﴾ أى فهو مع نفاسته سالم من الغبار و جميع الأقداء و الأقذار . ٥

و لما كان الختم[2] حين الفك[3] لابد أن ينزل من فتاته فى الشراب قال : ﴿ختمه مسك ﴾ و قال ابن مسعود رضى الله عنه[4] : إن المراد بختامه آخر طعمه ، فيحصل أن ختامه فى أول فتحه و فى آخر شربه المسك ، و ذلك يقتضى ان لايكون يفتحه إلا شاربه ، و أنه يكون على[5] قدر كفايته فيشربه كله ، و العبارة صالحة لأن يكون [الختام -[6]] أولا و آخرا ، ١٠ و هو يجرى مجرى افتضاض البكر . و لما كان التقدير : [فبه -[1]] يبلغ نهاية اللذة الشاربون ، عطف عليه قوله : ﴿و فى ذلك﴾ أى الأمر [العظيم -[1]] البعيد المتناول و هو العيش و النعيم و الشراب الذى هذا وصفه ﴿فليتنافس﴾ أى فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد و الاختيار ﴿المتنافسون ﴾ أى الذين من شأنهم المنافسة / و هو أن يطلب كل منهم ١٥ / ٧٠٢ أن يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لأنه[7] نفيس جدا ،

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ايضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ينفك (٤) راجع المعالم ٧/١٨٥ (٥) زيد فى الأصل : قدرته و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من ظ و م . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

و النفيس هو الذى تحرص عليه نفوس الناس و تتغالى فيه . و المنافسة فى مثل هذا بكثرة الأعمال [الصالحات -[١]] و النيات الخالصة .

و لما ذكر الشراب ، أتبعه مزاجه على ما يتعارفه أهل الدنيا لكن بما هو أشرف منه ، فقال مبينا لحال هذا المسقى : ﴿ و مزاجه ﴾ أى[٢] يسقون منه و الحال أن مزاج هذا الرحيق ﴿من تسنيم ﴾ علم على عين معينة و هو - مع كونه علما - دال على انها عالية المحل و الرتبة ، و الشراب[٣] ينزل عليهم ماؤها [من العلو -[٤]] ، و قال حمزة الكرمانى : ماؤها يجرى على الهواء متنسما ينصب فى أوانى أهل الجنة على مقدار الحاجة ، فاذا امتلأت أمسك ، و هو فى الشعر اسم جبل عال و كذا التنعيم و أصله من السنام ، و لذلك قطعها مادحا فقال : ﴿عينا يشرب بها ﴾ أى بسببها على طريقة المزج منها ﴿ المقربون ﴾ أى الذين وقع تقريبهم من اجتذاب الحق لهم إليه و قصر هممهم عليه ، كل شراب يريدونه ، و أما الأبرار فلا يشربون بها[٥] إلا الرحيق ، و أما غيرهم فلا يصل[٦] إليها أصلا ، و قال بعضهم : إن المقربين[٧] يشربون من هذه العين صرفا ، و الأبرار يمزج لهم منها [٨]و الفرق ظاهر - هنيا لهم[٨] .

و لما ذكر سبحانه جزاء الكافر[٩] بالجحيم و جزاء المؤمن[١٠] بالنعيم ،

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشرب (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فيها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يصلون (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المقربون (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الكافرين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المؤمنين .

وكان

و كان من أجلّ النعيم الشماتة بالعدو ، علل جزاء الكافر بما فيه شماتة المؤمن به لأنه اشتغل فى الدنيا بما لا يغنى ، فلزم من ذلك تفويته لما يغنى[1]، فقال مؤكدا لأن ذا[2] المروءات و الهمم العاليات و الطبع السليم و المزاج القويم لا يكاد يصدق مثل هذا ، و أكده إشارة إلى أن من حقه أن لا يكون : ﴿ ان الذين اجرموا ﴾ أى قطعوا ما أمر الله به أن يوصل ٥ ﴿ كانوا ﴾ أى فى الدنيا دينا و خلقا [3]و طبعا و جبلة[3] ﴿ من الذين امنوا ﴾ أى و لو كانوا فى أدنى درجات الإيمان ﴿ يضحكون ﴾ أى يجددون الضحك كلما رأوهم أو ذكروهم استهزاء بهم [3]و بحالاتهم التى هم عليها من علامات الإيمان[3] فى رثاثة أحوالهم و قلة أموالهم [و -[4]] احتقار الناس لهم مع ادعائهم أن الله تعالى لا بد أن ينصرهم و يعلى أمرهم[5] ١٠ ﴿ و اذا مروا ﴾ أى[6] الذين آمنوا ﴿ بهم ﴾ أى بالذين أجرموا فى [3]أى وقت من الأوقات يستهزؤن و[3] ﴿ يتغامزون ﴾ أى يغمز بعض الذين أجرموا بعضا لأذى الذين امنوا .

و لما وصفهم فى مواضع التردد و التقلب ، وصفهم فى المنازل فقال : ﴿ و اذا انقلبوا ﴾ أى رجع الذين أجرموا برغبتهم فى الرجوع ١٥ و إقبالهم عليه من غير تكره ﴿ الى اهلهم ﴾ أى منازلهم التى هى عامرة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يغنى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذى.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : اذا مر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

/ ٧٠٣ بجماعتهم ﴿انقلبوا﴾[1] حال كونهم ﴿فكهين ﴾ اى متلذذين غاية التلذذ / بما كان من مكنتهم و رفعتهم التى أوصلتهم إلى الاستسخار بغيرهم ، قال ابن برجان : و ذكر عليه الصلاة و السلام « إن الدين بدا غريبا و سيعود [غريبا - [2]] كما بدأ ، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر[3] »
٥ و فى أخرى : يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة . و فى أخرى : العالم فيهم أنتن من [4]جيفة حمار[4] - فالله المستعان .

و لما ذكر مرورهم بهم ، ذكر مطلق رؤيتهم لهم فقال : ﴿و اذا رأوهم﴾ أى [رأى - [2]] الذين أجرموا الذين آمنوا ﴿قالوآ﴾ أى عند رؤيتهم للذين آمنوا مؤكدين لأنهم يستشعرون أن كل ذى عقل يكذبهم مشيرين
١٠ إلى تحقيرهم بأداة القرب : ﴿ان هؤلآء﴾ أى الذين آمنوا ﴿لضآلون﴾ أى عريقون فى الضلال لأنهم تركوا الدنيا لشىء أجل لا صحة له ﴿و مآ﴾ أى و الحال أنهم [ما - [2]] ﴿ارسلوا﴾ اى من [5]مرسل ما[5] ﴿عليهم﴾ أى على الذين آمنوا خاصة حتى يكون لهم بهم هذا الاعتناء فى بيوتهم و خارجها عند مرورهم و غيره ﴿حفظين﴾ أى عريقين فى حفظ أعمال
١٥ الذين آمنوا فما اشتغالهم بهم إلى هذا الحد أن كانوا عندهم فى عداد الساقط المهمل كما يزعمون فما هذه المراعاة المستقصية لأحوالهم و إن كانوا فى عداد المنظور إليه[6] المعتنى به فليبينوا فساد حالهم بوجه تقبله العقول

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الجمرة (٤-٤) من م ، و فى الأصل و ظ : جيف الحمار (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اى مرسل ما ، وفى ظ اى مرسل (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : اليهم .

و[1] يقوم عليه دليل أو ليتبعوهم و إلا فهم غير عارفين بمواضع الإصلاح و تعاطى الامور على وجوهها[2] فما أحقهم بقول القائل:

أوردها سعد و سعد مستمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

و لما كان لا نعيم أفضل من الشماتة بالعدو لاسيما إذا كانت على أعلى طبقات الشماتة قال تعالى: ﴿ فاليوم ﴾ أى فتسبب عن هذا من ٥ فعلهم فى دار العمل أنه يكون فى دار الجزاء ﴿ الذين ءامنوا ﴾ و لو كانوا فى أدنى درجات الإيمان ﴿من الكفار﴾[3] خاصة، و هم الراسخون فى الكفر من عموم الذين أجرموا، فى الحشر و الجنة سخرية وهزؤا[4]، فان الذين آمنوا لايضحكون من عصاة المؤمنين لو رأوهم يعذبون بل يرحمونهم لاشتراكهم فى الدين ﴿يضحكون ﴾ قصاصا و جزاء حين[5] يرون ما هم[6] ١٠ فيه من الذل سرورا بحالهم شكرا لله على ما أعطاهم من النجاة من النار و النقمة من أعدائهم، قال أبو صالح: تفتح لهم الابواب[7] و يقال: اخرجوا، فيسرعون فاذا وصلوا إلى الأبواب غلقت[8] فى وجوههم وردوا على أقبح حال، فيضحك[9] المومنون - انتهى. و يا لها من خيبة و خجلة

(١) من ظ وم، و فى الأصل: او (٢) من ظ و م، و فى الأصل: وجهها. (٣) زيد فى الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) من ظ وم، و فى الأصل: هزية (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حتى (٦) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م، و فى الأصل و ظ: ابواب (٨) من م، و فى الأصل و ظ: اغلقت (٩) زيد فى الأصل: عليهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و سواد وجه و تعب قلب و تقريع نفس من العذاب بالنار و[1] بالشماتة و العار، حال كون الذين آمنوا ملوكا ﴿على الارآئك لا﴾ اى الأسرة العالية المزينة التى هى من حسنها[2] أهل لأن يقيم المتكئ بها ﴿ينظرون ؕ ه﴾ أى يحددون تحديق العيون إليهم كلما أرادوا فيرون / ما هم فيه من الهوان و الذل و العذاب بعد العزة[3] و النعيم نظر المستفهم ﴿هل ثوب﴾ بناه للفعول لأن الملذ مطلق مجازاتهم[4] ﴿الكفار﴾ أى وقع تثويب العريقين فى الكفر أى إعطاؤهم الثواب و الجزاء على أنهى ما يكون، فالجملة[5] فى محل نصب «ينظرون» ﴿ما كانوا﴾ أى نفس فعلهم بما هو لهم كالجبلات ﴿يفعلون ع ه﴾ [أى -[6]] بدواعيهم الفاسدة و رغباتهم المعلولة، فالجملة[5] فى موضع المفعول، و قد علم أن لهم الويل الذى افتتحت السورة بالتهديد به لمن يفعل فعل من لايظن أنه يجازى على فعله، و آخرها فيمن انتقص[7] الأعراض فى خفاء، [و -[8]] أولها فيمن انتقص الأموال كذلك، و جفاء العدل و الوفاء، و الله الهادى [9]للصواب، و إليه المرجع و المآب و إليه المتاب[9] .

٧٠٤ /

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : او (٢) من ظ و م، و فى الأصل : احسنها. (٣) من ظ و م، و فى الأصل : العدة (٤) من ظ و م، و فى الأصل : مجاوزتهم. (٥) من م، و فى الأصل و ظ : والجملة (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل : انقض (٨) زيد من م (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الانشقاق[1]

مقصودها الدلالة على آخر المطففين من أن الأولياء ينعمون و الأعداء يعذبون، لأنهم كانوا لايقرون بالبعث و لابالعرض على الملك الذى أوجدهم و رباهم كما يعرض الملوك عبيدهم و يحكمون بينهم فينقسمون إلى أهل ثواب و أهل عقاب، و اسمها الانشقاق [2]أدل دليل[2] على ذلك بتأمل الظرف ٥ و جوابه الدال على الناقد البصير و حسابه ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى كملت نعمته فشملت الخاص و العام ﴿ الرحيم ﴾ الذى أتمها بعد العموم على أوليائه فأسعدهم بإتمام الإنعام.

لما ختمت التطفيف بأن الأولياء فى نعيم، و أن[3] الأعداء فى جحيم ثوابا و عقابا، ابتدأ هذه بالإقسام[4] على ذلك فقال: ﴿ اذا السمآء ﴾ أى ١٠ على ما لها من الإحكام و العظمة [5]و الحكمة الذى لايقدر على مثلها غيره جلت قدرته[5] ﴿ انشقت ﴾ أى فصارت واهية و فتحت أبوابا[6] فتخربت و تهدمت، و ذلك بعد القيام من القبور كما مضى فى الحاقة عن إحدى روايتى ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ و اذنت ﴾ اى كانت

---

(١) الرابعة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٢٥.
(٢-٢) فى ظ و م: دال (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاقسام (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) فى ظ: أبوابها.

شديدة الاستماع[1] و الطواعية و الانقياد على أتم وجه كمن له اذن واعية
و نفس مطمئنة راضية ﴿لربها﴾ أى لأمر المخترع لها و المدبر لجميع
أمرها، و هى الآن و إن كانت منقادة فانقيادها ظاهر لأكثر [الخلق-[2]]
و هم المثبتة، و أما المعطلة فربما نسبوا تأثيراتها إلى الطبائع و الكواكب،
٥ و أما عند الانشقاق فيحصل الكشف التام فلا يبقى لأحد شبهة
﴿و حقت﴾ بالبناء للفعول بمعنى أنها مجبولة على أن ذلك حق [عليها-[2]]
ثابت لها، فهى حقيقة به لأنها مربوبة له سبحانه، و كل مربوب فهو
حقيق بالانقياد لربه، و هى لم تزل مطيعة / له فى ابتدائها و انتهائها، لكن
هناك يكون الكشف التام لجميع الأنام.

١٠ و لما بدأ بالعالم العلوى لكونه أشرف لأنه أعلى مكانة و مكانا،
ثنى بالسفلى فقال تعالى: ﴿و اذا الارض﴾ أى [على-[2]] ما لها من
الصلابة و الثخانة و الكثافة، و أشار بالبناء للفعول إلى سهولة الفعل
فيها عليه سبحانه و تعالى و سرعة انفعالها مع كونه أعجب من انشقاق
السماء فانه ربما كان فى الشيء لوهيه[3] من تطاول مرور الزمان عليه
١٥ بخلاف المد فقال: ﴿مدت﴾ اى بسطت بسط الأديم و مطت فامتطت
فزيد فى سعتها جدا بعد أن تمهدت فصارت دكاء فزالت جبالها و آكامها
و تلالها، فلا[4] ترى فيها عوجا و لا أمتا كما أن الأديم إذا مد كان كذلك
فزال تثنيه و اتسع.

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الامتناع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: او هى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فما.

و لما كان الجلد جديرا بأنه إذا مد أن يبين عن كل ما فيه من[1] غيره قال: ﴿ و القت ما فيها ﴾ أى أخرجت ما فى بطنها من الأموال و الكنوز و الأموات إخراجا سريعا كأنها تقذفه قذفا، و ذلك أيضا كالبساط إذا نقض ﴿ و تخلت ﴾ اى تعمدت و تكلفت الخلو عن ذلك و الترك له بغاية جهدها، أى فعل ذلك سبحانه [فعلا كانت الأرض ٥ كأنها فاعلة له على هذا الوجه، فصارت خلية عن كل شيء كان فى بطنها، و صار بارزا على ظهرها . و لما كان هذا ربما أوهم انه بغير أمره سبحانه -[2]] و تعالى قال: ﴿ و اذنت لربها ﴾ أى فعلت ذلك باذن[3] الخالق [لها -[2]] و المربى و تأثرت فى ذلك عن تأثيره لا بنفسها، وفعلت فيه كله فعل السميع المجيب ﴿ و حقت ﴾ أى و كانت حقيقة بذلك كما أن كل مربوب ١٠ كذلك، و تكرير "اذا" للتنبيه على ما فى كل من الجملتين من عظيم القدرة، و الجواب [محذوف -[2]] لأنه فى غاية الانكشاف بما دل عليه المقام مع ما تقدم من المطففين و ما قبلها من السور و ما يأتى فى هذه السورة تقديره: ليحاسبن كل احد على كدحه كله فليثوبن الكفار ما كانوا يفعلون و ليجازين أهل الإسلام بما كانوا يعملون . ١٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم فى الانفطار التعريف بالحفظة و إحصائهم على العباد فى كتبهم، و عاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر و الفاجر و استقرار ذلك فى قوله تعالى "ان كتاب الابرار لفى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فعل .

عليين" و قوله "ان كتاب الفجار لفي سجين" اتبع ذلك بذكر التعريف
بأخذ هذه الكتب في القيامة عند العرض، و أن أخذها بالأيمان عنوان
السعادة، و أخذها وراء الظهر عنوان الشقاء إذ قد تقدم في السورتين
قبل ذكر[1] الكتب و استقرارها بحسب اختلاف مضمناتها فمنها [2]ما هو[3]
٥ في عليين و منها [2]ما هو[3] في سجين إلى يوم العرض، فيؤتى[4] كل كتابه فآخذ[5]
بيمينه و هو عنوان سعادته، و آخذ [من -[6]] وراء ظهره و هو عنوان
هلاكه، فتحصل[7] الإخبار بهذه الكتب ابتداء و استقرارا و تفريقا يوم
العرض، و افتتحت السورة بذكر انشقاق السماء و مد الأرض و إلقائها
ما فيها و تخليها تعريفا / بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به[8] من سبقت سعادته /٧٠٦
١٠ و المناسبة بينة - انتهى .

و لما كان الجواب ما ذكرته، أتبعه شرحه فقال مناديا بأداة صالحة
للبعد لأن المنادى أدنى الأسنان بادئا بالأولياء لأن آخر التطفيف
الذي هذا شرح له إدخال السرور عليهم: ﴿ يآيها الانسان ﴾ [أي -[6]]
الآنس بنفسه الناسي لربه . و لما كان أكثر الناس منكرا للبعث، أكد
١٥ فقال: ﴿ انك كادح ﴾ أي ساع و عامل مع الجهد لنفسك من خير

(١) من ظ و م، و في الأصل: ذلك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من م، و في الأصل و ظ: فيأتي (٥) من
م، و في الأصل و ظ: فاخذه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في
الأصل: فتحصيل (٨) من ظ و م، و في الأصل: فيه (٩) من ظ و م، و في
الأصل: لبعث .

أو

او شر، و اكثره مما يؤثر خـــدوشا و شينا و فسادا و شتاتا، منتهيا ﴿ الى ربك ﴾ الذى أوجدك و رباك بالعمل بما يريد معنى و بالموت حسا، و أشار إلى اجتهاد كل فيما[1] هو فيه و خلق له بالتأكيد بالمصدر فقال: ﴿ كدحا ﴾ أى عظيما ﴿ فملقيه ۚ ﴾ أى فمتعقب كدحك لقاؤك لربك، و أنه ينكشف لك أنك كنت فى سيرك إليه كالمجتهد فى لقائه ٥ اجتهاد من يسابق فى ذلك آخر، و كل ذلك تمثيل لنفوذ إرادته و مضى أقضيته بسبب الانتهاء إليه، و حقيقته تلاقى جزاءه[2] وينكشف[2] لك من عظيم أمره [ما -[3]] ينكشف للملاقى مع من[4] يلقاه بسبب اللقاء، و هذا أمر أنت ساع فيه غاية السعى لأن من كان الليل و النهار مطيتيه أوصلاه بلاشك إلى منتهى سفره شاء أو أبى، فذكر هذا على هذا النمط حث ١٠ على الاجتهاد فى الإحسان فى العمل لأن من أيقن بأنه[5] لابد له[6] من العرض على الملك أفرغ جهده فى العمل بما[7] يحمده عليه عند لقائه.

و لما كان من المعلوم أن عبيد الملك إذا عرضوا [عليه -[8]]، كان فيهم المقبول و المردود، بسبب أن كدحهم تارة يكون حسنا و تارة يكون سيئا، قال معرفا أن [الأمر -[8]] فى لقائه كذلك [على ما نمهد -[9]]، ١٥ فمن كان مقبولا أعطى كتاب حسناته بيمينه لأنه كان فى الدنيا من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: ثم ينكشف (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: على ما (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ.

أهل اليمين أى الدين المرضى[1]، و من كان مردودا اعطى كتابه بشماله لأنه كان فى الدنيا مع أهل الشمال و هو الدين الباطل الذى يعمل من غير إذن المالك[2]، فكأنه يفعل من ورائه، فترجم هذا الغرض بقوله سبحانه و تعالى مفصلا [للانسان ـ[3]] المراد به الجنس جامعا للضمير بعد أن أفرده

٥ تنصيصا على حشر كل فرد: ﴿ فاما من اوتى ﴾ بناه للفعول إشارة إلى أن أمور الآخرة كلها قهر و فى غاية السهولة عليه سبحانه و تعالى، و فى هذه الدار للأمر و إن كان كذلك[4] إلا أن الفرق فى[4] انكشاف ستر الأسباب هناك فلا دعوى لأحد ﴿ كتٰبه ﴾ أى صحيفة حسابه التى كتبتها[5] الملائكة[6] و هو لايدرى و لا يشعر[6] ﴿ بيمينه ﴾ من امامه و هو المؤمن

١٠ المطيع ﴿ فسوف يحاسب ﴾ أى يقع حسابه بوعد لاخلف فيه و إن طال الأمد لإظهار الجبروت و الكبرياء و القهر ﴿ حسابا يسيرا ﴾ أى سهلا لايناقش فيه لأنه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخالفة إلا ذهولا، / فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها و يعفو عن سيئها. ‏/ ٧٠٧ /

و لما كان هذا دالا على العفو، أتبعه ما يدل على الإكرام فقال:

١٥ ﴿ و ينقلب ﴾ أى يرجع من نفسه من غير مزعج رغبة و قبول ﴿ الى[7] اهله ﴾ أى الذين أهله الله بهم فى[7] الجنة فيكون أعرف بهم و بمنزله

---

(١) فى ظ : المرتضى (٢) من ظ و م، و فى الأصل : الملك (٣) زيد من م.
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل : انها (٥) زيد فى الاصل : عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل و ظ : إلى.

الذى أعد له منه بمنزله فى الدنيا . و لما كانت السعادة فى حصول السرور من غير قيد، بنى للفعول قوله: ﴿مسرورا[١]ه﴾ [أى -[١]] قد أوتى جنة و حريرا، فانه كان فى الدنيا فى أهله مشفقا من العرض على الله مغموما[٢] مضرورا يحاسب نفسه بكرة و عشيا حسابا عسيرا مع ما هو [فيه -[٣]] من نكد الأهل و ضيق العيش و شرور المخالفين[٤]، فذكر هنا الثمرة و المسبب ٥ لأنها المقصودة[٥] بالذات، و فى الشق الآخر السبب و الأصل، و قد استشكلت الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هذه الآية بما روى عنها فى الصحيح[٦] بلفظين أحدهما «ليس احد يحاسب إلا هلك»، و الثانى «من نوقش الحساب عذب» قالت عائشة رضى الله عنها: فقلت: يا رسول الله! أليس الله يقول "فاما من أوتى كتابه"- الآية، فقال صلى الله عليه ١٠ و سلم: إنما ذلك العرض. فان كان اللفظ الأول هو الذى سمعته فالإشكال فيه واضح، و ذلك أنه يرجع إلى كلية موجبة هى «كل من حوسب هلك»، و الآية ترجع إلى جزئية سالبة و هى «بعض من يحاسب لايهلك»، وهو نقيض، و حينئذ يكون اللفظ الثانى من تصرف الرواة، و إن كان الثانى هو الذى سمعته فطريق تقرير الإشكال فيه أن يقال: ١٥ المناقشة فى اللغة من الاستقصاء و هو بلوغ الغاية، و ذلك فى الحساب

---

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل: مطرودا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل و ظ: المخالطين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المقصود.

(٦) راجع ٢ / ٧٣٦.

بذكر الجليل و الحقير و المجازاة عليه، فرجع الأمر أيضا إلى كلية موجبة هى «كل من حوسب بجميع أعماله عذب» و ذلك شامل لكل حساب سواء كان يسيرا أو[1] لا، لأن الأعم يشمل جميع أخصّياته، و الآية مثبتة أن من أعطى كتابه بيمينه يحاسب عليه و لا يهلك، و الصديقة

٥ رضى الله عنها عالمة بأن الكتاب يثبت فيه جميع الأعمال من قوله تعالى "لا يغادر صغيرة و لا كبيرة الا أحصاها" و من حديث الحافظين و غير ذلك، فرجع الأمر إلى ان بعض من يحاسب بجميع أعماله لا يهلك، و حينئذ فالظاهر التعارض فسألت، فأقرها صلى الله عليه و سلم على الإشكال و أجابها بما حاصله أن المراد بالحساب فى الحديث مدلوله المطابق،

١٠ وهو ذكر الأعمال [كلها -[2]] و المقابلة على كل منها، و ذلك هو معنى المناقشة، فمعنى «من نوقش الحساب» من حوسب حسابا حقيقيا بذكر جميع أعماله و المقابلة على كل منها، و أن المراد بالحساب فى الآية جزء المعنى المطابق / و هو ذكر الأعمال فقط من غير مقابلة، و ذلك بدلالة ٧٠٨ / التضمن مجازا مرسلا لأنه إطلاق اسم الكل على الجزء، و لأجل هذا

١٥ كانت الصديقة رضى الله تعالى عنها تقول بعد هذا فى تفسير الآية: يقرر بذنوبه ثم يتجاوز عنها - كما نقله عنها أبو حيان[3]، و على ذلك دل قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الشيخان[4] عن ابن عمر رضى الله عنهما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ام (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع البحر المحيط ٨/٤٤٦ (٤) راجع صحيح البخارى ١/٣٣٠ و صحيح مسلم ٢/٣٦٠.

ان

« ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة فيضع كنفه عليه و يستره ثم يقول له: أتعرف ذنب كذا - حتى يذكره[1] بذنوبه كلها و يرى فى نفسه أنه قد هلك، قال الرب سبحانه: سترتها عليك فى الدنيا، و انا أغفرها لك اليوم » و لفظ "كنفه" يدل على ذلك فان كنف الطائر جناحه، و هو إذا وقع [2]فرخه فى[2] كنفه عامله[3] بغاية اللطف، فالله تعالى أرحم و ألطف ٥
﴿ و اما من اوتى ﴾ أى بغاية السهولة و إن أبى هو ذلك ﴿ كتٰبه ﴾ أى صحيفة حسابه[4] ﴿ وراء ظهره ۙ ﴾ أى فى شماله إيتاء مستغرقا لجميع جهة الوراء التى هى [علم -[5]] السوء لأنه كان يعمل ما لم يأذن به الله، فكأنه عمل من ورائه مما يظن أنه يخفى عليه سبحانه، فكان حقيقا بأن تغل يمينه إلى عنقه، و تكون شماله [إلى -[6]] وراء ظهره، و يوضع كتابه فيها، ١٠ و هذا احتباك: ذكر اليمين أولا يدل على الشمال ثانيا، و ذكر الوراء [ثانيا -[5]] يدل على الأمام أولا، و سر ذلك أنه ذكر دليل المودة و الرفق بالمصالحة و نحوها فى السعيد، و دليل الغدر و الاغتيال فى الشقى ﴿ فسوف يدعوا ﴾ أى بوعد [7]لا محالة فى[7] وقوعه أبدا[8] ﴿ ثبورا ۙ ﴾ أى حسرة و ندما بنحو قوله: واثبوراه، و هو الهلاك الجامع لأنواع ١٥ المكاره كلها لأن أعماله فى الدنيا كانت أعمال الهالكين.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يعرفه (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى خرفه (٣) زيد فى الأصل و ظ: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اعماله (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من م. (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨) سقط من ظ و م.

و لما كان ذلك لايكون إلا لبلاء كبير ، أتبعه ما يمكن ان يكون علة له فقال : ﴿ و يصلى[1] سعيرا ۝﴾ أى و يغمس فى النار التى هى فى غاية الاتقاد و يقاسى حرها و هى عاطفة عليه و محيطة به لأنه كان تابعا لشهواته التى هى محفوفة بها فأوصلته إليها و أحاطت به .

٥ و لما ذكر هذا العذاب الذى لايطاق ، أتبعه سببه ترهيبا منه و استعطافا إلى التوبه و تحذيرا من السرور فى دار الحزن ، فقال مؤكدا تنبيها على أنه لاينبغى أن يصدق أن عاقلا يثبت[1] له سرور فى الدنيا : ﴿ انه كان ﴾ اى بما هو له كالجبلة و الطبع ﴿ فىٓ اهله ﴾ أى[2] فى دار العمل ﴿ مسرورا ۝﴾ أى ثابتا له السرور بطرا بالمال و الجاه فرحا به مخلدا إليه مترفا[3] مع

١٠ الفراغ [4]و الفرار[4] عن ذكر حساب الآخرة كما قال فى التى قبلها " و اذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين " ، لايحزن أحدهم لذنب عمله[5] و لالقبيح ارتكبه ، بل يسر بكونه / يأتى له ذلك فهو يحاسب فى الآخرة حسابا عسيرا[6]، و ينقلب إلى أعدائه مغموما كسيرا ، و قد بان [أن -[8]] الكلام من الاحتباك : ذكر الحساب اليسير الذى هو الثمرة و المسبب

١٥ أولا يدل على حذف ضده ثانيا ، و ذكر السرور فى الأهل الذى هو السبب [فى -[9]] الثانى يدل على حذف ضده و هو سبب السعادة و هو

---

(١) فى ظ : ثبت (٢) سقط من م (٣) من م ، و فى الاصل و ظ : مترفها .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لعمله
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يسيرا (٧) زيد فى الأصل : اهله مسرورا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م .

الغم و محاسبة النفس فى الأول، فهو احتباك فى[1] احتباك، ثم علل ثبات
سروره فقال [مؤكدا -[2]] تنبيها أيضا على أنه لايصدق أن أحدا ينكر
البعث مع ما له من الدلائل التى تفوت الحصر: ﴿ انه ظن ﴾ لضعف
نظره ﴿ان﴾ أى أنه[3] ﴿ لن يحور ۚ﴾ أى يرجع إلى ربه أو ينقص
أو يهلك "وقالوا ما هى الاحياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا ٥
الا الدهر" فلهذا كان يعمل عمل من لا يخاف عاقبة[4] ﴿بلى ۚ﴾ ليرجعن
صاغرا ناقصا هالكا، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل من ينكر:
﴿ان ربه﴾ أى الذى ابتدأ إنشاءه و رباه ﴿ كان﴾ أزلا و أبدا ﴿به﴾
اى هذا الشق فى إعادته كما كان فى ابتدائه و [فى -[6]] جميع أعماله
و أحواله التى لا يجوز فى عدل عادل ترك الحساب عليها ﴿بصيرا ۗ﴾ ١٠
أى ناظرا له و عالما به[7] أبلغ نظر و[8] أكمل علم، فتركه مهملا مع العلم
بأعماله مناف للحكمة و العدل و الملك، فهو شىء لايمكن فى[9] العقل بوجه.

و لما أخبر سبحانه بانكاره لما أتاه به الرسل من الحشر على وجه
موضح للدليل على بطلان إنكاره و لم يرجع، سبب عنه الإقسام على
صحة ذلك لأنه ليس عند النذير الناصح الشفوق بعد إقامة [10]الأدلة إلا[10] ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: ان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: العواقب (٥) زيد فى الأصل وظ «اى»، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) زيد من م (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ: ابلغ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٩) من ظ، و فى الأصل و م: من.
(١٠-١٠) من ظ و م، و فى الأصل: ولدليل لا.

الايمان على صحة ما قال نظرا منه للنصوح و شفقة عليه ، و كان ترك الحلف على ما هو ظاهر أبلغ من الحلف لما فى ذلك الترك من تنبيه المخاطب على النظر و التأمل فقال: ﴿ فلا اقسم ﴾ اى أحلف حلفا عظيما هو كقاموس البحر بهذه الأمور التى سأذكرها لما لها من الدلالة على القدرة
٥ على الإبداء و الإعادة، [1] لا أقسم بها و إن كانت فى غاية العظم[2] بما لها من الدلالات الواضحة لأن المقسم عليه أجل منها و أظهر فهو غنى عن الإقسام ﴿ بالشفق ۙ﴾ اى الضياء الذى يكون فى المغرب عقب غروب الشمس أطباقا حمرة ثم صفرة ثم كدرة إلى بياض ثم سواد، و كذلك الليل اوله بياض بغبرة ثم تتزايد غبرته قليلا قليلا إلى أن يسود مربادا
١٠ فيوسق كل شىء ظلاما. سمى شفقا لرقته و منه الشفقة لرقة القلب ﴿ و الّيل ﴾ أى الذى يغلبه فيذهبه ﴿ و ما وسق ۙ﴾ أى جمع فى بطنه و طرد وساق من ذلك الشفق و من النهار الذى كان قبله و النجوم التى أظهرها و غير ذلك من الغرائب التى تدل على أن موجده بعد أن لم يكن و مذهب ما كان به قادر على الإبداء و الإعادة / و كل ما يريد ٧١٠/
١٥ ﴿ و القمر ﴾ اى الذى هو آيته[3] ﴿ اذا اتسق ۙ﴾ أى انتظم و استوى واجتمع[4] كماله و تم امره ليلة إبداره بعد أن كان قد غاب أصلا ثم بدأ هلالا خفيا ضئيلا دقيقا و لم يزل يزداد حتى يتم ثم ينقص إلى أن يخفى

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : آية ثانية (٤) من ظ ، و فى الأصل و م : اجمع .

ثم يعود إلى حاله دليلا أظهر من الشمس على قدرة موجده كذلك على كل أمر من الإبداء و الإعادة.

و لما كانت هذه الأمور عظيمة جدا لايقدر عليها إلا الله تعالى[1] و لها من المنافع ما [لا -[2]] يعلمه حق علمه إلا هو سبحانه و تعالى، و كل منها مع ذلك دال على [تمام -[2]] قدرته تعالى على الذى يراد تقريره ٥ فى العقول و إيضاحه من القدرة التامة على إعادة الشيء كما كان سواء، و نفى الإقسام بها دليلا[3] على أن ذلك فى غاية الظهور، فالأمر فيه غنى عن الإقسام، قال فى موضع جواب القسم مقرونا باللام الدالة على القسم ذاكرا ما هو فى الظهور و البداهة بحيث لايحتاج إلى تنبيه عليه بغير ذكره[4] : ﴿ لتركبن ﴾ أى أيها المكلفون - هذا على قراءة الجماعة ١٠ بضم الباء دلالة على حذف [واو -[5]] الجمع، و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى بفتحها على أن الخطاب للانسان باعتبار اللفظ ﴿طبقا﴾ مجاوزا ﴿عن طبق ط﴾ أى حالا بعد حال من أطوار الحياة و أدوار العيش و غمرات الموت ثم [من -[5]] أمور البرزخ و شؤن البعث و دواهى الحشر بدليل[6] ما كان لكم قبل ذلك[7] سواء بتلك القدرة التى كونت تلك ١٥ الكوائن[8] و أوجدت تلك العجائب سواء، فتكونون فى تمكن الوجود فى

(١) زيد فى الأصل : بها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دليل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : تلك (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الاكوان .

كل طبق بحال التمكن على الشيء بالركوب، و كل [حال ـ[١]] منها مطابق للآخر فى ذلك فان الطبق ما يطابق غيره، و منه قيل للغطاء: طبق ـ لمطابقته المغطى، و الطبق كل ما ساوى شيئا و وجه الأرض و القرن من الزمان أو عشرون سنة، و كلها واضح الإرادة هنا و هو بديهى الكون، ٥ فأول أطباق الإنسان جنين، ثم وليد، ثم رضيع، ثم فطيم، ثم يافع، ثم رجل، ثم شاب[٢]، ثم كهل، ثم شيخ، ثم ميت، [٣]و بعده[٣] نشر ثم حشر ثم حساب ثم وزن ثم صراط ثم مقرّ، و مثل هذه الأطباق المحسوسة أطباق معنوية من الفضائل و الرذائل.

و لما ظهر المراد و لم يبق إلا العناد، سبب عن ذلك الإنكار ١٠ عليهم و التوبيخ و التقريع و التهديد، فقال معرضا عن خطابهم إلى الغيبة إيذانا باستحقاقهم[٤] للأخذ إن [لم ـ[١]] يرجعوا: ﴿فما لهم﴾ أى و أىّ شيء لهؤلاء الذين أنزلنا عليهم هذا الكتاب المعجز فى أنهم ﴿لايؤمنون ﴾ أى يوقعون[٥] الإيمان و يجددونه كل وقت على الاستمرار بكل ما دعا إليه هذا الكتاب الذى خصهم به ملك الملوك[٦] و قد وضحت الدلائل ١٥ و قامت البراهين لا سيما دلائل القيامة هل[٧] هى إلا واحدة من هذه الأطباق المنتقل إليها لأن من كان اليوم على حالة و غدا على أخرى جدير

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: ثم بالغ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لا تحقاقهم (٥) من ظ و م. و فى الأصل: لا يوقعون (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الموت (٧) من م، و فى الأصل و ظ: بل.

/ بأن يعلم أن تدبيره إلى سواه، و من لم يعلم ذلك فليس لجنونه دواء، و من علم أن تدبيره [إلى سواه علم أن المشيئة فى التدبير -[1]] إليه لا إلى نفسه، و قيل لأبى بكر الوراق: ما الدليل على الصانع؟ قال: تحويل الحالات و عجز القوة وضعف الأركان و قهر المشيئة، و فسخ العزيمة. ﴿و اذا قرئ﴾ أى من أىّ قارئ كان ﴿عليهم القرآن﴾ أى ٥ الجامع لكل ما ينفعهم فى دنياهم و أخراهم الفارق بين كل ملتبس [2]من الحرام و الحلال و غير ذلك[2] ﴿لا يسجدون﴾ أى يخضعون[3] بالقلب و يتذللون للحق بالسجود اللغوى فيسجدون بالقالب السجود الشرعى لتلاوته لأنه ملك الكلام، قد أبان[4] عن معارف لا تحصر، مع الشهادة لنفسه باعجازه أنه من عند الله، ليس لهم فى ذلك عذر إلا الجهل أو العجز، ١٠ و لا جهل مع القرآن و لا عجز مع القوة و الاختيار.

و لما كان هذا استفهاما إنكاريا معناه النفى، فكان التقدير: إنهم [لا -[5]] يؤمنون و لاعذر لهم فى ذلك أصلا، أضرب عنه بقوله: ﴿ بل ﴾ و وضع الظاهر موضع [6]المضمر تعميما[6] و تنبيها على الوصف الذى حملهم على التكذيب فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا مرائى ١٥ عقولهم الدالة على الحق ﴿ يكذبون ﴾ أى بالقرآن و بما دل عليه من

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا يخضعون (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بان (٥) زيد من م.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الضمير لفهيما.

حقائق العرفان المعلية[1] إلى اوج الإيمان بالواحد الديان ﴿ و الله ﴾ اى و الحال أن الملك المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ اعلم ﴾ أى منهم أنفسهم ﴿ بما يوعون ﴾ أى يضعون فى أوعية صدورهم من الكفر و العداوة بسبب الشهوات الشاغلة لهم [2]و هى حب الرئاسة و ادعاء

٥ الولاهية الشاغلة لهم[2] عن التدبر[3] لهذا القرآن و عن شواهد الموجودات .

و لما كان هذا موجبا لشديد الإنذار ، وضع موضعه تهكما[4] بهم و إعلاما بأن الغضب قد بلغ منتهاه قوله : ﴿ فبشرهم ﴾ أى أخبرهم [5]يا أفضل الخلق و أكملهم و أعدلهم[5] خبرا يغير ابشارهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ أى

١٠ شديد الألم لشدة إيلامه ، إن كان لهم يوما من الأيام بشارة فهى هذه .

و لما أخبر عنهم بهذا الهوان ، و كان قد عبر عنهم بأدنى الأسنان إشارة إلى أن منهم من يقبل الإيمان ، استثنى منهم فقال : ﴿ الا الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ و عملوا ﴾ دلالة على [6]صدق إيمانهم[6] ﴿ الصلحت ﴾ .

و لما تقدم أن من حوسب عذب ، و أن الناجى إنما يكون حسابه

١٥ عرضا ، علم أنه ليس للأعمال دخل فى الحقيقة فى الأجر ، و إنما المدار كما قال النبى صلى الله عليه و سلم على التغمد بالرحمة حتى فى تسمية النعيم أجرا ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : العلية (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : التدبير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : متهمكا (٥) زيد فى الاصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : صدقهم .

أسقط

أسقط الفاء المؤذنة بالسبب تنبيها على ذلك بخلاف ما فى سورة التين لما يأتى من اقتضاء سياقها للفاء فقال : ﴿ لهم اجر ﴾ أى عظيم [1]و ثواب جزيل يعلمه الله تعالى و هو التجاوز عن صغائرهم و سترها[1] ﴿غير ممنون ع﴾ أى مقطوع أو منقوص أو يمتن عليهم به فى الدنيا و الآخرة / يؤتون ذلك / ٧١٢ فى يوم الدين يوم تنشق السماء و تمد الارض و يثوب الكفار ما كانوا ٥ يفعلون، فقد رجع آخرها على أولها، و اعتلق[3] مفصلها حق الاعتلاق بموصلها ٠

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) فى الأصول : يوون ـ كذا .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اعتنق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الاعتناق.

سورة البروج[1]

مقصودها الدلالة على القدرة على مقصود الانشقاق الذى هو صريح آخرها من تنعيم الولى و تعذيب الشقى بمن عذبه[2] فى الدنيا ممن لا يمكن فى العادة أن يكون عذابه ذلك إلا من الله وحده تسلية لقلوب المؤمنين
٥ و تثبيتا[3] لهم على اذى الكافرين[4] ، و على ذلك دل اسمها البروج بتأمل القسم و المقسم عليه و ما هدى ذلك السياق إليه[5] ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الخلائق عدلا و حلما ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أولياءه باتمام النعمة عليهم عينا كما أظهره رسما .

١٠ لما ختم تلك بثواب المؤمن و عقاب الكافر و الاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضمر الأعداء من المكر و ما يرومون من الأنكاد للأولياء و توعدهم بما لا يطيقون ، و كانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب و اجتهدوا فى فتنة من قدروا عليه منهم ، و بالغوا فى التضييق عليهم حتى ألجاؤهم إلى شعب أبى طالب و غيره من البروج فى
١٥ البلاد ، و مفارقة الأهل و الأولاد ، ابتدأ هذه بما أوقع[6] بأهل الجبروت

(١) الخامسة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٢٢ .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عذابه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تنبيها .
(٤) فى ظ وم : الكفار (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : عليه (٦) فى ظ : أوقعه

ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعا ، و معلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف فى النار ، و أن أهل الإيمان ثبتوا ، و ذلك لتسلية المؤمنين و تثبيتهم ، و توعيد الكافرين و توهيتهم و تفتيتهم ، فقال مقسما لأجل إنكارهم و فعلهم[1] فى التمادى فى عداوة حزب الله فعل المنكر أن الله ينتقم لهم[2] بما يدل على تمام القدرة على ٥ القيامة : ﴿ و السمآء ﴾ اى العالية غاية العلو المحكمة غاية الإحكام[3] ﴿ ذات البروج ۝ ﴾ أى المنازل[4] للكواكب السيارة التى ركبها الله تعالى على أوضاع[5] جعل فى بعضها[6] قوة التسبب الابداء و الإعادة بالإنبات[7] و فى بعضها قوة التربية كذلك ، و فى الأخرى قوة الاستحصاد بأسباب خفية أقامها سبحانه لا ترونها ، غير أنكم لكثرة ألفكم لذلك صرتم يدركون منه ١٠ بالتجارب أمورا تدلكم على تمام القدرة ، فنسبها بعضكم إلى الطبيعة لقصور النظر فى أسباب الأسباب و كلال الفكر عن النفوذ إلى نهاية ما تصل إليه الألباب ، فاستبدل بالشكر الكفر ، و استدل / بالآيات على ضد ما تدل[8] عليه لجمود الذهن و انعكاس الفكر ، و المراد بها المنازل الاثنا عشر[9]:

(١) زيد فى الأصل : و غفلتهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ينتعم (٣) زيد فى الأصل : و هى . ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : للبروج ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الاوضاع (٦) العبارة من هنا إلى « التربية » ساقطة من ظ (٧) من م ، و فى الأصل : و هى للانبات (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : دات (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : اثنى عشر .

الحمل - و الثور ـ و الجوزاء ـ و السرطان - و الأسد ـ و السنبلة ـ و الميزان ـ
و العقرب ـ و القوس ـ و الجدى ـ و الدلو ـ و الحوت ، و هى التى
تقطعها الشمس [فى السنة ـ [1]] ، أو هى الثمانية و العشرون التى يقطعها
القمر فى الشهر ، و هى[2] منازل الشمس هذه الاثنا عشر[3] بسير القمر فى
٥ كل واحد منها يومين و ثلثا ، فذلك ثمانية و عشرون [يوما ـ [4]]
و يستسر[5] ليلتين ، فذلك شهر ، و هو إشارة الى أن الذى فصل السماء هذا
التفصيل و سخر فيها هذه الكواكب لمصالح الإنسان لايتركه سدى ، بل
لابد من دينونته على ما يفعله من خير و شر ، شبهت بالقصور لأنها
تنزلها السيارة و تكون فيها الثوابت و عظام الكواكب ، سميت بروجا
١٠ لظهورها ، أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها ، و أصل
التركيب للظهور .

و لما كانت هذه الجملة من القسم دالة على البعث قال تصريحا :
﴿ و اليوم الموعود لا ﴾ أى يوم القيامة الذى تحقق [6] الوعد به[6] و ثبت
ثبوتا لابد منه بما دل عليه من قدرتنا فى مخلوقاتنا و أنا سببنا له أسبابا
١٥ هى عتيدة لديكم[7] و أنتم لاترونها و لا تحسون شيئا منها و لم تبينها لكم
الرسل لقصور عقولكم عنها بأكثر من الدلالة بالأسباب التى ألفتموها

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : التى هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اثنى عشر (٤) زيد من م .
(٥) من م ، وفى الأصل و ظ : يستتر (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : به
الوعد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لكم .

على

على مثلها من غير فرق غير أنه و إن كان العقل لايستقل به و لايفقه[1] منه غير السماع للوعد به من الرسل فهو لايحيله بعد سماعه .

و لما كان الجمع لأجل العرض، و كان العرض لابد فيه من شهود و مشهود عليهم و جدال على عهود، قال منكّرا للابهام للتعظيم و التعميم مثل "علمت نفس ما احضرت": ﴿ و شاهدٍ ﴾ اى كريم من الأولياء ٥ ﴿ومشهودٍ ﴾ أى فى نفسه من الأعيان و الآثار الهائلة ، أو عليه فانه [يوم -[2]] تشهده جميع الخلائق ، و يحضر فيه من العجائب أمور يكل عنها الوصف ، و يحضره الأنبياء الشاهدون و أممهم المشهود عليهم، و لا تبقى صغيرة من الأعمال و لا كبيرة إلا أحصيت ، و فى ذلك أشد وعيد لجميع العبيد . ١٠

و لما كان جواب القسم [على -[3]] ما دل عليه مقصود السورة و سوابقها و لواحقها: لتثوبن الفريقين الأولياء و الأعداء ، و لتدينن كلا بما عمل ، دل عليه بأفعاله[4] فى الدنيا ببعض الجبارة فيما مضى، و فيما يفعل بجبارة من كذب النبى صلى الله عليه و سلم ، فقال بادئا بمن عذب بعذاب الله فى القيامة للبداءة فى آخر الانشقاق بقسم المكذبين و هم ١٥ المحدث عنهم، معبرا بما يصلح للدعاء و الحقيقة تسلية للمؤمنين و تثبيتا لهم بما وقع لأمثالهم، و تحذيرا مما كان لأشكالهم: ﴿ قتل ﴾ أى لعن بأيسر أمر

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لايفقد (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بامثاله .

و أسهله من كل لاعن لعنا لا فلاح معـــه، و وقع فى الدنيـا أنه قتل حقيقة / ﴿ اصحٰب الاخدود ﴾ أى الخد العظيم، و هو الشق المستطيل فى الأرض كالنهر، روى[1] أن ملكا من الـكفار - و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان من حمير - من ملوك اليمن، و كان قبل مولد ٥ النبى صلى الله عليه و سلم بسبعين سنة، آمن فى زمانه ناس كثير، فخذ لهم أخدودا فى الأرض و سجره نارا و عرض من آمن عليه، فمن رجع عن دينه تركه، و من ثبت - و هم الأغلب - قذفه فى ذلك الأخدود فأحرقه.

/٧١٤

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وردت هذه السورة فى معرض الالتفات و العدول إلى إخبار نبى الله صلى الله عليه و سلم بما تضمنته هذه ١٠ السورة من قصة أصحاب الأخدود، و [قد - [4]] تقدم هذا الضرب فى سورة المجادلة و سورة النبأ، و بينا وقوعه فى أنفس السور و متونها و هو أقرب فيما بين السورتين و أوضح - انتهى.

و لما ذمهم سبحانه و تعالى، بين [وجه - [4]] ذمهم ببدل اشتمال من اخدودهم فقال: ﴿ النار ﴾ أى العظيمة التى صنعوها لعذاب أوليائنا، ١٥ و زاد فى تعظيمها بقوله: ﴿ ذات الوقود ﴾ أى الشيء الذى[5] توقد به من كل ما يصلح لذلك من الحطب و غيره، و علق بـ «قتل» قوله: ﴿اذ هم﴾ أى بظواهرهم و ضمائرهم ﴿ عليها ﴾ أى على جوانب أخدودها

---

(١) راجع المعالم ٧/١٩١ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: اقبل (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م. (٥) من م، و فى الأصل و ظ: التى.

﴿ قعود ﴾ أى يحفظونها و يفعلون بما[١] يأمرهم ملكهم فى امرها من إلقاء الناس و غيره فعل القاعد المطمئن الذى ليس له شغل غيرها ﴿ وهم على ما يفعلون ﴾ أى خاصة بقوة دواعيهم إلى فعله و رغبتهم فيه من الفتنة بالعرض على النار و غيره مكررين ذلك الفعل ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان الذى[٢] لم يثنهم العذاب عنه ﴿ شهود ﴾ ٥
أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنه لم يقصر فيما أمره[٣] به و يشهدون يوم القيامة بما تشهد[٤] به عليهم ايديهم و أرجلهم على أنفسهم بهذا الظلم، و يشهد بعضهم على بعض [٥]و يعادى بعضهم بعضا[٥]، و يحيل كل على الآخر طمعا فى النجاة .

و لما كان هذا الفعل العظيم لا يكون من عاقل إلا لسبب[٦] يليق ١٠
به، بين أنه إنما هو لسبب يبعد منه ، فقال على طريقة[٧] :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب :

﴿ وما نقموا ﴾ أى أنكروا و كرهوا ﴿ منهم ﴾ من الحالات و كان دينا لهم و نقصا فيهم ﴿ الآ ان يؤمنوا ﴾ أى يجددوا الإيمان مستمرين عليه ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال . ١٥

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : بما (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الذين .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : امر الله (٤) من ظ وم ، و فى الأصل : شهد.
(٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عند الملك (٦) من م ، و فى الأصل وظ : سبب (٧) زيد بعده فى الأصل : الاعجاب ولا عجيب فيهم غير ان سبق فيهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لما كان ربما أوهم ترك معالجته سبحانه لهم لكونهم يعذبون من آمن به لأجل الإيمان به ما [لا ـ [1]] يليق ، نفى ذلك بقوله واصفا له بما يحقق وجوب العبادة له و تفرده بها : ﴿العزيز﴾ أى الذى يغلب من أراد و لا يغلبه شىء ، فلا يظن إمكانه من أهل ولايته لعجز ، بل هو
٥ يبتليهم ليعظم [2] أجورهم و يعظم عقاب أعدائهم و يعظم الانتقام منهم ﴿الحميد ۙ﴾ أى المحيط بجميع / صفات الكمال ، فهو يثيب من أصيب فيه / ٧١٥
أعظم ثواب ، و ينتقم ممن آذاه بأشد العذاب ، و قرر ذلك بقوله : ﴿الذى له﴾ أى خاصة [3] ﴿ملك السمٰوٰت و الارض ؕ﴾ أى على جهة العموم مطلقا ، فكل ما فيهما جدير بأن يعبده وحده و لا يشرك به شيئا .
١٠ و لما قدم سبحانه التحذير بالشاهد و المشهود ، و ان الكافرين شهود على أنفسهم ، زاد فى التحذير بأنه سبحانه [أعظم ـ [1]] شهيد فى ذلك اليوم و غيره [4] فهو لا [4] يحتاج إلى غيره ، و لكنه أجرى ذلك على ما نتعارفه [5] فقال : ﴿و الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة ﴿على كل شىء﴾ [أى ـ [1]] هذا الفعل و غيره ﴿شهيد ؕ﴾ أى أتم
١٥ شهادة لا يغيب عنه شىء أصلا . و لا يكون شىء و لا يبقى الا بتدبيره ، و من هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلا ، بل لا بد أن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : نعظم (٣) زيد فى الأصل : لا شريك له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يتعارف .

ينتقم لهم من أعدائه و يعليهم بعلائه . و لذلك قال مستأنفا جوابا لمن يقول: فما[1] فعل بهم؟ مؤكدا لإنكار الكفار ذلك: ﴿ان الذين فتنوا﴾ أى خالطوا من الأذى بما لا تحتمله القوى فلا بد أن يميل[2] أو يحيل فى أى زمان كان و من أى قوم كانوا ﴿المؤمنين و المؤمنٰت﴾ أى ذوى الرسوخ فى وصف الإيمان . ٥

و لما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة [3]و لو[3] طال الزمان ، عبر بأداة التراخى فقال: ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أى عن ذنوبهم و كفرهم . و لما كان سبحانه لا يعذب أحدا إلا بسبب ، سبب عن ذنبهم و عدم توبتهم قوله : ﴿فلهم﴾ أى خاصة لأجل كفرهم ﴿عذاب جهنم﴾ أى الطبقة التى تلقى داخلها بغاية الكراهة و التجهم ، هذا فى الآخرة ﴿و لهم﴾ أى مع ١٠ ذلك فى الدارين لأجل فتنتهم لأولياء الله ﴿عذاب الحريق ﴿١٠﴾﴾ اى العذاب الذى من شأنه المبالغة فى الإحراق بما أحرقوا من قلوب الأولياء ، و قد صدق سبحانه قوله هذا فيمن كذب النبى صلى الله عليه و سلم باهلاكهم شر إهلاك[4] مغلوبين مقهورين مع أنهم كانوا قاطعين بأنهم غالبون[5] كما فعل بمن كان قبلهم ، فدل ذلك على أنه على كل شىء قدير ، فدل[6] ١٥ على أنه يبدئ و يعيد .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يهل . (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلو (٤) زيد فى الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل وظ : غافلون (٦) من م ، و فى الأصل وظ : ودل .

و لما ذكر عقاب المعاندين بادئا به لأن المقام له، أتبعه ثواب العابدين، فقال مؤكدا لما لأعدائهم من إنكار ذلك: ﴿ ان الذين 'امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان و لو على أدنى الوجوه من المقذوفين فى النار و غيرهم من كل طائفة فى كل زمان[1] ﴿ و عملوا الصّٰلحت ﴾ تصديقا لإيمانهم و تحقيقا ٥ له. و لما كان الله سبحانه من رحمته قد تغمد أولياءه بعنايته و لم يكلهم إلى أعمالهم لم يجعلها سبب سعادتهم فلم يقرن بالفاء قوله: ﴿لهم﴾ أى جزاء [2]مقاساتهم لنيران[2] الدنيا من نار الأخدود الحسية التى ذكرت، و من نيران الغموم و الأحزان المعنوية التى يكون المباشر لأسبابها غيره سبحانه فيكون المقاسى لها مع حفظه للدين[3] كالقابض على الجمر ﴿جنّٰت﴾ ١٠ أى فضلا منه ﴿ تجرى ﴾ و قرب منالها بالجار فقال: ﴿من تحتها﴾ أى[4] تحت غرفها و أسرتها و جميع أماكنها ﴿ الانهرُ ﴾ يتلذذون / ببردها فى نظير ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا و يروقهم النظر إليها مع خضرة الجنان و الوجوه الحسان الجالبة [للسرور الجالية-[5]] للأحزان.

/٧١٦

و لما ذكر هذا الذى يسر النفوس و يذهب البؤس، [فذلكه-[5]] ١٥ بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الامر العالى الدرجة العظيم البركة[6] ﴿ الفوز ﴾

---

(١) زيد فى الأصل و ظ: من الأزمان، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: لمقاساتهم لنار (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالدين (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل و ظ: و هو، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

اى الظفر بجميع المطالب لا غيره ﴿ الكبير ﴾ كبرا لا تفهمون منه أكثر من ذكره بهذا الوصف على سبيل الإجمال ، و ذلك أن من كبره أن هذا الوجود كله يصغر عن أصغر شيء منه .

و لما كان لا يثيب و يعذب على هذا الوجه إلا من كان فى غاية العظمة ، قال معللا لفعله ذلك دالا بذلك التعليل على ما له من العظمة ٥ التى تتقاصر الأفكار دون علياتها ، مؤكدا لما للأعداء من الإنكار : ﴿ ان بطش ربك ﴾ أى أخذ المحسن إليك المدبر لأمرك أعداء الدين بالعنف و[1] السطوة و غاية الشدة[1] ﴿ لشديد ﴾ أى شدة يزيد عنفها على ما فى البطش من العنف المشروط فى تسميته ، فهو عنف مضاعف .

و لما كان هذا البطش لا يتأتى إلا لكامل القدرة ، دل على كمال قدرته ١٠ و اختصاصه بذلك بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار : ﴿ انه ﴾ و زاد التأكيد[2] بمبتدأ آخر ليدل على الاختصاص فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ يبدئ ﴾ أى يوجد ابتداء أى خلق أراد على أى هيئة اراد ﴿ و يعيد ﴾ أى ذلك المخلوق بعد إفنائه فى أى وقت أراده ، و غيره لا يقدر على شيء من ذلك ، و ليس هذا الضمير بفصل لأنه لا يكون إلا و الخبر[3] لا يكون ١٥ إلا[3] معرفة ، أو شبيه بها فى أنه لا يلحقه «أل» المعرفة مثل خير منك ، و أجاز المازنى وقوعه قبل المضارع لمشابهته الاسم و[4] امتناع دخول «أل» عليه

(١ – ١) من ظ و م ، و فى الأصل : الشدة و غاية السطوة (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : التوكيد (٣–٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : أو .

فأشبه المعرفة ، [و ـ ١] قال : و لا يكون قبل الماضى لأن الماضى لا يشبه الاسم ، قال الرضى : و ما قاله دعوى بلا حجة [و ـ ٢] مثل "و مكر أولئك هو يبور" ليس بنص فى كونه فصلا لجواز كونه مبتدأ ما بعده خبره ، و نقض قوله فى الماضى بقوله تعالى "و انه هو اضحك ٥ و ابكى"ـ الآية .

و لما ذكر سبحانه بطشه ، و كان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف ، و إن قدر فربما [لم ـ ٢] يقدر على الإبلاغ[٣] فى ذلك ، و كان لا يقدر على محو الذنوب أعيانها و آثارها عن كل أحد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب و لا عتاب من أحد أصلا إلا من كان قادرا على كل شئ ، ١٠ قال مبينا لجميع ذلك دليلا على أنه الفاعل المختار ، و مؤكدا لخروجه عن العوائد : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الغفور ﴾ أى المحاء[٤] لأعيان الذنوب و آثارها اذا أراد بحيث لا يحصل لمن محا ذنبه كدر من جهة ذلك الذنب أصلا ﴿ الودود ۙ﴾ أى الذى يفعل بمن[٥] أراد فعل المحب الكثير[٦] المحبة فيحبيه[٧] إلى ما شاء و يلقى على صاحب الذنب الذى محاه عنه ودا أى ١٥ محبة كبيرة واسعة و يجعل له فى قلوب[٨] الخلق رحمة ، و مادة « ود » تدور على الاتساع كما بينته فى سورة الروم ، و زاد الأمر / تأكيدا بذكر ما /٧١٧

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ابلاغ .
(٤) من ظ و م ، و فى الاصل : الماحى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الكبير (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فتحبه ـ كذا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : قلب .

لا

لاينازع اصلا فى اختصاصه به تشريفا له [و - [1]] تنبيها على انه اعظم المخلوقات: ﴿ذو العرش﴾ أى العز الأعظم أو السرير الدال على اختصاص الملك بالملك و انفراده بالتدبير و السيادة و السياسة، الذى به قوام الأمور ﴿المجيد﴾ أى الشريف الكريم العظيم فى ذاته و صفاته الحسن الجميل الرفيع العالى الكثير العطاء - هذا إذا رفع على أنه صفة لـ «ذو»، و كذا ٥ إن جر على أنه صفة للعرش فى قراءة حمزة و الكسائى .

و لما كان الاختصاص [2] يدل قطعا [2] على كمال القدرة، أنتج ذكر هذه الاختصاصات قوله: ﴿فعّال﴾ أى على سبيل التكرار و المبالغة ﴿لما يريد﴾ لايؤده شيء من الأفعال سواء كانت منسوبة إليه من غير واسطة [3] أو نسبت [3] فى الظاهر إلى غيره . و لما تمت الدلالة على أن بطشه ١٠ شديد، قرره بما وجد من ذلك و ذكره به تخويفا لقومه و تسلية له لأن النظر فى المحسوسات أمكن فى النفوس فقال: ﴿هل اتٰك﴾ أى يا أعظم خلقنا ﴿حديث الجنود﴾ أى اذكر ما أتاك مما حدث لهم من بطشنا و ما وقع بهم من سطواتنا لتكذيبهم رسلنا عليهم أفضل الصلاة و السلام بحيث صار حديثا يتلى، و ذكرا بين الخلق لعظمته لا يبلى، ١٥ و الجنود جمع جند بالضم و هو العسكر المعد للقتال و الأعوان و المدينة، و الكل ناظر إلى النجدة العظيمة و الغلبة الزائدة .

و لما كان المعلوم من السياق أن المراد من حديثهم ما حصل لهم

---

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: قطعا يدل (٣-٣) من م، و فى الأصل: و انسب، و فى ظ: و نسب .

من البطش لتكذيب الرسل لا سيما فى البعث الذى السياق له ، و كان
الواقع من بيانه بآيات موسى و صالح عليهما الصلاة و السلام ابين مما وقع
بآيات غيرهم ممن تقدم زمنه على هذه الأزمنة[1] ، و كانت أمة كل نبى[2]
من النبيين و أتباع فرعون تحوى أصنافا من الخلق كثيرة ، حتى أن طليعته
٥ يوم تبع بنى إسرايل و غرق كانت ستمائة ألف ، أبدل من "الجنود"
إعلاما بانهم أعداء[3] الله قوله : ﴿ فرعون ﴾ و كذا أتباعه الذين كانوا
أشد أهل زمانهم و أعتاهم و أكثرهم رعونة فى دعوى الإلهية منه
و التصديق منهم [4]و كان هذا من عماوة قلوبهم مع ظهور علامات الربوبية
السماوية و الأرضية[4] ، و الرسوخ[5] فى التكذيب و السفه و الخفة و الطيش
١٠ مع رؤية تلك الآيات العظيمة على كثرتها و طول زمنها حتى دخل البحر
على أمان من الغرق مع أن[6] خطر الغرق به فى تلك الحالة لم يكن يخفى
على من له[7] أدنى مسكة من عقله فأغرقه الله و من معه أجمعين و لم يبق
منهم أحدا ، فلعنة الله عليه و على [4]من كان معه من[4] أتباعه [4]و أتباعهم[4] الطائفة
الا تحادية العربية الفارضية / الذين يكفى فى ظهور[8] كفرهم تصويبهم / ٧١٨
١٥ فرعون الذى اجمع على كفره جميع الفرق ﴿ و ثمود ﴾ الذين[9] حملتهم الخفة

---

(١) فى ظ : الأمة (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : أعد (٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رسوخهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : انه لو (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : ظهورهم (٩) فى ظ و م : التى .

على أن عقروا الناقة بعد رؤيتهم إياها تتكون[1] من الصخرة الصماء غير مجوزين أن الذى خرق العادة باخراجها[2] ذلك يهلكهم فى شأنها، و قد جمع سبحانه بهما بين العرب و العجم و الإهلاك بالماء الذى هو حياة كل شيء و الصيحة التى هى امارة الساعة، و إنما كانت آياتها[3] أبين لأن آية ثمود ناقة خرجت من صخرة صماء، و من آيات موسى عليه الصلاة ٥ و السلام إبداع القمل الذى لايحصى كثرة من الكثبان، و إبداع الضفادع كذلك و الجراد وإحياء العصا مرة بعد أخرى، و لاشك عند عاقل أن من قدر على ذلك ابتداء من شيء لا أصل له فى الحياة فهو[4] على إعادة ما كان قبل ذلك حيا أشد قدرة.

و لما كان التقدير: نعم [قد -[5]] أتانى ذلك و علمت من خبرهما ١٠ و غيره أنك قادر على ما تريد، و لكن [الكفار -[6]] لايصدقوننى، عطف عليه قوله: ﴿ بل الذين كفروا ﴾ أى جاهروا بالكفر من هؤلاء القوم و غيرهم و إن كانوا فى أدنى رتبة ﴿ فى تكذيب لا ﴾ أى لما رأوا من الآيات لامستند لهم فيه وهو شديد محيط بهم لاتباعهم أهواءهم و تقليدهم آباءهم، فهم لايقدرون على الخروج من ذلك التكذيب الذى صار ظرفا ١٥ لهم بعد سماعهم لأخبار هؤلاء المهلكين و رؤية بعض آثارهم، و بعد ما أقمت لهم من الأدلة على البعث فى هذا القرآن المعجز، و لم يعتبروا

(١) من ظ وم، و فى الأصل: فتكون (٢) زيد فى ظ: من (٣) من ظ وم، و فى الأصل: آيتها (٤) من ظ، و فى الأصل: هو قادر، و فى م: هو. (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ و م.

بشيء من ذلك لما عندهم من داء الحسد، فحالهم اعجب من حالهم لحذرهم[1] مثل مآلهم .

و لما كان هذا ربما أوهم ان تكذيبهم على غير مراده سبحانه و تعالى، قال دافعا لذلك مؤكدا [قدرته - [2]] على أخذهم تحذيرا لهم و تسلية[3] لمن كذبوه : ﴿و الله﴾ أي و الحال أن الملك الذى اختص بالجلال والإكرام ﴿من ورآئهم﴾ أى من كل جهة يوارونها أو تواريهم، و ذلك كل جهة ﴿محيط[4]﴾ [فهو محيط -[4]] بهم من كل جهة بعلمه و قدرته، فهو كناية عن أنهم فى قبضته[5] لايفوتونه بوجه كما أنه لايفوت من صار فى القبضة باحاطة العدو به من غير مانع، فهو سبحانه قادر على أن يحل بهم ما أحل بأولئك[6]، و لعله خص الوراء لأن الإنسان يحمى ما وراءه ولأنه جهة الفرار من المصائب .

و لما كان من[7] تكذيبهم، و هو أعظم تكذيبهم[8]، طعنهم فى أعظم آيات القرآن بأن يقولوا : هو كذب مختلق، إنما هو أساطير الأولين ، أى أكذوباتهم لا حقائق لما يخبر بـه مع أنه قد اقام الذليل الأعظم لنفسه بنفسه بما له من الإعجاز على أنه حق، قال معبرا بالضمير أيذانا بأنه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لحذر (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل : له صلى الله عليه و سلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ وم .
(٥) زيد فى الأصل و ظ : فهو ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من ظ وم ، و فى الأصل : بهولاء (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : ولما كان من جملة .
(٨) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها .

لعظمه فى كل قلب لاغية له اصلا، ليس لأحد حديث[1] إلا فيه، بانيا على ما تقديره: ليس الأمر كما يزعم الكفار فى القرآن: ﴿بل هو﴾ أى هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل[2] / من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿قرءان﴾ أى جامع لكل منقبة جليلة بالغ الذروة العليا فى كل شرف ﴿مجيد﴾ أى شريف كريم ليس فيه شيء من [3]شوائب الذم[3] عزيز [عظيم -[4]] شريف عال جواد حسن الخلال وحيد فى نظمه[5] و معانيه المغيبة و المشاهدة حاو لجامع الحمد[5] ليس بقول مخلوق و لا هو مخلوق بل هو صفة الخالق بل هو جواد بكل ما يراد منه من المحاسن لمن صدقت نيته و طهرت طويته، و علت همته و كرمت سجيته، فهو يأبى له مجده أن يلم بساحته طعن بوجه من الوجوه، و مجده تجريب احكامه من بين عاجل ما شهد و آجل ما علم بعالم ما شهد، فكان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى[6] و ما شهد له من الأثر الحاضر و ما يتجدد مع الأوقات من أمثاله و أشباهه و أشكاله، فكذب من قال إنه شعر أو كهانة أو سحر - أو غير ذلك من الأباطيل.

و لما وصفه فى نفسه بما يأبى له لحاق شيء من شبهة، وصف محله فى الملأ الأعلى إعلاما بأنه لا يطرأ عليه ما يغيره فقال: ﴿فى لوح﴾[7]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حدث (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الباطن. (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الشوايب للذم (٤) زيد من م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: المحامد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الماضية (٧) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

و هو كل صفيحة[1] [عريضة -[2]] من خشب او عظم او غيرهما ﴿محفوظ ﴾ أى له الحفظ دائما على أتم الوجوه من كل خلل [و من -[2]] أن يصل [إليه -[3]] إلا الملائكة الكرام، قال حجة الإسلام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب الموت من الإحياء[4] : يعبر عنه تارة باللوح، و تارة ٥ بالكتاب المبين، و تارة بامام مبين، فجميع ما جرى فى العالم و ما سيجرى مكتوب فيه كتبا لا يشاهد[5] بهذه العين، و ليس مما نعهده من الألواح، فلوحه تعالى لا يشبه ألواح خلقه كما أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات خلقه، و مثاله مثال قلب الإنسان فى حفظ القرآن مثلا كلماته و حروفه، و لو فتش قلبه لم يوجد فيه شىء و لا ينظر ذلك إلا نبى أو ولى يقرب من درجته - ١٠ هذا معنى كلام الإمام رحمه الله تعالى، و قرأ نافع بالرفع صفة للقرآن لحفظه من التغيير[6] و التبديل[6] و التحريف وكل شبهة و ريب فى نظمه او معناه كما أن البروج محفوظة فى لوح السماء المحفوظ، بل القرآن بذلك أولى لأنه صفة الخالق فى بيان وصفه لما خلق على الوجه الأتم الأعدل لأنه ترجمة ما أوجده الله سبحانه فى الوجود، فصح قطعا أنه ١٥ لابد ان يصدق فى كل ما اخبر به، و من أعظمه أنه سبحانه يحشر الناس للدينونة بالثواب و العقاب كما دان [من -[3]] كذب أولياءه فى الدنيا

(١) من م، و فى الأصل و ظ : صحيفة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م.
(٤) راجع ٤ /٣٤ (٥) من م، و فى الأصل و ظ : لا يشاهده (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م.

بمثل ذلك فأخذ اعداءه و انجى اولياءه ، فرجع الختام منها على المبتدأ ، و تعانق الافتتاح بالمنتهى ، فاقتضى ذلك تنزيه المتكلم [به -[1]] عن أن يترك شيئا فضلا عن الأنفس بغير حفظ و عن كل ما لا يليق ، و إثبات الكمالات له و الأكمليات بكل[2] طريق[3] - و الله أعلم بالصواب ، و إليه المرجع و المآب ، [4]و إليه المهرب و المتاب[4] . ٥



(١) زيد من ظ (٢) من م ، و في الأصل و ظ : بغير (٣) زيد في الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الطارق[1]

/٧٢٠ مقصودها / بيان مجد القران فى صدقه فى الإخبار بتنعيم أهل الإيمان، و تعذيب اهل الكفران، فى يوم القيامة حين تبلى الصرائر و تكشف المخبات [الضمائر -[2]] عن مثقال[3] الذر وما دون المثقال، [4]مما دونته[4] الحفظة الكرام
٥ فى صحائف الأعمال، بعد استيفاء الآجال، كما قدر فى أزل الآزال[5]، من غير استعجال، و لا تأخير عن الوقت المضروب و لا إهمال، و اسمها الطارق أدل ما فيها على هذا الموعود الصادق بتأمل القسم و المقسم عليه حسب ما اتسق[6] الكلام إليه ﴿ بسم الله ﴾ الذى له[7] الكمال كله ﴿ الرحمن ﴾ الذى وسع الخلائق [8]فضله و[8] عدله ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص أولياءه
١٠ بتوفيقه فظهر عليهم جوده [8]و إحسانه و كرمه[8] و فضله.

لما تقـــدم [فى -[9]] آخر البروج أن القرآن [8]فى لوح[8] محفوظ لأن[10] منزله محيط بالجنود من المعاندين و بكل شيء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق [المخالفين -[11]] و الموافقين المؤالفين،

(١) السادسة و الثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١٧.
(٢) زيد من ظ (٣) من م، و فى الأصل و ظ : مثاقيل (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل . ما تدونته (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الازال.
(٦) من م، وفى الأصل : اتساق، و فى ظ : اتساق (٧) زيد فى الأصل : الجمال و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من م.
(٩) زيد من م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل : و بان (١١) زيد من ظ و م.

ليجازى على أعماله[1] يوم إحقاق الحقائق و قطع العلائق، فقال مقسما على ذلك لإنكارهم له: ﴿و السمآء﴾ أى ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المرده لأجل حفظ [القرآن -[2]] المجيد الحافظ لطريق الحق، قال الملوى: [و -[3]] المراد بها [هنا -[2]] ذات الأفلاك الدائرة لا السماوات العلى [بما -[2]] جعل فيها من ليل و نهار و دورتهما[4] ثلاثمائة و ستين[5] ٥ درجة لا تتغير أبدا فى هذه [الدار-[3]] بنقص و [لا -[3]] زيادة بنصف درجة و لا دقيقة و لا ثانية و لا ما دون ذلك، بل كلما زاد أحدهما شيئا نقص من الآخر بحسابه. عرف ذلك من العقل و النقل و التجربة فعرف أنه[6] بحفظ [حفيظ -[3]] حي لا يموت، قيوم لا يغفل و لا ينام - انتهى[7].

و لما أقسم بالسماء لما لها من الشرف و المجد تنبيها على ما فيها ١٠ من بدائع[8] الصنع الدالة على القدرة الباهرة، أقسم بأعجب ما فيها و هو جنس النجوم ثم بأغربه و هو المعد للحراسة تنبيها على ما فى ذلك من غرائب القدرة فقال: ﴿و الطارق ۙ﴾ أى جنس الكواكب الذى يبدو ليلا و يخفى نهارا، و يطرق مسترقى السمع فيبدد شملهم و يهلك من أراد الله منهم لأجل هداية [الناس -[2]] بالقرآن فى الطرق المعنوية و ظهوره ١٥ و إشراقه فى السماء لهدايتهم فى الطرق الحسية، و هو فى الأصل

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اعمالهم (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: رتبها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ستون. (٦) من م، و فى الأصل و ظ: بانه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: بديع.

لسالك الطريق، و اختص عرفا بالآتى ليلا لأنه يجد الأبواب مغلقة فيحتاج إلى طرقها، ثم استعمل للبادى فيه كالنجم.

و لما كان الطارق [يطلق - [1]] على غير النجم أبهمه أولا ثم عظم المقسم به بقوله[2]: ﴿ و مآ ادرٰيك ﴾ أى عرفك[3] يا أشرف خلقنا

٥ عليه الصلاة و السلام و إن حاولت معرفة ذلك و بالغت فى الفحص عنه ﴿ ما الطارق ﴾ ثم زاده تهويلا بتفسيره بعد إبهامه مرة أخرى بقوله تعالى: ﴿ النجم الثاقب ﴾ أى المتوهج العالى المضيء كأنه يثقب

٧٢١ / الظلام بنوره فينفذ فيه، يقال: / أثقب نارك للوقد[4]، أو يثقب بضوئه الأفلاك فتشف عنه، أو يثقب الشيطان بناره إذا استرق السمع، و المراد

١٠ الجنس أو معهود[5] بالثقب و هو زحل، عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه لعلو مكانه.

و لما ذكر الذى دل به على حفظ القرآن عن التلبيس و على حفظ الإنسان، ذكر جوابه فى حفظ النفوس التى جعل فيها قابلية لحفظ القرآن فى الصدور، و دل على حفظ ما خلق لأجلها من هذه

١٥ الأشياء المقسم بها على حفظ الإنسان لأنها إذا كانت محفوظة عن أدنى زيغ و هى مخلوقة لتدبير[6] مصالحه فما[7] الظن به؟ فقال مؤكدا [غاية التأكيد - [1]] لما للكفرة[8] من إنكار ذلك و الطعن [فيه - [1]]:

---

(١) زيد من م (٢) فى ظ : فقال (٣) من ظ وم، وفى الأصل : اعرفك (٤) من ظ و م، و فى الأصل : للتوقد (٥) زيد فى الأصل : ايضا، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل : لتدير (٧) من ظ و م، وفى الأصل : بما (٨) من ظ و م، و فى الأصل : للفكرة.

﴿ ان ﴾ بالتخفيف من الثقيلة فى قراءة الجمهور [أى - [1]] أن الشان[2] ﴿ كل نفس ﴾ أى من الأنفس مطلقا لا سيما نفوس الناس ﴿ لما عليها ﴾ أى بخصوصها [3]لا مشارك لها فى ذاتها[3] ﴿ حافظ ﴾ أى رقيب عتيد لا يفارقها، و المراد به الجنس من الملائكة، فبعضهم لحفظها من الآفات، و بعضهم لحفظها من الوساوس[4]، و بعضهم لحفظ أعمالها و إحصائها ٥ بالكتابة، و بعضهم لحفظ ما كتب لها من رزق و أجل و [5]شقاوة أو[5] سعادة [6]و مشى(؟) و نكاح و سفر و إقامة[6]. فلا يتعدى شيئا[7] من ذلك [6]نحن قسمنا نحن قدرنا[6]، فان قلت: إن الحافظ الملائكة، صدقت، و إن قلت: إنه الله، صدقت، لأنه الآمر لهم و المقدر على الحفظ[8]، و الحافظ [لهم -[9]] من الوهن و الزيغ، فهو الحافظ الحقيق، و اللام فى هذه القراءة هى ١٠ الفارقة بين المخففة و النافية «و ما» مؤكدة بنفى [صدر -[9]] ما أثبتته الجملة، «و حافظ» خبر «إن»، و يجوز أن يكون الظرف الخبر، و «حافظ» مرتفع به، و قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة بتشديد «لما» على أنها بمعنى «إلا» و «إن» نافيه بمعنى «ما»، و المستثنى منه «كل نفس» و خبر النافية محذوف تقديره: كائنة أو موجودة [او نحوهما -[9]]، و المستثنى ١٥ «نفس» موصوفة بـ«عليها حافظ» و يحتمل أن يكون حالا فحله يحتمل

---

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: شان (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الوسواس (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: شقاء (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: شيء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: القط (٩) زيد من ظ و م.

الرفع بأنه خبر النافى [فى - ١] هذا الاستثناء المفرغ عند[٢] بنى تميم، و النصب بأنه خبر [٣]عند غيرهم[٣]، أو حال من «نفس»، لأنها عامة، و التقدير: ما كل نفس موجودة إلا نفس كائنا أي كائن عليها حافظ، و النسبة بين مفهومى القراءتين[٤] أن المشدد أخص لأنها دائمة مطلقه، و المخففة مطلقة عامة،
٥ و لا يظن أن المشددة غير مساوية للخففة، فضلا عن ان تكون أخص لأن حرف النفى دخل على «كل» و هو من أسوار السلب الجزئى كما تقرر[٥] فى موضعه فينحل إلى أن بعض النفوس ليس إلا عليها حافظ، [و إنما - ١] كان لا يظن ذلك لأنها تنحل لما فيها من الحصر المتضمن للنفى و الإثبات إلى جملتين، إحداهما إثبات [الحفظ - ١] للنفس[٦]
١٠ الموصوفة و الأخرى سلب[٧] نقيضه عنها، لأنه من قصر / الموصوف على الصفة، و نقيض الكلية الموجبة الجزئية السالبة أى ليس كل نفس عليها حافظ، [و السالبة الجزئيه أعم من السالبة الكليه، فاذا نفيتها قلت: ليس ليس كل نفس عليها حافظ -١] فهو سلب السلب الجزئى، و إذا سلب السلب الجزئى [سلب الكلى-١] لما تبين أنه أخف. و إذا[٨] انتفى الأعم انتفى الاخص
١٥ فلا شيء من الأنفس ليس عليها حافظ، فانحل الكلام إلى: لا نفس

٧٣٢ /

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الاصل: عنه (٣ ٣) من ظ وم. وفى الأصل: عندهم (٤) من ظ، وفى الأصل وم: القرآين (٥) من ظ وم، وفى الاصل. تقدر (٦) زيد فى الأصل و ظ: المحفوظة. و لم تكن الزيادة فى ظ م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: سبب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لما.

كائنة

كائنة إلا نفس عليها حافظ ، و إن كان لفظ « ليس كل » من أسوار الجزئية لما مضى ، فصارت الآية على قراءة التشديد مركبة من مطلقة عامة هى « كل نفس عليها[1] حافظ » بالفعل . و من سلب نقيضها و هو[2] الدائمة [المطلقة -[3]] الذى هو « دائما ليس كل نفس عليها [حافظ » -[3]] و رفعه بأن يقال : ليس دائما ليس كل نفس عليها حافظ ، [اى ليس دائما كل ٥ نفس ليس عليها حافظ ، و[4] ذلك على سبيل الحصر و قصر الموصوف على الصفة ، معناه أن الموصوف لا يتعدى صفته التى قصر عليها ، فأقل الأمور أن لا يتجاوزها إلى عدم الحفظ ، و ذلك معنى الدائمة المطلقة و هو الحكم بثبوت المحمول للموضوع ما دام ذات الموضوع موجودة ، و هى على قراءة التخفيف مطلقة عامة أى حكم فيها بثبوت المحمول للموضوع بالفعل ١٠ و هو الجزء الأول مما[5] انحلت إليه قراءة التشديد ، فمفهوم الآية فى قراءة التشديد أخص منه فى قراءة التخفيف ، لأن كل دائم كائن بالفعل ، و لا ينعكس - هذا إذا نظرنا إلى نفس المفهوم من اللفظ مع قطع النظر[6] عن الدلالة الخارجية ، و أما بالنظر إلى نفس الأمر فالجهة الدوام فلا فرق ، غير انه دل عليها باللفظ فى قراءة التشديد دون قراءة التخفيف - ١٥ و الله تعالى أعلم .

و قال الإمام[7] أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى : لما قال الله

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : هى (٣) زيد من ظ وم (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٦) زيد فى الأصل و ظ : الكلى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) فى ظ و م : الأستاذ .

سبحانه تعالى فى سورة البروج «و الله على كل شيء شهيد» «و الله من ورائهم محيط» و كان [1]فى ذلك[1] تعريف العباد بأنه سبحانه و تعالى [2]لايغيب عنه[2] شيء و لايفوته [3]شيء و لاينجو منه[3] هارب، اردف ذلك بتفصيل يزيد [4]إيضاح ذلك[4] التعريف الجلى من شهادته سبحانه و تعالى

٥ على كل شيء و إحاطته به[5] فقال تعالى «ان كل نفس لما عليها حافظ» فأعلم الله سبحانه و تعالى بخصوص كل نفس بمن يحفظ أنفاسها «ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد» ليعلم العبد أنه ليس بمهمل و لا مضيع، و هو سبحانه و تعالى[6] الغنى عن كتب الحفظة و إحصائهم و شهادة الشهود من الأعضاء و غيرهم، و إنما كان ذلك لإظهار عدله

١٠ سبحانه و تعالى «ان الله لا يظلم مثقال ذرة» و لا أقل من المثقال، و لكن هى سنته حتى لايبقى لأحد حجة و لا تعلق، و أقسم سبحانه و تعالى على ذلك تحقيقا و تأكيدا يناسب القصد المذكور - انتهى.

و لما كان التقدير: لأنه لا بد[7] له[8] من العرض على الخالق سبحانه و تعالى / لأن التوكيل بالإنسان لا يكون إلا لعرضه على [1]الملك الديان[2] صاحب /٧٢٣

١٥ الأمر و البرهان[2] و محاسبته له [3]على ما كان[3]، كان التقدير: يحفظ أعمالها

(١-١) من م، و فى الأصل و ظ: ذلك (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا يخفى عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: أيضاحا لذلك (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بكل شيء (٦) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بانه (٨) سقط من م.

و يكتبها ليحاسبها الملك على ذلك، فتسبب عنه قوله تعالى: ﴿فلينظر﴾ أى بالبصيرة ﴿الانسان﴾ أى الآنس بنفسه الناظر فى عطفه إن كان يسلك فى ذلك ﴿مم﴾ أى من أى شيء، و بنى للفعول العامل فى [من -[1]] أمر بالنظر و هو قوله: ﴿خلقْ﴾ إعلاما بأن الدال هو مطلق الخلق، و تنبيها على تعظيم الفاعل بأن العلم به غير محتاج إلى ذكره[2] باللفظ لأنه ٥ لا يقدر على صنعة من صنائعه[3] غيره، و أمر الإنسان بهذا النظر ليعلم بأمر مبدئه أمر معاده، فان من قدر على الابتداء قدر على[4] الإعادة قطعا، فاذا صح عنده ذلك اجتهد فى أن لا يملى على حافظيه إلا ما يرضى الله تعالى يوم عرضه على الملك الديان[5] ليسره وقت حسابه.

و لما نبه بالاستفهام على أن هذا أمر مهم جدا ينبغى لكل أحد ١٠ أن يترك جميع مهماته و يتفرغ للنظر فيه فانه يكسبه السعادة الأبدية الدائمة[4]، و كان الإنسان - مع كونه ضعيفا عاجزا - لاينفك عن شاغل و مفتر، فلا يكاد يصح له نظر، تولى سبحانه و تعالى شرح ذلك عنه فأجاب الاستفهام بقوله: ﴿خلق﴾ أى[5] الإنسان على أيسر وجه و أسهله بعد خلق أبيه آدم عليه الصلاة و السلام من تراب، و أمه حواء عليها ١٥ السلام من ضلعه[6] ﴿من مآء دافق لا﴾ أى هو[7] - لقوة دفق الطبيعة له -

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر (٣) من ظ و م، و فى الاصل: صانعه (٤) سقط من ظ و م (٥) سقط من م (٦) من ظ، و فى الأصل و م: ضلع (٧) زيد فى الأصل: دافق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

كأنه يدفق بنفسه[1] فهو إسناد مجازي ، و الدفق لصاحبه ، او هو مثل « لابن » اى ذى دفق ، و الدفق صب فيه دفع ، و لم يقل : مائين[2] - إشارة إلى أنهما يجتمعان فى الرحم [و - [3]] يمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران ماءا[4] واحدا .

٥ و لما كان[5] المراد به ماء الرجل و ماء المرأة قال: ﴿ يخرج ﴾ و بعض باثبات الجار فأفهم الخروج عن مقره بقوله[6] : ﴿من بين الصلب﴾ أى صلب الرجل و هو عظم مجتمع من عظام مفلكة أحكم ربطها غاية الإحكام من لدن الكاهل إلى عجب الذنب ﴿ و الترآئب ﴾ أى ترائب المرأة ، و هى[7] عظام الصدر حيث تكون[8] القلادة ، و صوبه ابن جرير[9] ،

١٠ أو ما ولى الترقوتين منه ، أو ما بين الثديين و الترقوتين [أو - [4]] أربع أضلاع من يمنة الصدر ، وأربع من يسرته[10] ، أو اليدان و الرجلان و العينان ، و على كل تقدير شهوتها من أمامها و شهوة الرجل فيما غاب عنه من ورائه ، و لو نزع الخافض لأفهم أن الماء يملأ البين المذكور و لم يفهم أنه يخرج عن صاحبي البين ، قال البيضاوى[11] : و لو صح أن النطفة تتولد

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : لنفسه (٢) زيد فى الأصل و ظ : فيه ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ وم (٥) زيد فى الأصل : الماء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ و م : فى قوله (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٨) زيد فى الاصل : محل وضع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) راجع ٣٠ / ٨٠ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : يسراه (١١) راجع الأنوار ص : ٧٩٤ .

من

من فضل الهضم [الرابع -[1]] و تنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد
لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء، و مقرها[2] عروق ملتف بعضها بالبعض[3]
عند الأنثيين، / فلا شك أن الدماغ أعظم الأعضاء معونة فى توليدها، / ٧٢٤
و لذلك تشبهه و يسرع [4]الإفراط فى الجماع[4] بالضعف فيه و له خليفة و هو
النخاع و هو فى الصلب، و شعب كثيرة نازلة إلى الترائب و هما أقرب ٥
إلى أوعية المنى فلذلك[5] خصا بالذكر . و قال الملوى : فالذى أخرجه
من ظروف[6] عظام الصلب و الترائب إلى أن صيره فى محله من الأنثيين
إلى [أن - [7]] دفق و اعتنى بعد ذلك بنقله من خلق إلى خلق بعد كل
أربعين يوما إلى أن صيره إنسانا يعقل و يتكلم و يبنى القصور، و يهدم[8]
الصخور، قادر على بعثه . ١٠

و لما علم بالحفظ و الخلق فى الأطوار المشار إليها أنه خلق لأمر
عظيم و هو الحساب، و ثبت بالقدرة على ابتدائه من هذا الماء و بتطويره
فى الحالات المشار إليها[9] بذكر الماء، المعلومه لكل أحد القدرة على الإعادة
بلا فرق إلا كون الإعادة على ما نعرف أسهل، و كان العرب ينكرونها،
قال مؤكدا استئنافا لمن يقول : قد نظرت فى ذلك فمه : ﴿ انه ﴾ ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : مقصرها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ببعض (٤ - ٤) من م ، و فى الأصل و ظ : افراط بالجماع . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ولذلك (٦) فى ظ : حلزون (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : القصور وينحت ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد فى ظ : بالتنبيه .

أى خالقه القادر على ما ذكر من شؤون المدلول على عظمه ببناء «خلق» للفعول ﴿على رجعه﴾ أى رجع الإنسان بالبعث و رده إلى حالته الأولى و خلقه الأول كما كان قبل الموت و على رد هذا الماء الدافق إلى مجاريه التى خرج منها و حله إلى المائية بعد انعقاده عظما و لحما و دما ﴿لقادر﴾
٥ أى لثابتة قدرته على ذلك أتم ثبات، [1]فمن أيسر[1] ما يكون عنده سبحانه و تعالى [رده - [2]] بعد شيخوخته على عقبه بأن يجعله كهلا ثم شابا ثم طفلا ثم مضغة ثم علقة ثم نطفة ثم يدفعه إلى ذكر الرجل و رحم المرأة ثم إلى صلبه و ترائبها و هو أهون عليه، و ذلك كقدرته على رده بالبعث، و عبر بـ «انه» و لم يقل: أن الله - مثلا لأنه أقعد لأنه يقال لكل
١٠ إنسان: من أخرجك على[3] هذه الهيئة فصيرك[4] على هذه الصفة؟ فاذا قال: القادر على كل شيء بقدرته الكاملة، قيل له: و بتلك القدرة بعينها يعيدك، و لو سمى له اسم غير الضمير لكان ربما قال: [ليس - [2]] هو خالقي.

و لما كان هذا يحرك السامع غاية التحريك لأن يقول: متى تكون رجعه له؟ قال مجيبا له: ﴿يوم تبلى﴾ و بناه[5] للفعول إشارة مع التنبيه
١٥ على السهولة إلى [أن - [2]] من[6] الأمر البين غاية البيان أن الذى يبلوها[7]

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فايسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل وظ: من (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ثم صيرك (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بنى هذا (٦) زيد فى الأصل وظ: بين، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يتلوها.

هو الذى يرجعها، و هو الله سبحانه و تعالى من غير احتياج إلى ذكره[1] ﴿السرآئر﴾ أى كل ما انطوت عليه الصدور من العقائد و النيات، و[2] أخفته الجوارح من الإخلال[3] بالوضوء و الغسل و نحو ذلك من جميع الجنايات، بأن تخالط السرائر فى ذلك اليوم، و هو يوم القيامة، من الأمور الهائلة ما يميلها[4] فيحيلها عما هى عليه فتعود جهرا[5] بعد أن كانت ٥
سرا /، فيميز طيبها من خبيثها و يجازى عليه صاحبه. / ٧٢٥

و لما كان المانع من جزائه عند[6] إظهار[7] سرائره إما هو نفسه أو أحد ينصره، قال مسببا[8] عن إظهار ما يجتهد فى[6] إخفائه: ﴿فما له﴾ أى الإنسان الذى أخرجت سرائره، و أعرق فى التعميم و النفى فقال: ﴿من قوة﴾ أى يمنع بها نفسه من الجزاء ﴿و لا ناصر﴾ أى ينصره ١٠
فيمنعه من[6] نفوذ الحكم فيه. و ليس الدفع إلا بهذين الأمرين: قوة قائمة به أو قوة خارجة عنه.

و لما اشتملت هذه الجمل على وجازتها على الذروة العليا من البلاغة فى إثبات البعث و الجزاء و الوحدانية له سبحانه و تعالى إلى غير ذلك من بحور العلوم، فثبت أن القرآن كلام الله سبحانه و تعالى، فثبت ان ١٥

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: ذكر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ثم.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاخلاط (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يجلبها (٥) زيد فى الأصل: و علانية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٧) فى ظ: اظهاره (٨) من ظ و م، و فى الأصل: مستانفا.

كل ما فيه حق مع منازعتهم[١] في ذلك [كله ـ[٢]] ، اقتضى الحال الإقسام على حقيته فقال : ﴿و السمآء﴾ أي التي كان المطلع[٣] الإقسام بها و وصفها بما يؤكد العلم بالبعث الذي هو منبع العلوم و التقوى فعليه[٤] مدار السعادة فقال : ﴿ذات الرجع ﴿ التي ترجع بالدوران إلى الموضع الذي ابتدأت ٥ الدوران منه فترجع[٥] الأحوال التي كانت و تصرمت من الليل و النهار و الشمس و القمر و الكواكب و الفصول من الشتاء و ما فيه من برد و مطر ، و الصيف و ما فيه من حر و صفاء و سكون[٦] و غير ذلك[٦] و النبات بعد تهشمه و صيرورته ترابا مختلطا بتراب الأرض و ترجع الماء على قول من يقول : إن السحاب يأخذه من البحر و يعلو به فيعصره في الهواء ١٠ ثم يرده إلى الأرض ـ و غير ذلك من الأمور الدال[٧] كل منها قطعا على أن فاعل ذلك[٨] قادر على إعادة كل ما في كما كان من غير فرق أصلا .

و لما ذكر الأمر العلوي بادئا به اشرفه ، أتبعه السفلي فقال تعالى : ﴿و الارض﴾ أي مسكنكم الذي أنتم ملابسوه و معانوه كل وقت ١٥ و ملامسوه ﴿ذات الصدع ﴿ أي التي تتصدع و تنشق فيخرج منها النبات

(١) من ظ و م . و في الأصل : مسارعتهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : مطلع (٤) من ظ و م ، و في الأصل : و عليه (٥) من ظ و م ، و في الأصل : فيرجع (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٧) زيد في الأصل : على ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) زيد في الأصل : قطعا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

 و العيون

و العيون بدءا و اعادة دلالة ظاهرة على البعث ، فجمع بالقسم العالم العلوى الذى هو كالرجل و السفلى الذى هو كالمرأة ، فكما أن الرجل يسقيها من مائه فتصدع [عن الولد ، فكذلك السماء تسق الأرض فتتصدع -[1]] عن[2] النبات ، [و كما أنها تتصدع عن النبات -[1]] بعد فنائه و صيرورته رفاتا فيعود كما كان فكذلك تتصدع عن الناس بعد فنائهم فيعودون كما ٥ كانوا باذن ربها[3] من غير فرق أصلا .

و لما كانت هذه كلها براهين قاطعة و دلائل باهرة ساطعة على حقية[4] القرآن و إتيانه بأعلى[5] البيان ، فكان من المستبعد جدا طعنهم فى القرآن بعد هذا البيان[6] ، قال تعالى منبها على ذلك بالتأكيد معبرا بالضمير إشارة لما مضى إلى أنه المحدث عنه الآن ، فهو الثابت فى جميع الأذهان لا غيبة ١٠ [له -[1]] عن شىء منها أصلا ﴿ انه ﴾ أى القرآن الذى / أخبر بهذه /٧٢٦ الإخبارات التى هى فى غاية الوضوح و تقدم أنه مجيد و فى لوح محفوظ ، و أن الكفرة فى تكذيب به ، و لا سيما ما تضمن منه الإخبار بالبعث: ﴿ لقول فصل ﴾ أى جدا يراد به فصل الأمور ، و له من العراقة فى الفرق[7] بين الحق و الباطل ما صار به يطلق عليه نفس الفصل ، ثم أكد ١٥ الأمر لشدة إنكارهم [8]و جحدهم و تغطيتهم الحق بالباطل[8] فقال : ﴿ و ما هو ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الله تعالى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : حقيقة (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : على (٦) سقط من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الفصل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م .

أى القرآن[١] فى باطنه و [لا - [٢]] ظاهره ﴿ بالهزل ﴾ اى بالضعيف[٣] المرذول الذى لا طائل تحته ، فمن حقه ما هو عليه آلان من كونه مهيبا فى القلوب معظما فى الصدور يرتفع به قارئه و سامعه عن أن [يلم - [٤]] بهزل و يعلو به فى أعين العامة[٥] و الخاصة .

٥ و لما كان ثبات هذا على هذا الوجه مقتضيا و لا بد رجوعهم عن العناد ، [فكان ذلك محركا للسامع إلى تعرف ما كان من أمرهم ، استأنف قوله دلالة عـلى بقائهم على الإنكار و أكده تنبيها على أن بقاءهم على العناد - [١]] مع هذا مستبعد جدا ﴿ انهم ﴾ أى[٦] الكفار ﴿ يكيدون ﴾ أى بما يعملون فى امره من الحيل[٧] ﴿ كيدا ﴾ فى إبطاله و إطفاء نوره

١٠ باثباتك او[٨] إخراجك او قتلك أو تنفير الناس عنك و الحال أنه لا قوة لهم [٩] أصلا على ذلك[٩] و لا ناصر [٩] لهم بوجه من الوجوه[٩] و سمى جزاؤه لهم سبحانه كيدا مشاكلة ، و لأنه خفى عنهم و مكروه إليهم فهو على صورة الكيد فقال : ﴿ و اكيد ﴾ اى أنا باتمام[١٠] اقتدارى[١١] ﴿ كيدا ﴾[١٢] باستدراجى

(١) سقط من م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالضعف . (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : العالم (٦) زيد فى الأصل : البغضاء البعداء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الحيلة (٨) من م ، و فى الاصل وظ : و (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : بتمام (١١) زيد فى الاصل : و كيف و هو موجد القدرة لغيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (١٢) زيد فى الاصل : اى يكون ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لهم [١] إلى توغلهم فيما يغضبنى [١] ليكمل ما يوجب [٢] أخذى لهم من حيث لا يشعرون .

و لما كان هذا معلما بأنهم عدم لا اعتبار بهم ، قال مسببا عنه تهديدا لهم يا له من تهديد [٣] ما أصعبه [٣] : ﴿ فمهل ﴾ أى تمهيلا عظيما بالتدريج .

و لما كان فى المكذبين فى علم الله من يؤمن فليس مستحقا لإيقاع مثل هذا التهديد ، عبر بالوصف المقتضى للرسوخ فقال : ﴿ الكفرين ﴾ أى ٥ فلا تدع عليهم و لا تستعجل لهم بالإهلاك ، فانا لانعجل [٤] لأنه لا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت ، حكى أن الحجاج كان سجنه من رخام و أرضه من رصاص ، فكان يتلون بتلون الأوقات ، فوقت الحر جهنم ، و وقت البرد زمهرير ، فمر به يوما فاستغاثوا فطأطأ رأسه لهم و قال : اخسؤا فيها و لا تكلمون ، فأخذت الأرض قوائم جواده فرفع طرفه إلى السماء ١٠ و قال : سبحانك لا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت ، و انطلق من وقته [٤] ، فان المعجلة - [و هى - [٥]] إيقاع الشىء فى غير وقته الأليق به - [٦] نقص فانه لا يعجل إلا من يكون [ما يفعل - [٥]] المستعجل عليه خارجا عن قبضته .

و لما كانت صيغة التفعيل ربما أفهمت التطويل ، اكد ذلك مجردا للفعل دلالة على أن المراد بالأول إيقاع الإمهال مع أن زمنه قصير بالتدريج ١٥ ليطمئن الممهل بذلك [٧] و تصير له [به - [٥]] قوة عظيمة و درته؟ و عزيمة

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : بتوغلهم فى كل ما يقتضى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ، و زيد فى الأصل : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد من ظ و م . (٦) زيد فى الأصل : و هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : به .

/ ٧٢٧ صادقة لأن ما يقولونه مما تشتدكراهة / النفوس له ، فلا يقدر أحد على الإعراض عنه إلا بمعونة عظيمة: ﴿ امهلهم ﴾ أى بالإعراض عنهم مرة واحدة بعد التدريج [لما صار لك على حمله من القوة بالتدريج -[1]] الذى أمرت به سابقا ﴿ رويدا ع ﴾ أى إمهالا يسيرا فستكون عن قريب
٥ لهم أمور ، و أى أمور تشفى الصدور ، و هو تصغير «ارواداء» تصغير ترخيم ، قال ابن برجان: و هى كلمة تعطى الرفق، و هذا الآخر هو المراد بما فى أولها من أن كلا منهم و من غيرهم محفوظ بحفظه مضبوطة أقواله و أفعاله و [2]حركاته و سكناته[2] و أحواله ، فان ذلك مستلزم لأنه[3] فى القبضة ، فقد[4] التقى الطرفان على أعظم [شأن بأبين -[1]] برهان ، و وقع أول
١٠ هذا الوعيد يوم بدر ثم تولى[5] نكالهم و تحقيرهم[6] و إسفالهم إلى أن ذهب كثير منهم بالسيف و كثير منهم [بالموت -[1]] حتف الأنف إلى النار ، و بقى الباقون فى الصغار إلى أن أعزهم الله بعز الإسلام ، و صاروا من الأكابر الأعلام[7] ، تشريفا [2]و تكريما و تعظيما[2] لهذا النبى الكريم[8] عليه أفضل الصلاة و السلام[2] - و الله تعالى هو أعلم بالصواب[2] .

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من م ، و فى الاصل و ظ : انه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رجع و (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تول (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تحقير (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الأعيان (٨) زيد فى الأصل : على ربه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

سورة سبح[1] و تسمى الأعلى

قال الملوى : و كان النبي صلى الله عليه و سلم [يحبها - [2]] لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات - مقصودها إيجاب[3] التنزيه الأعلى[4] سبحانه و تعالى عن أن يلحق ساحة[5] عظمته شيء من [6]شوائب النقص[6] كاستعجال في أمر من إهلاك الكافرين أو غيره أو العجز عن البعث أو إهمال الخلق ٥ سدى يبغي بعضهم على بعض بغير حساب ، أو أن يتكلم بما [لا -[2]] يطابق الواقع او بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله كما أذنت بذلك[7] الطارق مجملا و شرحته هذه مفصلا ، و على ذلك دل كل من اسميها سبح و الأعلى ﴿ بسم الله ﴾ الذى له العلى كله فلا نقص يلحقه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم جوده ، فكل[8] موجود هو الذى أوجده و كل حيوان هو الذى ١٠ يربيه و يرزقه ﴿ الرحيم ﴾ الذى [من - [2]] كان من حزبه فانه يلزمه الطاعة و ييسرها له[9] و يوفقه[10] .

---

(١) السابعة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آيها ١٩ .
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ايجاد (٤) من ظ و م ، و في الأصل : للعلى الأعلى (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بساحة (٦ - ٦) من ظ و م ، و في الاصل : الشوائب (٧) زيد في الاصل : سورة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و في الأصل : بكل (٩) من ظ و م ، و في الأصل : لها (١٠) من ظ و م ، و في الاصل : يرفق به انتهى .

لما تضمن أمره سبحانه فى آخر الطارق بالإمهال[1] النهى عن الاستعجال، الذى هو منزه عنه لكونه [نقصا -[2]]، و اشار نفى الهزل [عن القرآن -[2]] إلى أنهم[3] و صموه بذلك و هو فى غاية البعد [عنه -[2]] إلى غير ذلك مما أشير إليه فيها و نزه نفسه الأقدس سبحانه [عنه -[2]]، أمر أكمل خلقه رسوله ٥ المنزل عليه هذا القرآن صلى الله عليه و سلم بتنزيه اسمه لأنه وحده العالم بذلك حق علمه، و إذا نزه[4] اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره أو يضعه فى غير ما يليق به، كان لذاته سبحانه أشد تنزيها، فقال[5] مرغبا فى الذكر لاسيما بالتنزيه الذى هو نفى المستحيلات لأن التخلى قبل التحلى، شارحا لأصول الدين مقدما للالهيات التى هى النهايات[6] من الذات ثم ١٠ الصفات لاسيما / القيومية ثم الأفعال على النبوات، ثم أتبع ذلك النبوة ٧٢٨ / ليعرف العبد ربه على ما هو عليه من الجلال و الجمال، فيزول عنه داء الجهل الموقع فى التقليد، و داء الكبر الموقع فى إنكار الحقوق، فيعترف[7] بالعبودية و الربوبية، مثنيا عليه سبحانه بالجلال ثم الجمال فيعبده على ما يليق به من امتثال أمره و اجتناب نهيه تعظيما لقدره: ﴿ سبح ﴾ ١٥ أى نزه و برئ تنزيها و تبرئة [8]عظيمتين جدا قويتين شديدتين[8] ﴿ اسم ربك ﴾ أى المحسن إليك بعد إيجادك على صفة الكمال بتربيتك

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الاصل: انه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: نزل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اليهات (٧) من ظ و م، و فى الأصل: معترف (٨ - ٨) فى ظ و م: عظيمة جدا جدا قوية شديدة.

على أحسن الخلال[1] حتى كنت فى غاية [2]الجلال و الجمال[2] .

و لما كان الإنسان محتاجا فى أن تكون حياته طيبة ليتمكن مما يريد إلى ثلاثة أشياء: كبير ينتمى إليه ليكون له به رفعة ينفعه بها عند مهماته، و يدفع عنه عند ضروراته، و مقتدى يربط[3] به[4] نفسه عند ملماته، و طريقة مثلى ترتكبها[5] - كما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم «رضيت بالله ربا ٥ و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا و رسولا و بالإسلام دينا» أرشده صلى الله عليه و سلم إلى أن الانقطاع إليه[4] أعلى الجاه، فقال واصفا لمن أمره بتسبيحه باثبات ما له من الواجبات بعد نفى المستحيلات كما أشار إليه[6] «سبحانك و بحمدك»: ﴿الاعلى ۝﴾ [أى -[7]] الذى له وصف الأعلوية فى المكانة[8] لا المكان على الإطلاق عن كل شائبة نقص[9] و كل سوء من الإلحاد ١٠ فى شىء من أسمائه بالتأويلات الزائغة و إطلاقه على غيره مع زعم أنهما فيه سواء، و ذكره[10] خاليا عن التعظيم و غير ذلك ليكون راسخا [11]فى التنزيه[11] فيكون من أهل العرفان الذين يضيئون على الناس مع كونهم فى الرسوخ كالأوتاد الشامخة التى هى مع علوها لا تتزحزح، وقد ذكر سبحانه

---

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الحال (٢-٢) من ظ وم، و فى الأصل: الجمال والجلال (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يربطه (٤) سقط من م (٥) فى ظ: يركبها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: سبحانه و تعالى بقوله (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المكان (٩) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (١٠) من ظ وم، و فى الأصل: ذكرا. (١١-١١) من ظ و م. و فى الأصل: بالتنزيه.

هذا المعنى معبرا [1]عنه بجميع[1] جهاته [الأربع - [2]] فى ابتداء سور أربع استيعابا لهذه الكلمة الحسنى الشريفة من جميع جهاتها ، فابتدأ[3] سورة الإسراء التى هى سورة الإحسان بـ « سبحٰن » المصدر الصالح لجميع معانيه إعلاما بأن هذا المعنى ثابت له مطلقا غير مقيد بشيء من زمان أو غيره، ثم ثنى

٥ بالماضى فى أول الحديد و الحشر و الصف تصريحا بوقوع ما أفهمه المصدر فى الماضى الذى يشمل أزل الآزال[4] إلى وقت الإنزال ، ثم ثلث فى أول الجمعة و التغابن بالمضارع لأن يفهم مع ما أفهم المصدر و الماضى دوام التجدد ، فلما تم ذلك من جميع [5]وجوهه توجه[5] الامر فخصت به سورته ، و قد مضى فى اول الحديد و الجمعة ما يتمم هذا .

١٠ و لما كان الإبداع أدل ما يكون مع التنزه[6] على الكمال لاسيما النور الذى هو سبب الانكشاف و الظهور ، مع أنه تفصيل[7] لقوله « مم خلق » و هو أدل شيء على البعث المذكور فى « [يوم - [2]] تبلى السرائر » قال مبينا للفاعل الذى أبهمه لوضوحه فى « مم خلق » مرغبا فى الفكر / فى أفعاله /٧٢٩ سبحانه و تعالى الذى هو السبب الأقرب للسعادة بالدلالة عليه بما له من

١٥ الجائزات بعد الترغيب فى الذكر الذى هو المهيئ للفكر : ﴿الذى خلق﴾

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : به عن جميع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ وم، وفى الأصل : فى ابتداء (٤) من ظ وم، وفى الأصل : الازل (٥-٥) من م ، و فى الأصل ؛ و ظ : اموره (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : التنزيه . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لفصل .

أى أوجد من العدم أى له صفة الإيجاد لكل ما أراده[١] لايعسر عليه شيء ﴿فسوّى﴾ أى أوقع[٢] مع الإيجاد و عقبه التسوية فى كل خلق بأن جعل له ما يتأتى معه[٣] كماله و يتم معاشه ، و عدل بين الأمزجة الأربعة الماء و الهواء و النار و التراب بعد أن قهرها على الجمع مع التضاد لئلا تتفاسد ، و ذلك بالعلم التام و القدرة الكاملة دلالة على تمام حكمته وفعله ٥ بالاختيار .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه و تعالى مخبرا[٤] عن عمه[٥] الكفار فى ظلام حيرتهم "انهم يكيدون كيدا " وكان وقوع ذلك من العبيد المحاط بأعمالهم و دقائق أنفاسهم و أحوالهم من أقبح مرتكب و أبعده[٦] عن المعرفة بشيء من عظيم أمر الخالق جل جلاله ١٠ و تعالى علاؤه و شأنه، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه صلى الله عليه و سلم بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم و افك افترائهم ، فقال " سبح اسم ربك الأعلى " أى نزهه عن قبيح مقالهم ، و قدم التنبيه على التنزيه فى أمثال هذا و نظائره و وقوع ذلك أثناء السور [و - [٧]] فيما بين سورة و أخرى ، و أتبع سبحانه و تعالى من التعريف بعظيم قدرته و على ١٥ حكمته بما يبين ضلالهم فقال " الذى خلق فسوى و الذى قدر فهدى "

---

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : اراد (٢) زيد فى الأصل : التسوية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مكبرا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عامة (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : ابعد (٧) زيد من م .

فتبارك الله أحسن الخالقين، و تنزه عما يقوله[1] المفترون - انتهى .

و لما كان جعل الأشياء على أقدار متفاوتة مع الهداية إلى ما وقع الخلق له على أوجه[2] متفاضلة مع التساوى فى العناصر مما يلى التسوية، و هو من خواص الملك الذى لا يكون إلا مع الكمال، أتبعه به بالواو
٥ دلالة على تمكن الأوصاف فقال: ﴿ و الذى قدر ﴾ أى أوقع تقديره فى أجناس الأشياء و أنواعها[3] و أشخاصها[3] و مقاديرها و صفاتها و أفعالها و آجالها، و غير ذلك من أحوالها، فجعل البطش لليد و المشى للرجل و السمع للأذن و البصر للعين و نحو ذلك ﴿ فهدىٰ ﴾ أى أوقع بسبب تقديره و عقبه الهداية لذلك الذى وقع التقدير من أجله من الشكل
١٠ و الجواهر و الأعراض التى هيأه بها لما يليق به طبعا أو اختيارا بخلق الميول و الإلهامات[4]، و نصب الدلائل و الآيات لدفع الشرور و جلب الخيور، فترى الطفل أول ما يقع من البطن يفتح فاه للرضاعة، و غيره من سائر الحيوانات يهتدى إلى ما ينفعه من سائر الانتفاعات، فالخلق لابد له من التسوية ليحصل الاعتدال، و التقدير لابد له من / الهداية ٧٣٠/
١٥ ليحصل الكمال .

و لما كانت دلائل التوحيد تارة بالنفس و تارة بالآفاق، و نبه بآيات النفس، فلم يبق إلا آيات الآفاق، و كان النبات من آياتها

(١) من م، و فى الأصل و ظ: يقوله (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اعلى وجه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الالهيا سات - كذا .

أدل المخلوقات على البعث قال: ﴿و الذيّ اخرج﴾ أي أوقع إخراج ﴿المرعىٰ ۙ﴾ بما أنزل من المعصرات فأنبت ما ترعاه الدواب من النجم و غيره بدأ و إعادة، فدل ذلك على تمام قدرته لاسيما على البعث لأنه سبحانه و تعالى أقدر على جمع الأموات من الأرض بنفسه بعد أن تفتتوا من الماء على جمعه للنبات الذي كان تفتت في الأرض و صار ٥ [ترابا و -[1]] إخراجه كما كان في العام الماضي باذنه سبحانه و تعالى و هو خلق من مخلوقاته.

و لما كان إيباسه و تسويده بعد اخضراره [2]و نموه[2] في غاية الدلالة على تمام القدرة و كمال الاختيار بمعاقبة الأضداد على الذات الواحدة قال تعالى: ﴿فجعله﴾ أي بعد اطوار من زمن إخراجه ﴿غثآء﴾ أي ١٠ كثيرا، ثم أنهاه فأيبسه و هشمه و مزقه فجمع السيل بعضه إلى بعض فجعله زبدا و هالكا و باليا و فتاتا على [وجه -[1]] الأرض ﴿احوىٰ ۞﴾ أي في غاية الري حتى صار أسود يضرب إلى خضرة، أو أحمر يضرب إلى سواد، أو اشتدت خضرته فصارت تضرب إلى سواد، و قال القزاز رحمه الله في ديوانه: الحوة شية من شيات الخيل، و هي بين الدهمة ١٥ و الكمتة، و كثر هذا حتى سموا كل أسود أحوى - انتهى. فيجوز أن يريد حينئذ أنه أسود من شدة يبسه لحوته الرياح و جمعته من كل أوب

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و في الأصل: فهو (٣) من ظ وم، و في الأصل: حوى.

حيث تفتت ، فكل من الكلمتين فيها حياة و موت ، و أخر الثانية لتحملها[1] لأن دلالتها على الخضرة أتم ، فلو قدمت لم تصرف إلى غيرها ، فدل جمعه بين الأضداد على الذات الواحدة على كمال الاختيار ، و أما الطبائع فليس لها من [2]التأثير الذی[2] أقامها سبحانه فيه إلا الإيجابي كالنار متى أصابت
٥ شيئا أحرقته ، و لا تقدر بعد ذلك أن تنقله إلى صفة أخرى غير التی[3] أثرتها فيه ، و أشار بالبداية و النهاية إلى تذكر ذلك ، و أنه على سبيل التكرار فی كل عام الدال على بعث الخلائق ، و خص المرعى لأنه أدل على البعث لأنه إنما لا ينبته الناس ، و إذا انتهى تهشم و تفتت و صار ترابا ، ثم يعيده سبحانه بالماء على ما كان عليه سواء [كما يفعل بالأموات سواء -[4]]
١٠ من غير فرق أصلا .

و لما استوفى سبحانه و تعالى وصف من أمره صلى الله عليه و سلم بتسبيحه بما دل على أوصاف جماله و نعوت كبريائه و جلاله ، و شرح ما له سبحانه من القدرة التامة على الإبداع و الهداية و التصرف فی الأرواح الحسية و المعنوية بالنشر و الطی و القبض و البسط ، فدل على تمام أصول
١٥ الدين بالدلالة على وجوده[5] / سبحانه على[6] سبيل التنزل[7] من ذاته إلى صفاته ٧٣١/ ثم إلى أفعاله فتم ما للخالق ، أتبعه ما للخلائق و بدأ [8]بما لأشرف[8]

---

(١) من ظ و م ، و فی الأصل : يحتملها (٢-٢) من م ، و فی الأصل و ظ : التأثيرات التی (٣) فی ظ : الذی (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فی الأصل : وجود (٦) من م ، و فی الأصل و ظ : الی (٧) من م ، و فی الأصل و ظ : الشرك (٨-٨) من ظ و م ، و فی الأصل : باشرف .

خلقه

خلقه المنزل عليه هذا الذكر تقديرا للنبوة التى بها تتم السعادة بالحقائق الواصلة من الحق إلى عبده[1]، التى بها يتم أمره من القوتين العلمية ثم العملية بقبول الرسالة بعد التوحيد، لأن حياة الإنسان لايتم طيبها إلا بمقتدى يقتدى به من أقواله و أفعاله و سائر أحواله، ولا مقتدى[2] مثل المعصوم عن كل ميل الموجب ذلك الحب من كل ما يعرف حاله، ٥ و الحب فى الله أعظم دعائم الدين، فقال معللا للأمر بالتسبيح للوصوف بالجلال و الجمال دالا[3] [على -[4]] أنه يحيي ميت الأرواح بالعلم كما يحيي ميت الاشباح بالأرواح ﴿سنقرئك﴾ أى نجعلك بعظمتنا بوعد لا خلف فيه على سبيل التكرار بالتجديد و الاستمرار قارئا، أى جامعا لهذا الذكر الذى هو حياة الأرواح بمنزلة حياة الأشباح، الذى تقدم أنه قول فصل، ١٠ عالما به كل علم، ناشرا له فى كل حى، فارقا به [بين -[4]] كل ملتبس، و إن كنت أميًا لا تحسن الكتابة ولا القراءة، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿فلا تنسىٰٓ ۙ﴾ أى شيئا منه و لا من غيره ليكون فى ذلك آيتان: كونك تقرأ و أنت أمى، و كونك تخبر عن المستقبل فيكون كما قلت فلا تحرك [به -[5]] لسانك عند التنزيل لتعجل به و لا تتعب نفسك فان علينا حفظه فى ١٥ صدرك و إنطاق[6] لسانك به.

و لما كان سبحانه و تعالى ينسخ من الشريعة ما يشاء بحسب المصالح تخفيفا[7] لما له بهذه الأمة من الرفق، قال لافتا القول إلى سياق الغيبة

(١) فى ظ: العبد (٢) من م، و فى الأصل و ظ: المقتدى (٣) من ظ، و فى الأصل و م: دال (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ، و فى الأصل: ان طال، و فى م: انطال (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تحقيقا.

إعلاما بأن ذكر[1] الجلالة أعظم من التصريح بأداة العظمة : ﴿ الا ما شآء الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله ، أن تنساه لأنه نسخه ، أو لتظهر عظمته فى أن أعظم الخلق يغلبه القرآن لأنه صفة الله فتنسى الآية أو الكلمة ثم تذكرها تارة بتذكير أحد من آحاد أمتك و تارة ٥ بغير ذلك .

و لما كان الفاعل لهذه[2] الأمور كلها لاسيما الإقراء و الحكم على ما يقرأ[3] بأنه لا ينسى إلا ما شاء منه إلا يكون لا محيط العلم ، قال تعالى مصرحا بذلك مؤكدا لأجل إنكار أهل القصور فى النظر لمثله[4] جاريا على أسلوب الغيبة معبرا بالضمير إشارة الى تعاليه فى العظمة إلى ١٠ حيث تنقطع أمانى الخلق عن إدراكه بما كثر من أفعاله[5] : ﴿ انه ﴾ أى الذى مهما شاء كان "[6] انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون[6] " .

و لما كان المراد بيان إحاطة علمه سبحانه و تعالى ، و أن نسبة الجلى و الخفى من جهره بالقرآن و ترديده على قلبه سرا و غير ذلك إليه على ١٥ حد سواء[7] ، و كان السياق للجلى ، ذكرهما مصرحا بكل منهما [8]مقدما الجلى[8]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بهذه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تقراها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بمثله .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : احفال (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٧) زيد فى الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨ - ٨) فى ظ و م : و قدم الجلى .

لأن هذا[1] مقامه، و ذكره بوصفه معبرا عنه بالاسم الدال على إحاطة علمه به فقال: / ﴿ يعلم الجهر ﴾ أى ثابت له هذا الوصف على سبيل التجدد و الاستمرار فى الإقراء و القراءة و غيرهما. و لما ذكره باسمه ليدل [على - [2]] أنه يعلمه مطلقا لا بقيد كونه جهرا، قال مصرحا بـــذلك: ﴿ و ما يخفى ؕ ﴾ أى يتجدد خفاؤه من القراءة و غيرها[3] على أى حالة كان الإخفاء، فيدل على علمه به إذا جهر به بطريق الأولى. ٥ /٧٣٢

و لما ذكر الإلهيات و النبوة و أشير إلى النسخ، أشار إلى أن الدين المشروع له هو الحنيفية السمحة، و أنه سبحانه و تعالى لا يقيمه فى شيء بنسخ أو غيره إلا كان هو الأيسر [له - [4]] و الأرفق، لأن الرفق و العنف يتغيران بحسب الزمان، فقال مبينا للقوة العملية أثر بيانه للعلمية[5]: ﴿ و نيسرك ﴾ أى نجعلك أنت مهيأ مسهلا [ملينا - [4]] موفقا ﴿ لليسرى ۚ ﴾ أى فى حفظ الوحى و تدبره[6] و غير ذلك من الطرائق[7] و الحالات كلها التى هى لينة سهلة خفيفة[8] - كما أشار إليه قوله "كل ميسر لما خلق له" و لهذا لم يقل: و نيسر لك، لأنه هو مطبوع على حبها. ١٠

و لما كمله صلى الله عليه و سلم و هيأه سبحانه و تعالى للأيسر و يسره غاية التيسير، سبب عنه وجوب التذكير لكل احد فى كل حالة ١٥

(١) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من م.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: غيره (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ: تدبيره (٧) فى ظ: الطريق (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حنيفه.

تكميلا لغيره شفقة على خلق الله بعـد[1] لما له فى نفسه فان لله ساعات [له ـ[1]] فيها نفحات تقضى فيها الحاجات، و ذلك لأنه قد[2] صار كالطبيب الحاذق فى علاج المرضى فيقوم بنفع عباده لشكره [بعد ـ[1]] ذكره باذن منه إشارة إلى [أن ـ[1]] التلميذ يحتاج إلى إذن المشايخ و تزكيتهم،
٥ [و إلى ـ[1]] أن أعظم الأدواء أن يقتصر الإنسان على ما عنده و لا يطلب الازدياد بما ليس عنده من خير الزاد فقال تعالى: ﴿فذكر﴾ أى بهذا الذكر الحكيم، و عبر بأداة الشك إفهاما للاطلاق الكلى[3] فقال: ﴿ان نفعت الذكرى ﴾ أى إن جوزت نفعها و ترجيته [و لو كان ـ[3]] على وجه ضعيف ـ بما أشار إليه تأنيث الفعل بعد ما أفادته أداة الشك،
١٠ و لاشك أن الإنسان لعدم علمه[4] الغيب لا يقطع بعدم نفع أحد بل لا يزال على رجاء منه و إن استبعده، و لهذا كان النبى صلى الله عليه و سلم لا يزال يدعو إلى الله تعالى و إن اشتد الأمر، و لا يحقر أحدا أن يدعوه و لا ييئس من أحد وإن اشتد عليه، و[3] الأمر بالإعراض عمن تولى ونحو ذلك [إنما هو بالإعراض عن الحزن عليه ومن تقطيع النفس لأجله حسرات ونحو ذلك ـ[3]].
١٥ و لما أمره بالتذكير لكل[5] أحد، قسم الناس له إلى قسمين: قسم يقبل العلاج[6]، و قسم لا يقبله، إعلاما بأنه سبحانه و تعالى عالم بكل من القسمين

---

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لعلمه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: بكل (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الصلاح.

جملة و افرادا على التعيين و لم يزل عالما بذلك، و لكنه لم يعين ابتلاء منه لعباده لتقوم له الحجة عليهم بما يتعارفونه بينهم و له الحجة البالغة، فقال حاثا على شكر الجوانح [من] العقل ونحوه والجوارح من القلب و اللسان و غيرهما: ﴿ سيذكر ﴾ أى بوعد لاخلاف فيه و لو على أخفى / وجوه[1] / ٧٣٣
التذكر - بما أشار إليه الإدغام ﴿ من يخشى ﴾ أى فى جبلته[2] نوع خشية، ٥
و هو السعيد لما قدر له فى نفسه من السعادة العظمى لقبول الحنيفية السمحة فيذكر ما يعلم منها فى نفسه فيتعظ، فان الخشية [حاملة -[3]] على كل خير فيتنعم بقلبه و قالبه فى الجنة العليا و يحيى فيها [4]حياة طيبة[4] من غير سقم و لا توى، دائما بلا آخر و انتها.

و لما ذكر من يحب حبه فى الله ذكر من يبغض فى الله، و علامة ١٠
الحب الاقتداء، و علامة البغض التجنب و الانتهاء و الابتداع و الإباء، فقال: ﴿ و يتجنبها ﴾ أى يكلف نفسه و فطرته[5] الأولى المستقيمة تجنب[6] الذكرى التى نشاء تذكيره بها من أشرف الخلائق و أعظمهم وصلة بالخالق. و لما كان هذا الذى يعالج نفسه على العوج[7] شديد العتو
قال: ﴿ الاشقى ﴾ أى الذى له هذا الوصف على الإطلاق لأنه خالف ١٥
أشرف الرسل فهو لا يخشى فكان أشقى الناس، كما أن من آمن به

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: وجه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: جملة.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فكرته (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يجتنب (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المجوع.

أشرف ممن آمن بمن قبله من الرسل عليهم الصلاة و السلام .

و لما ذكر وصفه الذى أوجب له العمل [1] السىء، ذكر [1] جزاءه فقال: ﴿الذى يصلى﴾ أى يباشر مباشرة [2] الغموس [بقلبه - [3]] و قالبه مقاسيا ﴿النار الكبرىٰ ﴾ [أى - [3]] التى هى أعظم الطبقات و هى ٥ السفلى لأنه [4] ليس فى طبعه أن يخشى، [5] بل هو [5] كالجلمود الأقسى لأنه جاهل مقلد أو متكبر معاند، أو [6] المراد نار الآخرى فانها [7] أعظم من نار [8] البرزخ و أعظم من نار [8] الدنيا بسبعين جزأ ، فلهذا استحقت أن تتصف بأفعل التفضيل على الإطلاق ، و الآية من الاحتباك: ذكر الثمرة [9] فى الأول [9] وهى الخشية دليلا على حذف ضدها من الثانى، وهى القسوة الناشئة ١٠ على الحكم بالشقاوة، و ذكر الأصل و السبب فى الثانى و هو الشقاوة دليلا على حذف ضده فى الأول و هو [10] السعادة ، فالإسعاد [11] سبب و الخشية ثمرة ، و الإشقاء سبب و القساوة ثمرة و مسبب، وكذا ما نبعه من النار و ما نشأ عنها ، و سر ذلك [أنه - [3]] ذكر مبدأ السعادة أولا حثا عليه ، و مآل الشقاوة ثانيا تحذيرا منه ، قال الملوى: و لا شك أن القرآن ١٥ العظيم على أحسن ما يكون من البراعة فى التركيب و بداعة الترتيب

---

(١) من ظ و م . و فى الأصل : المبين ذكره (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يباشره (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل وظ : الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو (٦) من ظ و م ، و فى الاصل « و » (٧) من م ، و فى الأصل وظ : فانه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اولا (١٠) من ظ وم ، وفى الأصل : هى (١١) من ظ وم ، و فى الأصل : فالسعادة .

و كثرة العلوم مع الاختصار و عدم التكرار، فيكتفى فى موضع بالثمرة
بلا سبب و فى آخر[1] بالسبب بلا ثمرة لدلالة الأول على الثانى و الثانى
على الأول، فيضم السبب إلى الثمرة و الثمرة إلى السبب كما يطلق القضاء
و[2] يكتفى به عن القدر، و يطلق القدر و يكتفى به عن القضاء، و كذلك[3]
يذكر الحكم و يتركان فيدل عليهما فتذكر[4] الثلاثة، و يظهر بمثال و هو ٥
أن من أراد إقامة دولاب يهندس أولا موضع البئر بسهمه و ترسه و مداره
/ و حوضه الذى يصب فيه الماء وجداوله التى ينساق منها، فهذا هندسة / ٧٣٤
و تدبير و حكم و إرادة، فاذا صنع ذلك و أتمه سمى قضاء و إيجادا و تأثيرا،
فاذا ركب على الجبال قواديس تحمل مقدارا من الماء معينا إذا نزلت
إلى الماء أخذته، و إذا صعدت فانتهت[5] و أرادت الهبوط فرغته[6] فتصرف ١٠
الماء من جداوله[7] إلى ما صنع له كان ذلك قدرا فهو النهاية، فى ذكر
واحد من الثلاثة: الحكم و القضاء و القدر، دل على الآخر.

و لما كان ما هذا شأنه يهلك على ما جرت به العادة فى أسرع
وقت، فاذا كان من شأنه مع هذا العظم أنه لا يهلك كان ذلك دليلا
واضحا على أنه لا يعلم كنه عظمة مقدره[8] إلا هو سبحانه و تعالى فأشار ١٥
إلى ذلك بالتعبير بأداة التراخي إعلاما بأن مراتب هذه الشدة فى التردد

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الآخر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ثم.
(٣) من ظ وم، و فى الأصل: لذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مذكر.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: لو انتمت (٦) من م، و فى الأصل و ظ:
فرنعته (٧) فى ظ: مداركه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: مقدراه.

بين[1] الموت و الحياة لايعلم علوها عن شدة الصلى إلا الله تعالى فقال: ﴿ثم لايموت فيها[2]﴾ أى لا يتجدد له فى هذه النار موت و إن طال المدى . و لما كان من يدخل النار فلا تؤثر فى موته قد يكون ذلك إكراما له من باب خرق العوائد، احترز عنه بقوله: ﴿و لا يحيٰى﴾ أى حياة تنفعه لأنه ما تزكى فلا صدق و لا صلى .

و لما ثبت بهذا أن لهذا هذا الشقاء الأعظم، فكان التقدير : لأنه لم يزك نفسه لأنه [ما -[3]] كان مطبوعا على الخشية ، أنتج و لابد قوله تعالى دالا على الدين التكليفى و هو اجتناب و اجتلاب ، لجمع الاجتناب و الاجتلاب بالتزكية بالتبتل بالأبواب و الملازمة للأعتاب بامتثال الأمر و اجتناب النهى بالمجاهدات المقربات[4] إليه سبحانه و تعالى ، المنجيات بعد ما حذر من المهلكات ، للسارعة فى محابه و مراضيه اجتماعا[5] على العبادة الموصلة للخالق بعد حصول الكمال و التكميل فانه لابد فى الحياة الطيبة بعد الانتماء إلى ذى الجاه العريض[6] و الاقتداء بمن لا يزيغ من الارتباط بطريقة مثلى[7] يحصل بها الاغتباط[8] ليصل بها إلى المقصود و يعمّر أوقاته بوظائفها لئلا يحصل له خلل و لا ضياع لنفائس الأوقات و لاغفلة

(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) وقع فى الأصل قبل « ولا يحيى » و الترتيب من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ وم : القربات . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اجتماع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : انعرض (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مثل (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحتياط .

يستهويه بها قطاع الطريق: ﴿قد افلح﴾ أى فاز بكل مراد ﴿من تزكّى﴾ أى أعمل نفسه فى تطهيرها من فاسد الاعتقادات و الأخلاق و الأقوال و الأفعال و الأموال و تنمية أعمالها القلبية و القالبية و صدقة أموالها، و ذلك هو التسبيح الذى [أمر -[1]] به اول السورة و ما تأثر عنه، من عمل هذا فهو الأسعد. ٥

و لما كان أعظم الأعمال المزكيـــة الذكر و الصلاة قال تعالى: ﴿و ذكر﴾ أى بالقلب و اللسان ذكر و ذكر - بالكسر و الضم ﴿اسم ربه﴾ أى صفات المحسن إليه فانه إذا ذكر الصفة / سر بها فأفاض باطنه على ظاهره ذكر اللفظ الدال عليها، و إذا ذكر ذلك اللفظ و هو الاسم الدال عليها انطبع فى قلبه ذكر المسمى ﴿فصلّى﴾ أى الصلاة الشرعية لأنها أعظم ١٠ الذكر، فهى أعظم عبادات البدن كما أن الزكاة أعظم عبادات المال[2]، و من فعل ذلك استراح من داء الإعجاب و ما يتبعه من النقائص الموجبة لسوء الانقلاب، و كان متخلقا بما ذكر من أخلاق الله فى أول السورة من التخلى عن النقائص بالتزكية[3]، و التحلى بالكمالات بالذكر و الصلاة لأنه لعظمته لايتأهل لذكره إلا من واظب على [ذكر -[1]] اسمه فلا ١٥ يشقى فلا يصلى النار الكبرى بوعد لاخلف فيه[4] - فالآية[5] من الاحتباك فى

/ ٧٣٥

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: الأموال (٣) زيد فى الأصل: و التجلى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: والله اعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم، و فى الأصل: و الآية.

الاحتباك : ذكر أولا الصلى دليلا على حذف[1] ضده ثانيا ، و ثانيا التزكية دليلا على حذف ضدها أولا ، و قد تكفل ذكر التزكية و الذكر و الصلاة من أسباب التداوى[2] بالإنعناج ثم الأشربة ثم الأغذية ، و الآية صالحة لإرادة زكاة الفطر و تكبيرات العيد و صلاته و إن ٥ كانت السورة مكية و فرض الصيام بالمدينة ، لأن العبرة بعموم اللفظ لإحاطة علمه سبحانه و تعالى بالماضى و الحال[3] و الاستقبال على حد سواء ؛ قال الرازى فى اللوامع : و تقدم زكاة الفطر على صلاة العيد ، و كان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول : رحم الله امرءا تصدق ثم صلى - ثم يقرأ هذه الآية ، و إن كانت السورة مكية ، فانه يجوز أن ١٠ يكون النزول سابقا على الحكم كما قال تعالى « و أنت حل بهذا البلد » و السورة مكية ، و ظهر أثر الحل يوم الفتح - انتهى ، و أخذه[4] من البغوى ، و زاد البغوى[5] أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يأمر نافعا رضى الله عنه بنحو ما قال ابن مسعود رضى الله عنه ، و يقول : إنما نزلت هذه الآية فى هذا . و روى البزار[6] عن عوف بن مالك الأشجعى ١٥ رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد و يتلو[7] هذه الآية ، و فى السند كثير بن

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : حفظ (٢) زيد فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : وال كذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اخذ (٥) راجع المعالم ٧ / ١٩٦ (٦) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٦ .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : يتلوه .

عبد الله - حسّن له الترمذی و ضعفه غیره - [1]و الله أعلم[1] .

و لما كان التقدير: و انتم لاتفعلون[2] ذلك ، أو [و - [3]] هم لايفعلونه - على القراءتين ، عطف عليه قوله بالخطاب فى قراءة الجماعة على الالتفات الدال على تناهى [الغضب - [3]] ، مبنها على المعاملات بسبب التداوى الرابع[4] و هو الاستفراغ بنفى الرذائل و الخبائث بالذم على ما ينبغى البراءة منه ٥ و الحث على ما يتعين تحصيله تحصيلا لحسن الرعاية[5]: ﴿بل تؤثرون﴾ أى [6]تختارون و تخصون[6] بذلك على وجه الاستبداد ، أيها الأشقياء ، و بالغيب على الأصل عند أبى عمرو ﴿الحيوة الدنيا ۝﴾ أى الدنية بالفناء الحاضرة ، مع أنها [شر و - [3]] فانية ، اشتغالا بها لأجل حضورها كالحيوانات / التى هى مقيدة بالمحسوسات ، فاستغرق اشتغالكم بها اوقاتكم و منعكم عن ذكر ١٠ / ٧٣٦ [اسم - [3]] الله المنهى إلى ذكر الله و المهيئ له ، و عن تزكية نفوسكم ، فأوقعكم ذلك فى داء القبقب و هو البطن ، و الدبدب و هو الفرج ، وحب المال المؤدى إلى شر الأعمال ، و تتركون الآخرة ﴿و[7] الأخرة﴾ [أى - [8]] و الحال أن الدار التى هى غاية الخلق و مقصود الأمر ، العالية[9]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : لا تعقلون .
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : الابع - كذا (٥) زيد فى الأصل و ظ : انتهى قال ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يجاورون و يخفعون - كذا (٧) ليست الواو فى الأصل فقط (٨) زيد من م .
(٩) تكرر فى الأصل فقط .

المبرئة عن العبث ، المنزهة[١] عن الخروج عن الحكمة ﴿ خير ﴾ أى [من -[٢]]
الدنيا على تقدير التسليم لأن فيها خيرا لأن نعيمها خالص لا كدر فيه
بوجه ﴿ و ابقى ﴾ أى منها على تقدير الحال فى الدنيا من أن تماديها
إلى وقت زوالها تسمى بقاء ، لأن نعيم الآخرة دائم لا انقطاع له أصلا ،
٥ و ما كان [باقيا -[٣]] لا يعادل بما يفنى بوجه من الوجوه ، فمن علم
ذلك - و هو أمر لا يجهل - اشتغل بما يحصل الآخرة و ينفى الدنيا بقسميها
من الأعيان الحسية و الشهوات المعنوية من [٤]الرعونات النفسانية[٤] و المستلذات
الوهمية ، و الآية من الاحتباك : ذكر الإيثار و الدنو أولا [٥]يدل على[٥]
الترك و العلو ثانيا ، و ذكر الخير و البقاء ثانيا يدل على ضدهما أولا ، و سر
١٠ ذلك أنه لا يؤثر الدنيء إلا دنيء فذكره أولا لأنه اشد فى التنفير ، و ذكر
الخير و البقاء ثانيا لأنه أشد فى الترغيب .

و لما كانت هذه النتيجة - التى هى الفلاح بالتزكية و ما تبعها - خالصة
الكتب المنزلة التى بها تدبير[٦] البقاء الأول ، وصفها ترغيبا فيها بوصف
جمع القدم المستلزم للصحة بتوارد[٧] الأفكار على تعاقب الأعصار ، لأن
١٥ ما مضت عليه السنون و مرت على قبوله الدهور تكون النفس أقبل
للاذعان [له -[٢]] و أدعى إلى إلزامه ، و أفاد مع القدم أن المنزل عليه صلى الله
عليه و سلم ليس بدعا من الرسل عليهم الصلاة و السلام بل هو على

---

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : المنزه (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م .
(٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الرعانات النفسية (٥-٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : بدلا عن (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تدبر - كذا (٧) من م ،
و فى الأصل و ظ : التوارد .

منهاجهم، فرد رسالته من بينهم لايقول به منصف لاسيما و قد زاد عليهم في المعجزات و [سائر ـ [١]] الكرامات بقوله مؤكدا لأجل من يكذب:
﴿ان هذا﴾ أي الوعظ العظيم بالتسبيح الذي ذكر في هذه السور [٢] و ما تأثر عنه من التزكية بالذكر الموجب للصلاة و الإعراض عن الدنيا و الإقبال على الآخرة، لأنه جامع لكل خير، و هو ثابت [٣] في كل [٣] شريعة لأنه المقصود ٥ بالحكم [٤] فهو لايقبل النسخ ﴿لفي الصحف الاولى ﴾ فمن تبع هذا القرآن الذي هو في هذه الصحف الربانية فقد تحلى من زينة اللسان بما [٥] ينقله من البيان الذي هو في غاية التحرير و عظم الشأن و ما يعلمه من المغيبات عما يكون أو كان، و نسيه [٦] أهل هذه الأزمان، فاستراح من ضلال الشعراء و الكهان، الموقعين في الإثم و العدوان، فان القرآن جمع المديح / الفائق [٧] ١٠ / ٧٣٧ و النسيب الرقيق في وصف الحور و الرحيق و الفخر الحماسي و الهجاء البليغ لأعداء الله، و الترغيب الجاذب للقلوب و الترهيب الزاجر و الملح الخبرية و الحدود الشرعية ـ إلى غير ذلك من أمور لاتصل إليها الشعراء، و لا ينتهي إلى أدنى جنابها بلاغات البلغاء.

و لما كان ذلك [٨] عاما خص من بينه تعظيما لقدر هذه الموعظة ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و في الأصل و ظ: السورة (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: بكل (٤) من ظ و م، و في الأصل: في الحكم (٥) زيد في الأصل: يقبله و، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و في الأصل: يسبه (٧) من ظ و م، و في الأصل: السابق (٨) زيد في الأصل لذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

أعظم الأنبياء الأقدمين، فقال مبدلا مشيرا إلى الاستدلال بالتجربة: ﴿ صحف ابرٰهيم﴾ قدمه لأن صحفه أقرب إلى الوعظ كما نطق به حديث أبي ذر رضى الله تعالى عنه ﴿و موسٰى ع﴾ ختم به لأن الغالب على[1] كتابه الأحكام، و المواعظ فيه قليلة، و منها[2] الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف أوامر التوراة التي أعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه و سلم، و الإخبار بأنهم[3] يخالفونها كما [هو - [4]] مذكور فى أواخرها مع أن ذكر النبيين عليهما الصلاة و السلام على الأصل فى ترتيب الوجود و الأفضلية، و قد حث آخرها على التزكى[5] و هو التطهر[6] من الأدناس الذى هو معنى التنزه و التخلق بأخلاق الله بحسب الطاقة . و كان فى إتيانه و التذكير به إعلام بأن الله تعالى لم يهمل الخلق من[7] البيان [بعد أن خلقهم - [4]] لأنه لم يخلقهم سدى، لأن ذلك من العبث[8] الذى هو من أكبر النقائص [و هو سبحانه منزه عن جميع شوائب النقص - [4]] - فقد رجع آخرها على أولها، و كان تنزيه الرب سبحانه و تعالى و تنزيه النفس ايضا غاية معولها[9] - و الله الموفق للصواب، [10]و إليه المرجع و المآب[10].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : فى (٢) من ظ و م، و فى الأصل : فيها. (٣) زيد فى الأصل : كانوا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الذكر (٦) من ظ و م، و فى الأصل : التطهير (٧) من ظ و م، و فى الأصل : عن (٨) من ظ و م، و فى الأصل : التعنت (٩) فى ظ : مقولها (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الحادى و العشرين من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآى و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٣/ جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ ﻫ = ٦/ فبراير سنة ١٩٨٤ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد - قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هـذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يتلوه الجزء النهائى مستهلا بسورة الغاشية.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، وهو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية